بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريـــخ

دور المرأة في مصر خلال العصر الفاطمي
(٣٦٢-٥٦٧هـ/٩٧٢-١١٧١م)
- دراسة سياسية واجتماعية -

The Role of Women in Egypt Through Fatimid Era
(362 - 567 H.D/972 – 1171 A.D)
Apolitical And Social Study.

إعداد

نهلة أحمد عبد الباقي أحمد

إشراف الدكتور

عليان عبد الفتاح الجالودي

١٤٣١هـ/٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريـــخ

دور المرأة في مصر خلال العصر الفاطمي
(٣٦٢-٥٦٧هـ/٩٧٢-١١٧١م)
- دراسة سياسية واجتماعية -

The Role of Women in Egypt Through Fatimid Era
(362 - 567 H.D/972 – 1171 A.D)
Apolitical And Social Study.

إعداد

نهلة أحمد عبد الباقي أحمد

إشراف الدكتور

عليان عبد الفتاح الجالودي

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
د. عليان عبد الفتاح الجالودي	رئيسا ومشرفا	....
د.	عضوا	....
د.	عضوا	....
د.	عضوا	....

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ: /٥/٢٠١٠م.

الإهداء

إلى والدتي التي علمتني معنى الصبر... فاطمة

إلى روح والدي الذي علمني معنى العطاء... أحمد

إلى أبويَّ إبراهيم – وعمر صديق

إلى إخواني ياسر – عمر – ومحمد

والى أخواتي ، مثاني ، مواهب ، وهلة ، مقبولة ، وجميلة

وإلى الأهل جميعاً

وإلى أسرة جامعة آل البيت متمثلة في أساتذتي الأجلاء

أُهدي هذا الجهد المتواضع لعله يكون رمز وفاء وعرفان

لمن لهم الفضل في مشواري تعليمي

ولكم جميعاً الشكر والتقدير

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي وجب له الحمد والثناء وأشكره سبحانه وتعالي على إتمام نعمته بتوفيقي وعونه لي على إنجاز هذه الرسالة، وله الحمد ملء الأرض والسماء.

رأيت أن من واجبي في مقدمة هذه الرسالة ومن باب الوفاء والاعتراف بالجميل أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والإجلال إلى كل من وقف معي طيلة مدّة دراستي بجامعة آل البيت تلك الجامعة المعطاء التي تضم كوكبة من العلماء كرسوا جهدهم ووقتهم للعلم وطلابه، وفي مقدمتهم الدكتور عليان الجالودي الذي لم يبخل بمساعدتي منذ قدومي إلى الجامعة حيث كان خير عون وسند لي بالنصح والإرشاد ومنه كان نجاحي وتوفيقي بحمد الله في دراستي وأنا حقيقة عاجزة عن شكره وسيظل جميله تاجاً أزين به جبيني وأنا ألتمس طريقي في البحث العلمي وقبوله أن يكون مشرفي في هذه الرسالة ومتابعته الدقيقة لي رغم ظروفه الصحية، وله مني وافر الشكر والامتنان وجزاه الله بقدر ما قدم لي خيراً وإحسانا.

ويسعدني أن أتقدم بفائق شكري وامتناني إلى أستاذي الدكتور عيسي العزام الذي كان يشد من أزري عندما كنت أستشيره في كتابة هذه الرسالة ولم يبخل علي بوقته.

وكذلك أُفرد مساحة للشكر العميق لأستاذتي الأعزاء من أسرة جامعة آل البيت الذين كان لهم الفضل في وصولي لهذه المرحلة ومنهم الدكتور محمد الأرناوؤط والدكتورة هند أبو الشعر وأمامهم تتقاصر كلمات الشكر وكل أساتذة قسم التاريخ جزاهم الله خيراً، وأتقدم بالشكر لأشخاص قدموا لي الكثير من المساعدة ومنهم الأستاذ إبراهيم المدو، وأسرة وحدة الدراسات العمانية ومنهم عبد الرحمن الحيحي، عوني الهزايمة لكم الشكر بقدر عطاءكم لي.

وأسرة المكتبة الهاشمية والمراجع والدوريات بجامعة آل البيت وأسرة مكتبة الجامعة الأردنية ومكتبة جامعة اليرموك، ومكتبة شومان.

وإلى أسرة جامعة النيل الأزرق بالسودان وجامعة الجزيرة، وإلى أسرة السفارة السودانية بالأردن ومنهم الأستاذ عادل عبد الرحمن المستشار الإعلامي.

وفي الختام لا يسعني ألا أن أتقدم بالشكر لكل من وقف معي في إعداد هذه الرسالة ولم يرد ذكرهم، ولكم جميعاً الشكر والتقدير والامتنان.

المحتويات

الرموز والمختصرات

الرموز الآتية تعني:

ص : صفحة.

ج : جزء.

ط : طبعة.

ع : عدد.

ت : تاريخ الوفاة.

د.م. : دون مكان نشر.

د. ت : دون تاريخ نشر

هـ : للدلالة على السنة الهجرية

م : للدلالة على السنة الميلادية

ق : للدلالة على القرن

ق.م. : قبل الميلاد.

ملخص الدراسة

هدفت هذه الدراسة لبيان أوضاع المرأة في العصر الفاطمي من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية والثقافية، واتضح أن المرأة في العصر الفاطمي تمتعت بنفوذ كبير وسلطة في إدارة الدولة، وكان دورها أحيانا ايجابي حيث حافظت على الدولة وحرصت على إبقاء الخلافة في البيت الفاطمي وتارة أخرى كان دورها سلبياً على الدولة وهيبة الخلافة وبخاصة في العصر الفاطمي الثاني.

جاءت الدراسة في أربعة فصول وخاتمة، قدمت لها الباحثة بتعريف بالمصادر والمراجع وتمهيد تناولت فيه أوضاع الدولة الفاطمية ثم انتقالها إلى مصر مع إبراز المفاصل الرئيسية في تاريخها السياسي والاقتصادي والاجتماعي حتى سقوطها سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م.

عالجت الباحثة في الفصل الأول فئات النساء في العصر الفاطمي والذي اتضح من خلاله أن المرأة في الدولة الفاطمية تمتعت بمكانة عالية وامتلكن نساء الخاصة ثروات ضخمة فاضت في وصفها المصادر التاريخية، وكان لهن الكثير من المنشآت العمرانية التي عكست ثراءهن ومكانتهن.

تناولت الدراسة نساء العامة في المجتمع الفاطمي بالإضافة إلى نساء اليهود والنصارى والجواري، ربما كانت هنالك بعض الضغوط التي عانت منها المرأة في المجتمع خصوصاً في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) الذي منع النساء من الخروج إلا للضرورة، وثم تناولت دوافع الخليفة الحاكم للجوء إلى هذه السياسة مع المرأة ومظاهر تلك السياسة وأثارها السلبية على المرأة في ذلك العصر.

وتناولت في الفصل الثاني دور المرأة السياسي والإداري في الدولة وتمثل في تدخل النساء خلال فترة نفوذ الخلفاء وسلطتهم، وبرز فيه دور ست الملك، والسيدة رصد أم الخليفة المستنصر، مما يدل على قوة شخصية المرأة الفاطمية، وجاء دور النساء في العصر الفاطمي الثاني مختلفاً فكان كل ما يستطعن القيام به هو التآمر ضد الوزراء الذين تولوا زمام السلطة والتخلص منهم حفاظاً على الخلافة والدولة.

وعالج الفصل الثالث الأوضاع الاقتصادية للمرأة في العصر الفاطمي وتبين أن أحوال نساء العامة كانت أحوالهن تتأرجح حسب أحوال الدولة واستقرارها، باعتبار أن هذه الفئة أكثر تأثراً من نساء الخاصة بسوء الأوضاع الاقتصادية في الدولة، خصوصاً في فترات المجاعات حيث شكلت (الشّدة المستنصرية) كارثة على الدولة وانعكس أثرها على كل المجتمع.

وتناول الفصل الرابع النواحي الاجتماعية من عادات وتقاليد الزواج، والاحتفالات الأسرية وملابس وزينة المرأة خلال العصر الفاطمي، ومن المعلوم أن الخلفاء في الدولة الفاطمية عاشوا حياة ترف وبذخ بالغ مما انعكس ذلك على مظهر وأناقة المرأة في ملابسها وزينتها.

مقدمة الدراسة

تناولت هذه الدراسة دور المرأة في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٦٢-٥٦٧هـ/ ٩٧٢-١١٧١م) كدراسة سياسية واقتصادية واجتماعية والإدارية والثقافية وهو موضوع في غاية الأهمية نظراً لما أسهمت به المرأة من دور فعال خصوصاً في الفترات الصعبة التي مرت بها الخلافة الفاطمية، نتيجة لصغر سن الخلفاء وضعفهم مما أتاح للوزراء فرصة السيطرة عليهم، من خلال ذلك يبرز دور المرأة الإيجابي الذي أسهم في إنقاذ الخلافة والحد من سيطرة الوزراء، ومن هنا تنبع أهمية الدراسة بحيث وقفت على كشف الجوانب المختلفة عن تدخل النساء في إدارة شؤون الدولة، سواء أكان هذا التدخل سلبي أم إيجابي على الدولة ومقّدراتها.

ومع استثناءات قليلة، تندر الدراسات التي تناولت أوضاع المرأة في ذلك العصر بالرغم من أهمية هذا الموضوع، إلا أنه لم نعثر على دراسة شاملة ومفصلة لدور المرأة كلياً في العصر الفاطمي، وبذلك نجد أن موضوع المرأة في مصر بالتحديد في الدولة الفاطمية بحاجة إلى دراسات مستفيضة لاستكمال حلقات النقص في الكثير من الجوانب في حياة المرأة المصرية في ظل العصر الفاطمي، ونحن ندرك مدى اختلافه عن غيره، من العصور السابقة في تاريخ مصر سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعقدياً وثقافياً.

واشتملت الرسالة على عدة جوانب أولها التمهيد الذي تناول أوضاع الدولة الفاطمية في مصر في الفترة قبيل دخول الفاطميين إلى مصر وفيه أشرت إلى ما كانت عليه الأوضاع في مصر بعد أن انفرد واستقل بها الحكام عن الخلافة في بغداد وأصبحت بذلك تابعة للخلافة العباسية بالاسم كسباً للشرعية في الحكم، والظروف التي ساعدت على نجاح الفاطميين في دخول مصر وتحويلها من سلطة الخلافة العباسية السنية إلى عاصمة الدولة الفاطمية الشيعية وما مثله ذلك من انقلاب سياسي وعقدي، بالتالي فقدت الخلافة العباسية سلطتها في مصر وبقيام خلافة جديدة شيعية المذهب لا تعترف بشرعية الخلافة العباسية.

وتناول الفصل الأول دراسة فئات النساء في المجتمع الفاطمي واشتمل على نساء الخاصة من أمهات الخلفاء وزوجاتهم وبناتهم، ونساء العامة وأوضاعها ثم نساء اليهود والنصارى، ثم الجواري في المجتمع الفاطمي من حيث أنواعهن وطرق جلبهن ثم أثرهن في المجتمع الفاطمي سواء أكان هذا الأمر سلبي أو ايجابياً مع التطرق لأبرز أدوارهن داخل القصور وخارجها.

أما تناول الفصل الثاني والذي يشكل صلب الموضوع فتناولت دور المرأة السياسي

والإداري في الدولة الفاطمية من خلال تسليط الضوء على دور المرأة خلال عصر قوة الخلفاء وتمثل في دور (ست الملك) سياسياً وادرياً، إشارة إلى تدخلها في الدولة منذ عهد والدها الخليفة العزيز مروراً بخلافة أخيها الحاكم وخلافة الظاهر بن الخليفة الحاكم وحتى وفاتها سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م كما تناولت دور السيدة (رصد) أم الخليفة المستنصر حيث يعتبر عهد الخليفة المستنصر وإلى النصف الأول منه يدخل ضمن عهد الخلفاء الأقوياء وبحلول الشدة العظمي حيث عهد الخليفة المستنصر لبدر الجمالي بتولي الوزارة وجعل له تفويضاً شاملاً على إدارة الدولة سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م ومنذ هذا التاريخ دخلت الدولة في عهد سلطة نفوذ الوزراء، من أرباب السيوف، واشتمل المبحث الأخير فيه على دور نساء العصر الفاطمي الثاني والذي وقع فيه الخلفاء الفاطميين تحت سيطرة الوزراء في الدولة، ومن خلال ذلك برز دور نساء القصر بشكل مختلف حيث كن يقمن بالتآمر ضد الوزراء للمحافظة على الخلافة.

وكذلك تناول الفصل الثالث دور المرأة الاقتصادي بالوقوف على أوضاع فئات نساء الخاصة الاقتصادية، مما انعكس ذلك في منشاتهن العمرانية، بالإضافة إلى تناول أوضاع نساء العامة ومدى تأثر المرأة بالظروف الاقتصادية السيئة في الدولة.

وعالج الفصل الرابع جوانب أخرى من حياة المرأة تتمثل في عادات الزواج في العصر الفاطمي، ثم الوقوف على بعض جوانب من الاحتفالات العائلية في الأسر والاحتفالات الرسمية في الدولة ومشاركة المرأة من خلالها، ودور المرأة العلمي والثقافي وأيضا عادات الأطعمة والأشربة التي كانت منتشرة في ذلك العصر، وتحدث المبحث الأخير عن ملابس النساء وزينتهن في ذلك العصر الذي حفل بالثراء.

وخلصت هذه الدراسة إلى أن المرأة في الدولة الفاطمية كان لها سلطة ونفوذ وكانت تتمتع بمكانة كبيرة ، ولكن قلة المادة تقف حائلاً دون تغطية كافة جوانبها في تلك الحقبة التاريخية المهمة.

وهذا جهد المقل وإذا قصرت فمني، وإذا أصبت فبتوفيق من الله سبحانه وتعالى.

عرض وتعريف بالمصادر والمراجع

إن المتتبع للمصادر التاريخية المختلفة في حقول التاريخ الإسلامي عموماً والتاريخ الفاطمي خصوصاً يلاحظ ندرة المعلومات الأولية المتوفرة فيما يتعلق بالمرأة الفاطمية باستثناء بعض من نساء الفئة الخاصة مثل أمهات الخلفاء الفاطميين، وشقيقاتهم وزوجاتهم ممن أسهمن بدور سياسي بارز، في بعض المراحل التاريخية وحظين بمكانة بارزة ومؤثرة مما استدعي المؤرخين للكتابة حولهن مثل (ست الملك) شقيقة الخليفة الحاكم بأمر الله ٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م والسيدة (رصد) أم الخليفة المستنصر بالله ٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م في حين تندر المعلومات بشكل ملفت للنظر عن نساء الفئات الأخرى خصوصاً نساء العامة، بحيث يصعب على الباحث تكوين صورة متكاملة عن وضع المرأة السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وهي معضلة لا تواجه الباحث فقط بتاريخ المرأة وإنما تتصل بدراسة كل جوانب التاريخ الاجتماعي الإسلامي.

ويهدف هذا العرض إلى التعريف بالمصادر الأولية التي استندت عليها هذه الدراسة وبيان الفائدة التي قدمتها هذه المصادر، وقيمة المعلومات وأهميتها بالنسبة للدراسة.

وكذلك أفادت هذه الدراسة من الكثير من المراجع والدراسات الحديثة والرسائل الجامعية والدوريات، التي تناولت المرأة في الدولة الفاطمية بشكل أو بآخر.

ولتسهيل هذا العرض فقد قُسمت المصادر إلى مجموعات كما يأتي:

(١) كتب الحوليات:

وهي التي تؤرخ للأحداث حسب السنين وهي أكثر المصادر شيوعاً في التاريخ الإسلامي وأيسر استخداماً للباحث بحيث تورد الأحداث حسب السنين في تتابع وتسلسل ومن خلالها يستطيع الاطلاع على الأوضاع والأحوال في تعاقب الحوادث و السنين على الدول.

ومن المصادر الحولية في تاريخ الفاطميين في مصر والتي أفادت منها هذه الدراسة كتاب" أخبار مصر" للمسبحى عز الملك محمد بن أحمد (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م) وهو الذي قام بجمعه أيمن فؤاد السيد وهو عبارة عن نقولات عنه لدي الكثير من المؤرخين المتأخرين و جمعه في شكل نصوص حوليه على حسب حوادث والسنين، وحقق منه الجزء الأربعون الخاص بالفاطميين الذي يضم حوادث سنتي ٤١٤- ٤١٥هـ/١٠٢٣- ١٠٢٤م وتمثل هذه الفترة أحداث سنتين من عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) وكانت هنالك إشارات هامة عن دور ست الملك في إرساء قواعد البيعة والخلافة للظاهر وترتيب أوضاع

الدولة إلى وفاتها بالإضافة إلى الكثير من الإشارات عن الأحداث العامة في الدولة[١].

ومن المصادر الحولية المعاصرة للدولة الفاطمية كتاب "تاريخ الأنطاكي"المعروف" بصلة تاريخ اوتيخا" (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٧م) الذي يؤرخ لحقبة من تاريخ الدولة الفاطمية في مصر وبلاد الشام عاصرها المؤرخ بنفسه وتمتد بين ٣٢٦- ٤٢٥هـ/٣٣٨- ١٠٣٥م ويعتبر مكملاً لكتاب تاريخ "سعيد بن البطريق" المعروف بتاريخ اوتيخا ونجد أن المؤلف كان أميناً في كتابته حيث أظهر حياداً واضحاً في حديثه عن المسلمين بالرغم من أنه كان بطريكاً على الإسكندرية واتسم تدوينه بالحياد التام في نقل الأحداث، وقد أفاد هذا المصدر في بعض الأحداث التي كانت تدل على سوء سياسة الخليفة الحاكم في الرعية مما أورده الأنطاكي " ولم يبقَ من رؤساء دولته من له ذكر ونباهة"[٢] في إشارة إلى تزايد قتل الحاكم لرجال دولته وكذلك تتبع الكثير من أحداث الدولة الفاطمية في مصر وكذلك امتداد نفوذها في بلاد الشام.

ولكتاب "تاريخ دمشق" لابن يعلي حمزة القلانسي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) أهمية خاصة في معرفة توسع النفوذ الفاطمي في بلاد الشام، فمؤلفه معاصر للأحداث حيث توفي قبل نهاية الدولة الفاطمية باثني عشر عاماً، ولذلك دون الكثير عن الوجود الفاطمي في بلاد الشام ولم يغفل عن أحداث مصر، حيث كانت كلاً من بلاد الشام، ومصر مسرحاً لأحداث الدولة الفاطمية، وفي مصر أورد نص يدل على انعكاس سوء سياسة الخليفة الحاكم في الدولة عندما شكى رجال الدولة لأخته ست الملك وعملت على تدبير أمر اغتياله[٣] وغير ذلك من الأحداث في عصر الخليفة الحاكم وكذلك الصراع على الوزارة في عهد الخليفة الحافظ.

وساهمت بعض المصادر الحولية في تغطية الكثير من الجوانب المهمة في تاريخ الدولة الفاطمية وخاصة في الفترات المتأخرة منها كتاب "نصوص من أخبار مصر" لابن مأمون البطائحي (ت ٥٨٨هـ/١١٩٢م) التي جمعها أيمن فؤاد السيد من مصادر متأخرة وهي ذات أهمية بالغة لدراسة تاريخ الفاطميين، فهو غني بتفصيلاته عن نظم الدولة الفاطمية ورسومها وهو إلى جانب ذلك المصدر الوحيد لفترت الخلفاء المتأخرين في الدولة الفاطمية، ويعد مؤلفه معاصراً

---

(١) المسبحي، عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، **نصوص من أخبار مصر**، أعتني بجمعها أيمن فؤاد السيد مستخرج من حوليات أسلامية، المجلد١٧، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ط١، ١٩٨١م، ص١٤ ، وسيشار إليه لاحقاً المسبحي، أخبار مصر.

(٢) الأنطاكي، يحي بن سعيد (ت ٤٥٨هـ/١٠٣٦م)، **تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا**، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، جروس بروس، لبنان، ط١٩٩٠م، ص٢٨٤، وسيشار إليه لاحقاً، الأنطاكي تاريخ الأنطاكي.

(٣) ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي التميمي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م)، **تاريخ دمشق**، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط١، ١٩٨٣م، ص١٢٧–١٢٨، وسيشار إليه لاحقاً، ابن القلانسي، تاريخ دمشق.

للإحداث، وأفادت منه الدراسة كثيراً لأنه عاصر الدولة الفاطمية في أواخر عهدها ولأن المعلومات التي أوردها ابن المأمون البطائحي عن نظام بلاط الفاطميين في الفترة المتأخرة للدولة الفاطمية دقيقة ومفصلة كان ذلك في الوقت الذي بدأت فيه الدولة الفاطمية بالاستقرار، واكتملت مظاهر عظمتها بعد ما أصابها من ضعف وانحلال في زمن الشدة المستنصرية، وبعد أن أعاد لها بدر الجمالي استقرارها وقوتها، وقدم لنا ابن مأمون الكثير والمفيد عن وصف مواكب الخلفاء وركوبهم في الأعياد والمواسم وصف بالتفصيل الدقيق ما كان يخرج من دار الكسوة ويوزع على أرباب الدولة وموظفيها، وما يوزع على نساء الخاصة في القصور والجواري من رواتب وجرايات على مختلف المواسم، وما يقدم في الأسمطة من مأكل ومشرب منذ فتره خلافة الآمر بأحكام الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)[٤] وهو الذي طور وأعاد الكثير من الاحتفالات في الدولة بعد انقطاع الكثير منها بسبب الشدة المستنصرية.

ومن المصادر الهامة في دراسة العصر الفاطمي كتاب "أخبار الدول المنقطة" لابن ظافر الأزدي (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) وأعطي معلومات قيمة ومهمة لأنه اعتمد على نصوص من ابن المأمون خاصة بالقسم الخاص بالفاطميين، وعن سياسة الحاكم في الدولة، وذلك عندما يورد أن الخليفة الحاكم تغير أمره في آخر عمره[٥].

ومن الكتب الحولية الأكثر شهرة كتاب "الكامل في التاريخ" لعز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) والمعروف بابن الأثير وهو من ابرز مؤرخي التاريخ الإسلامي العام لأنه اعتمد في مادته على نقولات من مؤرخين معاصرين لم تصلنا كتبهم ووصلت بعض النصوص التي نقلها من أبي الحسن الروحي، ويتناول ابن الأثير التاريخ لأكثر من ستة قرون فهو مؤلف جامع لمختلف أخبار الدول والملوك، والتزم فيه بالمنهج الحولي، لذا كانت ترد عنده الأحداث بتتابع السنين ومن بينها الأحداث المتعلقة بالعصر الفاطمي في المغرب في مصر وبلاد الشام، لذلك اشتمل الكامل في التاريخ على جوانب عدة عن أحداث الدولة الفاطمية ومن بينها معلومات قيمة عن المرأة في العصر الفاطمي خاصة في مصر.

ويعد كتاب "المنتقى من أخبار مصر" لمحمد بن علي بن ميسر على جانب كبير من الأهمية (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م) ويعتبر تاريخ المسبحي مصدر رئيسي لكتاب ابن ميسر والذي يشتمل على أحداث للسنين من ٤٣٩- ٥٥٣هـ/٤٧١- ١١٥٨م وهو يشابه المقريزي في نصوصه.

---

(٤) ابن المأمون، الأمير جمال الدين أبو علي موسي بن المأمون البطائحي (ت ٥٨٨هـ/١١٩٢م)، **نصوص من أخبار مصر**، تحقيق: أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة، ط١، ١٩٨٣م، (حوادث ٥١٦هـ(، ص٣٥ . وسيشار إليه لاحقاً ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر.

(٥) ابن ظافر، جمال الدين علي الأزدي (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، **أخبار الدول المنقطعة، دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين**، تحقيق: اندريه فريه، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ط١، ١٩٧٢م، ص٥٧ ، وسيشار إليه لاحقاً، ابن ظافر، أخبار الدول.

وأفاد كتاب "كنز الدرر وجامع الغرر أو ما يعرف بالدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية" لابن أبيك الدوداري (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م) ومنه الجزء السادس وهو الجزء الخاص بالفاطميين الذي حققه أيمن فؤاد السيد واشتمل على مادة قيمة فيما يتصل بدور النساء الفاطميات خصوصاً ست الملك وتقيميه لها بأنها "ذات أدب وخلق ودين"[٦] في محاولة منه لإنصافها وتبرئتها من التهم التي نسبت إليها من قبل المؤرخين، وغيرها من الإشارات التي أفادت منها الدراسة والتي يصعب حصرها.

ويعد كتاب "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" للذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) من المصادر الحولية الضخمة، وهو يتناول التاريخ الإسلامي من عهد النبوة حتى الزمن الذي عاش فيه المؤلف، وقد أفادت منه الدراسة في الصراع بين طوائف الجيش الفاطمي، وما تركته من أثر سلبي على الدولة مما شكّل عاملاً من عوامل حدوث الشدة المستنصرية في عهد المستنصر.

ويعتبر كتاب تاريخ ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) المعروف بكتاب"العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لابن خلدون من المصادر التاريخية الضخمة التي أرخت للدول والشعوب الإسلامية، ولكن المعلومات التي أوردها ابن خلدون عن الدولة ، معلومات عامة لم تزد شيئاً على ما ذكره من سبقه من المؤرخين كابن الأثير، وهي في مجملها معلومات تاريخية عامة ساهمت في تغطية جوانب من أحداث الدولة الفاطمية في المغرب[٧] وبعض الأحداث في مصر.

من أهم المصادر الحولية التي أفادت منها هذه الدراسة وفي الكثير من جوانبها، كتاب المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) "اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا" وهو ثلاث أجزاء، واعتمدت عليه الباحثة كمصدر أساسي في الدراسة، وتأتي أهمية كتب المقريزي عموماً وكتاب اتعاظ الحنفا خصوصاً من كونه استقي مادته من مصادر معاصرة للدولة الفاطمية ولها بالغ الأهمية في دراسة تاريخ الدولة الفاطمية مثل ابن المأمون البطائحي، وابن ميسر والمسبحي الذين لم يصلنا من كتبهم إلا النصوص التي نقلها عنهم المقريزي وغيره من المؤرخين، وكذلك نقل المقريزي من أبي الحسن الروحي الذي لم تصلنا كتبه ووصلت منها أجزاء مبتورة ونقولات المؤرخين المتأخرين منه، وبذلك يعد المقريزي من أشمل المصادر لتاريخ الدولة الفاطمية منذ نشوءها في المغرب وحتى سقوطها في مصر، ولذلك اعتمدت عليه الدراسة كمصدر أساسي في الكثير من الجوانب المتعلقة بهذه الدراسة.

---

(٦) الدوداري، أبي بكر بن عبد الله بن أيبك (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م)، **الدرر المضية في أخبار الدولة الفاطمية**، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، ط١، ١٩٦١م، ص٣٠٠، وسيشار إليه لاحقاً الدواداري، كنز الدرر.

(٧) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ٧ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ج٤، ص٦٦، وما يلها ، وسيشار إليه لاحقاً ابن خلدون، العبر.

وقد أفادت الدراسة منه في الكثير من النواحي التي يصعب حصرها، ويمكن أن نشير إلى بعضها، ففي الفصل الأول منها الذي يدور حول قيام الدولة الفاطمية ومنذ بذورها الأولي بالمغرب حتى انتقالها إلى مصر، مروراً بأوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر، وذلك فيما يتعلق بسياسية الخلفاء الفاطميين وطرق توليهم للخلافة وسياستهم في الدولة، وفي ذلك نجد أن المؤرخ المقريزي في "اتعاظ الحنفا" قدم معلومات شاملة ومفصلة حول أحداث مرحلة تكوين الدولة الفاطمية في المغرب وتعاقب خلفاء المغرب[٨] مروراً بالأحداث التي من خلالها استطاع الفاطميين الدخول لمصر، فأورد أخبار مسلسلة عن أخبار الفاطميين وفتحهم لمصر، ولذا لا يمكن حصرها جميعاً.

وفي الجزء الثاني من "اتعاظ الحنفا" أفدت منه في تغطية أحداث من تاريخ الدولة الفاطمية لفترة تمتد من سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م إلى سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م أي قرابة المائة سنة[٩] وهي الفترة من تولي الحاكم الخلافة سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م إلى نهاية سنة٤٨٧هـ/١٠٩٤م وهي السنة التي توفي فيها الخليفة المستنصر بالله، ومنها إشارات غاية في الأهمية عن دور المرأة وتدخلها في إدارة شؤون الدولة، وتدخل هذه الفترة ضمن تدخل وبروز دور ست الملك السياسي والإداري في الدولة في عهد خلافة أخيها الحاكم، ونجد فيه رواية مفصلة عن مشاركة ست الملك في عملية اغتيال الحاكم[١٠] واستمرار دورها في الدولة حتى بداية خلافة ابنه الخليفة الظاهر وإلى وفاتها، وكذلك تشمل هذه الحقبة من كتاب المقريزي دور أم المستنصر وتدخلها في الدولة وما حل بالدولة جراء تدخلها وغير ذلك من الأحداث المفصلة في تاريخ الدولة في تلك الفترة.

والجزء الثالث كذلك أفدت منه في تفصيل أحداث الفترات الأخيرة للدولة الفاطمية في مصر التي تمتد من سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م وإلى نهاية الدولة في سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م وفي هذه أورد المقريزي الكثير من الأحداث المهمة في تاريخ الدولة الفاطمية والتي امتدت من النصف الثاني لعصر المستنصر والذي انتقلت فيه السلطة إلى الوزراء في الدولة بما عرف بعصر الوزراء العظام ابتدءا من فترة الشدة العظمي وبدخول بدر الجمالي الأرمني وتولي الوزارة وبذلك انتقلت الوزارة إلى أرباب السيوف، ولم تخلو من تدخل النساء في الدولة فيما أورده المقريزي.

---

(٨) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، ٣ أجزاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ج١، ص١٤. وما يليها، وسيشار إليه لاحقا، المقريزي إتعاظ الحنفا.

(٩) **المقريزي اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص ٨، وما يليها، ج٢، ص٣٢٩.

(١٠) **المرجع نفسه**، ج٢، ص١١٥، وما يليها.

ومن المصادر الحولية التي أفادت منها الدراسة في جوانب متفرقة ومتعددة لأن عادت أخبار النساء تأتي متفرقة في طيات الكثير من المصادر المختلفة ومنها كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) وفيه أخبار متفرقة عن النساء.

وكتاب "المختصر في أخبار البشر" لأبي الفداء المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمود شاهنشاه (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م).

ومن بين المصادر الحولية التي اشتملت على الكثير من الإشارات التاريخية الهامة عن أحداث الدولة الفاطمية في مصر على مر العصور كتاب "النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة" أبو المحاسن الأتابكي المعروف بابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) حيث أرخ فيه ابن تغري بردي لتاريخ مصر منذ الفتح الإسلامي إلى تاريخ وفاته ومن خلال ذلك حظيت الفترة الفاطمية بمعلومات هامة في مختلف أجزائه وكان الجزء الرابع فيه كثير من الإشارات عن دور ست الملك في عهد الخليفة الحاكم[١١] ونجد أن ابن تغري بردي نقل نصوصاً هامةً عن الدولة الفاطمية من ابن طوير عند حديثه عن نظم ورسوم الفاطميين في مصر.

(٢) المصادر الإسماعيلية:

الدارس لتاريخ الدولة الفاطمية ونشأتها في المغرب وتوسعها لابد له من الرجوع إلى المصادر الإسماعيلية والتي تناولت نشأة الدولة الفاطمية وانتشارها وما أصابها من أحداث خلال مراحها المختلفة، ولعل كتاب "افتتاح الدعوة" للقاضي النعمان بن حيون (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م) من بين أهم المصادر التي تناولت قيام الدولة الفاطمية منذ ظهور الدعوة بالمغرب وتوسعها وكان مؤلفه قريب من الأحداث التي سجلها وكتبها، ويعتبر مصدراً رئيساً واستند عليه الكثير من المؤرخين الذين كتبوا عن نشأة الدولة الفاطمية مثل ابن الأثير والمقريزي وابن خلدون.

للقاضي النعمان كتاب أخر وهو "المجالس والمسايرات" وهو سجل فيه الكثير من الأقوال وتصريحات غاية في الأهمية صادرة من الخلفاء الفاطميين، فقد أفادت منه الدراسة بشكل خاص فيما أصدره الخليفة المعز في أمر النائحات[١٢] وبعض معلومات عن تعليم المرأة في العصر الفاطمي.

وتعد "السجلات المستنصرية" الصادرة عن الخليفة المستنصر وغيره من الخلفاء الفاطميين من المصادر الوثائقية التي تتضمن وقائع وحوادث للدولة الفاطمية وعلاقتها السياسية والدينية مع

---

(١١) ابن تغري بردي، أبن تغري بردى،جمال الدين أبى المحاسن يوسف الأتابكى (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة**، ١٦ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص١٨٩، وسيشار إليه لاحقاً ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة.

(١٢) النعمان، القاضي بن محمد (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م)، **كتاب المجالس والمسايرات**، تحقيق: الحبيب الفقي، إبراهيم شيوخ، محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧م، ص٤٩٣.

اليمن، والتي من خلالها نعرف الدور الذي لعبته المرأة في السياسة من خلال مشاركة النساء في إدارة الدولة في مصر واليمن حيث كان الخليفة المستنصر يعتبر الملكة الحرة " السيدة أروى الصليحية" ملكة اليمن مثالاً للمرأة ولكفاءتها في إدارة شؤون بلاد اليمن، وكذلك حفلت السجلات المستنصرية بإشارات إلى العديد من ألقاب النساء في العصر الفاطمي وكذلك مراسلاتهن في الدولة مما يدل على دورهن وتدخلهن السياسي والإداري في الدولة في مصر واليمن وهذا الجانب يمثل أهمية كبري بالنسبة لهذه الدراسة.

وإلى جانب ذلك تعد أوراق البردي العربية التي نقلها إلى العربية حسن إبراهيم حسن ذات أهمية بالغة في معالجة الجوانب الاجتماعية من خلال عقود الزواج التي كانت تدل على قيمة الصداق و أنواع جهاز العروس واختلافه بين طبقة الخاصة والعامة.

(٣) المصنفات الإدارية:

أفادت هذه الدراسة من مجموعة من المصنفات الإدارية الهامة وفي وجوانب متعددة والتي عنيت بدراسة نظم الفاطميين ورسوم دولتهم في مصر وتراجم رجال الدولة من الوزراء والقواد، ومن أهمها كتاب "الإشارة إلى من نال الوزارة" لابن الصيرفي (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م) وفيه اختص بتراجم الأمراء والوزراء في العصر الفاطمي، وكتاب "نزهة المقلتين في أخبار الدولتين " لابن طوير (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م) الذي يعد أهم مصادر الدراسة، والنواحي التي أفادت الدراسة منه عدة لان المؤلف كان معاصراً للدولة الفاطمية وتولى ديوان الرواتب فيها ولذلك كان له اطلاع واسع على الشؤون الإدارية في الدولة و يعد من طبقة الإداريين الذين أوكلت لهم الدولة وظائف الإشراف على الدواوين الإدارية في مصر حيث تقلب في خدمة الدواوين الفاطمية ثم الأيوبية(١٣) وذكر الكثير والمفيد عن دواوين الدولة ومن ضمنها ديوان أم الخليفة المستنصر وأيضا أحداث الصراع على الوزارة بين الوزراء، مما يبرز أهمية دور المرأة في الدفاع عن الخلافة ومقررتها والسعي للتخلص من سلطة الوزراء ونفوذهم وفي جانب أخر أورد معلومات هامة عن خزائن الدولة وجلوس الخلفاء وركوبهم في المناسبات المختلفة وغيرها من الرسوم الفاطمية.

وكذلك موسوعة "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م) وكانت له فائدة في جوانب متفرقة متعلقة بالدراسة.

---

(١٣) ابن طوير، القاضي المرتضي أبو محمد عبد السلام بن علي القيسراني (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م)، **نزهة المقلتين في أخبار الدولتين**، تحقيق: أيمن فؤاد السيد، دار النشر فرانتس شتايز شتوتغارت، ط١، ١٩٩٢م، مقدمة المحقق، ص١٠ ، وسيشار إليه لاحقاً ابن طوير نزهة المقلتين.

كتب الموسوعات:

ومن الموسوعات المهمة التي أفادت منها الدراسة كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) وقد أتم القلقشندي موسوعته في سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م وضمنها مختلف الوثائق الرسمية التي ترجع إلى العصور الإسلامية المختلفة ومن ضمنها العصر الفاطمي، وقد ساهمت هذه الموسوعة في تغطية الكثير من المعلومات في هذه الدراسة، ونجد أن معلومات القلقشندي عن الدولة الفاطمية تشابه إلى حد كبير معلومات المقريزي في الخطط فيما يتعلق بنظم الدولة الفاطمية لاعتماده على مصادر اعتمد عليها المقريزي مثل ابن الزبير وابن طوير، وكذلك كانت له إشارات متعددة لمواكب الخلفاء في الأعياد وعن الدواوين وخزائن الدولة الفاطمية ورواتبها.

ويعد كتاب "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" المعروف بالخطط للمقريزي وهو يعد موسوعة شاملة في جغرافية وتاريخ مصر والدول التي تعاقبت عليها حتى منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ومن ضمنها الدولة الفاطمية، حيث كان المقريزي يذكر مصادر معلوماته وأحيانا لا يذكرها وفي ما يختص بالخمسين سنة الأولى من تاريخ الفاطميين في مصر أعتمد في خططه على ابن زولاق والمسبحي وفيما يختص بتاريخ الفاطميين في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي استند على كتاب ابن الزبير الذخائر والتحف وسيرة الوزير اليازوري الذي لم يصل إلينا وعلى متأخرين مثل ابن ميسر، وفيما يختص بتاريخ الفاطميين في القرن السادس فإنه اعتمد على تاريخ ابن ميسر وابن المأمون وابن الصيرفي، حيث اعتمد عليهم في الكثير من المعلومات عن نظم الفاطميين ورسومهم وغيرها من الإشارات المفيدة، وفيما يتعلق بهذه الدراسة فقد أفادت منه الكثير والذي لا يمكن حصره أنما جملة ما أفادت منه الدراسة فيما ورد عنده من ذكر لمنشآة النساء العمرانية في العصر الفاطمي ويضم معلومات كثيرة عن حارات القاهرة ومنشاتها مما يعكس لنا جانب من ثروات نساء الخاصة في إنشاء الكثير من الجوامع والربط وغيرها، وفيه أيضا وصفاً مسهباً لمواكب الخلفاء ورسومهم والتي تحوي رسوم ومصروفات نساء الخاصة في القصور والجواري، كذلك عني فيه بالكثير من النظم الإدارية للدولة الفاطمية وبالتالي كانت الإشارات فيه متعددة عن دور ومشاركة نساء الخاصة في الإدارة في الدولة، وترد فيه إشارة كما وردت عند غيره ينفي فيها مشاركة ست الملك في عملية اغتيال الخليفة الحاكم(١٤).

وهنالك مصدر له أهمية كبرى بالنسبة للدراسة وهو كتاب "الذخائر والتحف" للقاضي

---

(١٤) المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط،** ٣ أجزاء، دار صادر، بيروت، ج٤، ص ٧٤. وسيشار إليه لاحقاً، المقريزي، المواعظ والاعتبار.

الرشيد بن الزبير من مؤرخي القرن الخامس/الحادي عشر الميلادي، ونجد أن الكثير من المؤرخين اللاحقين استندوا على ابن الزبير فيما يختص بتاريخ الدولة الفاطمية وفي تغطية الأحداث خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وأفادت منه هذه الدراسة بشكل مفصل عن ثروات نساء الخاصة في العصر الفاطمي.

(٤) كتب الأنساب والتراجم:

تعد كتب الأنساب والتراجم من المصادر المهمة والمساعدة على توضيح الروايات التاريخية المتعلقة بالخلفاء والسلاطين والأمراء والقادة الذين تناولتهم التراجم العامة على مر العصور وبما فيها الفترة الفاطمية، ومن خلال هذه التراجم تذكر الكثير من الأحداث في النواحي السياسية و الاجتماعية، ولعل أهم هذه التراجم كتاب "المقفى الكبير" للمقريزي، الذي تناول تراجم الخلفاء الفاطميين وأعيان الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وبلاد الشام واستند المقريزي على ابن الطوير في الكثير من تراجم الفاطميين في المقفي.

أفادت الدراسة من كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لابن خلكان(ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيه تراجم وافيه عن خلفاء ورجال الدولة الفاطمية.

وأفادت الدراسة من بعض كتب التراجم ممن اختصت بتراجم للنساء ومنها كتاب "تراجم أعلام النساء" الشيخ محمد حسين الأعلمي الحائري جزآن، وأفدت منه فيما وأورد من ترجمة لست الملك، وكذلك كتاب "الروضة الفيحاء في تواريخ النساء" للخطيب العمري الموصلي، أيضا أورد ترجمة لست الملك.

(٥) كتب الجغرافية و الرحلات:

وأهم كتب الرحلات التي أفادت منها الدراسة لما فيها من معلومات جيدة هي رحلة الرحالة الفارسي ناصر خسرو والتي عرفت "بسفر نامة" الذي زار مصر في خلافة المستنصر ومكث بها ثلاث سنوات (٤٣٩- ٤٤٢هـ/١٠٤٧-١٠٥٠م) وله أهمية في أنه دون مشاهدته بنفسه وهو رحالة لذا كتب ما شاهده من أحوال الدولة والتي من خلالها تناول الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية عن الدولة في تلك الفترة وما صاحبها من استقرار وتوسع وغني في بداية عهد المستنصر قبل الشدة العظمي.

وهنالك مصادر جغرافية أفادت منها الدراسة ومنها من اقتصر على تعريف المناطق الجغرافية والبلدان كتاب "الروض المعطار في أخبار الأقطار" للحميري (ت٦١٠هـ/١٢١٣) وكتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٣٨).

(٦) الدراسات الحديثة:

إضافة إلى ما سبق من استعراض للمصادر الأولية التي اعتمدت عليها الدراسة وبجانب ذلك فقد أسهمت العديد من الدراسات الحديثة في تغطية الكثير من جوانب هذه الدراسة سواء بعض المراجع الحديثة أو الرسائل الجامعية أو البحوث والمقالات في الدوريات والتي كانت جمعيها تشتمل على معلومات قيمة ومفيدة يصعب حصرها إنما سأشير إلى أهمها مما أفاد في موضوع الدراسة منها مراجع عالجت مواضيع مختلفة في الدولة الفاطمية وأهمها مؤلفات عبد المنعم ماجد وهي:

- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر.
- الحاكم بأمر الله الخليفة المفتري عليه.
- الإمام المستنصر بالله الفاطمي.

وهنالك العديد من الرسائل الجامعية التي تناولت الكثير عن العصر الفاطمي ومنها رسالة دكتوراه غير منشورة "الدولة الفاطمية في عهد الخليفة المستنصر بالله ٤٢٧هـ/١٠٣٥م- ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م" للدكتور عيسي محمود العزام، وهي تتحدث عن عصر الخليفة المستنصر وأفادت منها الدراسة في تلك الفترة التي تميزت بتدخل أم الخليفة المستنصر التي كان لها نفوذ كبير في الدولة مما نتج عنه وبالتضافر مع عدة جوانب أخرى من ضمنها ضعف شخصية الخليفة المستنصر حيال تعاظم نفوذ والدته في الدولة مما أدي إلى حدوث الشدة العظمي من جراء تدخلها و سوء سياستها التي أدت إلى حدوث الفتنة بين طوائف الجند.

ومن الدراسات الحديثة التي تناولت المرأة في العصر الفاطمي دراسة ناريمان عبد الكريم والتي حملت عنوان المرأة في مصر في العصر الفاطمي، ونجد أنه من العسير على المرء أن يقدم جديداً في موضوع طرقه غيره من الباحثين وقد يكون التجديد في الكيفية التي يعالج بها الموضوع، مع إبراز نواح أهملها سابقيه أو تناولوها بصورة تفتقر إلى العمق في المعالجة والتحليل، وهو ما حاولته الباحثة في دراستها حتى تتفرد عن من سبقها في دراسة موضوع المرأة في العصر الفاطمي، ولا بد من أن يكون هنالك اختلاف بين الدراستين، حيث تعرضت في دراستي إلى بعض الجوانب التي مرت بها الدارسة السابقة مروراً سطحياً مثل التعليم وبعضها لم تتناوله مثل نساء العامة بالرغم من أنها اعتمدت على مخطوطات أصلية توفرت لها بحكم وجودها في مصر مسرح الدولة الفاطمية، والى جانب وجود المتاحف ودور المخطوطات التي كانت تحوي هذه النسخ، وتعمقت الباحثة في دراستها في الكثير من الجوانب وحللت مقارنة بين ما كان من سلطة النساء وتدخلهن في إدارة الدولة في العصر الفاطمي الأول وعصر نفوذ الوزراء مقسمة بذلك فترة الدولة الفاطمية في مصر إلى فترتين فترة سلطة الخلفاء الأقوياء واستبدادهم بأمور الدولة، وفترة سلطة نفوذ الوزراء من أرباب السيف وعقد مقارنة معمقة بين نفوذ النساء في الفترتين، ثم إضافة إلى توضيح الجوانب الإيجابية

على الدولة لتدخل النساء في الإدارة وفي الجانب الأخر أبرزت الآثار السلبية لهذا التدخل من سوء إدارة وتدخل بعض النساء في الإدارة هذا ما كان في مقارنة بين "دور ست الملك السياسي والإداري في الدولة وبين دور السيدة رصد أم الخليفة المستنصر" وتوصلت إلى نتيجة وهي اختلاف دور المرأة في العصر الفاطمي الأول عنه في العصر الثاني وما جره سوء تدخل أم المستنصر على الدولة من الخراب بالرغم مما كانت عليه من ازدهار وتوسع وهذا ما أغفلته الدراسات السابقة[١٥] وتفردت به الباحثة في هذه الدراسة في تناول موضوعات لم تتعرض لها الدراسة السابقة ومن بينها، نساء العامة، والزواج السياسي والتعليم والأوضاع الاقتصادية وإضافة إلى أن الدراسة السابقة أغفلت العديد من المصادر ولم تُفد منها وعلى سبيل المثال، ابن طوير، وابن مأمون البطائحي، والذهبي في تاريخ الإسلام، القاضَي النعمان في كتابيه المجالس والمسايرات وافتتاح الدعوة، وكذلك أغفلت الدراسة الدقيقة والتحليل المعمق للمقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا، والخطط الذي كان يحوي الكثير من المعلومات عن المرأة في العصر الفاطمي وغير ذلك من المراجع الحديثة التي لم ترد في دراسات السابقة، وغيرها من الفوارق التي كانت واضحة بين الدراستين.

ومن الأبحاث التي تناولت نساء بعينهن في العصر الفاطمي وأفادت منها الدراسة لما اشتمل على معلومات قيمة، بحث "دور ست الملك الإداري والسياسي في الدولة الفاطمية ٣٨٦-٤١٥هـ/٩٦٦-١٠٣٤م" للدكتور عيسى محمود العزام.

وهناك بحث آخر بعنوان "ست الملك ٣٥٩هـ/٩٦٩م- ٤١٥هـ/١٠٢٣م" لامين فرشوخ.

وبحث لعبد المنعم ماجد امرأة مصرية تتزعم مظاهرة نشر ضمن مجلة الدراسات التاريخية عدد ١٩٧٧م.

---

(١٥) عبد الكريم، ناريمان أحمد، **المرأة في مصر في العصر الفاطمي**، النهضة المصرية لصناعة الكتاب، ط١، ١٩٩٣م، ص١٩٥-٢٠٧، وسيشار إليه لاحقاً عبد الكريم، المرأة في العصر الفاطمي.

أوضاع الدولة الفاطمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية (٣٦٢-٥٦٧هـ/ ٩٧٢-١١٧١م)

نشأت الدولة الفاطمية في إفريقيا سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م وامتد نفوذها إلى بلاد المغرب وصقلية ومصر والشام والحجاز واليمن، وأصبحت دولة مترامية الأطراف تزاحم الخلافة العباسية في بغداد[١٦] وقد أدرك الشيعة صعوبة قيام دولتهم في الشام لقربها من مركز الخلافة العباسية في العراق، ورأوا أن شمال أفريقيا أكثر أمناً لهم لبعدها عن بغداد، فضلاً عن استعداد البربر في شمال أفريقيا لاعتناق المذهب الشيعي، ومهد دعاة الفاطميين الطريق لنشر المذهب الإسماعيلى[١٧] ومن ثم دخل الداعي عبد الله الشيعي[١٨] من دعاة الفاطميين وأنتقل إلى المغرب سنة ١٤٣هـ/٧٦٠م حيث رحبت به قبائل كتامة وأقبل عليه البربر[١٩] للدخول في دعوته وتمكن الداعي عبد الله من نشر المذهب الشيعي بين القبائل في بلاد المغرب وأرسل إلى عبيدالله المهدي يخبره بما فتح الله عليه بنشر دعوته وأنهم ينتظرونه[٢٠] واكتست دعوة الشيعي بالصبغة الدينية والعلوم الشرعية[٢١] وبذلك أحرز النجاح ودخلت القبائل من كل حدب وصوب في الدعوة[٢٢].

---

(١٦) المقريزي، **إتعاظ الحنفا**، ج١ ص ٣٥، انظر، أبى الفداء عماد الدين إسماعيل بن على بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٧٣٢هـ/١٣٢٢م) **تاريخ أبى الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر**، جزءان علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٩٩٧م، ص ٣٨٩-٣٩٠ وسيشار إليه لاحقا: أبى الفداء المختصر في أخبار البشر.

(١٧) النعمان، بن محمد بن حيون (ت ٣٦٣هـ/٩٧٤م) **كتاب افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ط ١٩٧٥م، وسيشار إليه لاحقاً: النعمان، افتتاح الدعوة، للمزيد عن بداية الدعوة الفاطمية في اليمن انظر نفس المصدر، ص٢ وما يليها.

(١٨) عبدالله الشيعي، هو عبدالله بن الحسين بن احمد محمد بن زكريا وهو من دعاة الفاطميين في المغرب، انظر: الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص١١٣، انظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) **سير أعلام النبلاء تحقيق عبد القادر عطا**، ج١٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٩، ص ٣٥٩، وسيشار إليه لاحقا: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٢٦.

(١٩) ماجد، **الحاكم بأمر الله الخليفة المفتري عليه**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢م، ص ١٦٦، وسيشار إليه لاحقاً: ماجد، الحاكم بأمر الله.

(٢٠) المقريزي، **إتعاظ الحنفا**، ج١، ص٤٣.

(٢١) الدشرواي، فرحات، **الخلافة الفاطمية بالمغرب (٢٩٦-٣٦٥هـ/٩٠٩-٩٧٥م)**، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط١ ١٩٩٤م، ص٨٨، وسيشار إليه لاحقا: الدشرواي الخلافة الفاطمية.

(٢٢) النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٧٩، وما يليها.

وأن المهمة الروحية والدنيوية التي حددها الداعي عبيد الله الشيعي لنفسه فهو لا يعمل لحسابه بل لحساب "المهدي المنتظر "من ولد فاطمة[٢٣] ابنة رسول الله ﷺ.

وعندما انتشر خبر عبيد الله المهدي بين الناس وعلم الخليفة العباسي المكتفي بالله ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م بدعوته أمر بالقبض عليه وفر عبيد الله المهدي من سلمية[٢٤] ومعه أبنه أبو القاسم وخاصته ومواليه[٢٥] ووصل إلى طرابلس ومعه أبو العباس أخو عبدالله الشيعي الداعي ومنها إلى سلجاسمه[٢٦] وكان ملكها مدرار بن عبدالله[٢٧] وقد أكرم المهدي، وعندما أرسل إليه زيادة الله الأغلبي[٢٨] بأمر المهدي بأنه هو الرجل الذي يدعو له أبو عبد الله الشيعي ومن ثم أمر بالقبض عليه[٢٩] وسجنه وعزم أبو عبدالله

---

(٢٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ولي الدين الحضرمي (ت ٨٠٨هـ /١٤٠٥م)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق حامد أحمد الطاهر دار الفجر للتراث ط١، ٢٠٠٤م، ص ٣٨٤. وسيشار إليه لاحقا: ابن خلدون، المقدمة.

(٢٤) سلمية: هي بلدة من نواحي الشام وكانت تابعة إلى حماه، وكانت تعد من ضواحي حمص. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبى عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣، ص٢٧٢. وسيشار إليه لاحقا: ياقوت، معجم البلدان. وانظر: الحميري محمد عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ص٣٢٠، وسيشار إليه لاحقا: والحميري، الروض المعطار.

(٢٥) المقريزى، **إتعاظ الحنفا**، ج١، ص٦٠. النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص١٥٨.

(٢٦) سلجماسة: وهى من أعظم دول المغرب على طرف الصحراء، وبينها وبين فاس مسيرة عشرة أيام اتجاه الجنوب. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ص٢١٧. النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص١٥٧ وما يليها، انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٣٠٥.

(٢٧) مدرار بن اليسع بن أبى القاسم، وكان تابع بالولاء إلى الخليفة العباسي المعتضد وفى عهده وصل إلى المغرب عبيد الله المهدي وأبنه أبى القاسم ودخلا سجلماسه متنكرين ووصل خبرهما إلى الخليفة المعتضد وأوعز إليه بالقبض عليهم، واقبل عبد الله الشيعي ليخلصهم من السجن زاحفا بجيوشه، وفر اليسع وتسلم سلجلماسه وقتله الشيعي واستولى عليها وانتهى بني مدرار وولى عليها الشيعي رجلا من كتامة. النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص١٦٥. الزر كلى، خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج٣، دار العلم، بيروت، ص١٩٦، وسيشار إليه لاحقا: الزر كلى، الأعلام.

(٢٨) زيادة الله، هو ابن أبى العباس بن العباس عبد الله بن إبراهيم الأغلبى التميمي أبو مضر أخر أمراء الدولة الأغلبية بتونس، كان ميالاً إلى اللهو فأهمل شؤون الملك إلى أن استفحل عليه أمر عبد الله الشيعي داعية المهدي وقاتله زيادة الله زمناً ولم ينتصر عليه ثم جمع ماله وأهله وفر من افريقية سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م فنزل بمصر فأمر الخليفة العباسي المقتدر برده إلى المغرب وفى طريقه مرض ومات بالرملة وبذلك انتهت دولة الأغالبة في إفريقية وكانت مدة حكمها ١١٢ سنة وزيادة وهو ثالث من سمى بزيادة الله من الأغالبة، النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص١٥٦– ١٥٧، الزر كلى، **الأعلام**، ص٥٦.

(٢٩) المقريزي، **إتعاظ الحنفا**، ج١، ص٦٢، النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص١٦٥.

الشيعي على الهجوم على سلجماسة[٣٠] ولاذ أبن مدرار بالفرار[٣١] وسلم أهل سلجماسة مدينتهم إلى أبي عبدا لله الشيعي فدخلها وتمكن من إطلاق سراح المهدي وابنه[٣٢] سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م استولى عبد الله الشيعي على ملك دولة الأغالبة[٣٣] ومن ثم استولى على ملك بني مدرار وملك بني رستم في[٣٤] تاهرت[٣٥] وبذلك بسط المهدي سلطانه على المغرب[٣٦].

ومنذ وصوله إلى رقادة والقيروان[٣٧] أخذ المهدي في تخطيط بناء المهدية[٣٨] وسميت بالمهدية نسبة إلى الخليفة نفسه[٣٩]ودعي له بالخلافة على المنابر يوم الجمعة سنة ٢٩٧هـ/ ٩١٠م[٤٠] وخطب له بعد الصلاة بالدعاء إلى علي وفاطمة الزهراء والى الحسن والحسين ﷺ جميعاً[٤١] ثم نفذ الدعاء إلى الأمصار[٤٢] ولقب المهدي بأمير المؤمنين وبعد ذلك شرع المهدي في

---

(٣٠) الروحي، أبي الحسن علي بن عبد الله محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن (ت ٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، **بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق: عماد هلال، محمد حسني عبد الرحمن، سعاد عبد الستار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٨٦، وسيشار إليه لاحقاً، الروحي، بلغة الظرفاء.

(٣١) النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٢٧٩.

(٣٢) الدشرواى، **الخلافة الفاطمية**، ص١٧٨.

(٣٣) النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٢٢٧.

(٣٤) المقريزي، **إتعاظ الحنفا**، ج١، ص٦٦. رستم، صاحب تاهرت وهو ميمون بن عبد الرحمن بن رستم بن بهرام من ولد سابور ذي الأكتاف الفارسي وكان ميمون أباضياً وتعاقب على مملكة تاهرت بنو ميمون وبنو إخوته إسماعيل وعبد الرحمن بن رستم حتى عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م إلى أن دخلها عبد الله الشيعي بالأمان ثم قتل من فيها من الرستمية وبعث برؤوسهم إلى أخيه أبى العباس وطاف بهم في القيروان على باب رقادة وقد حكم بنى رستم تاهرت ١٣٠ سنة. الحميري، **الروض المعطار**، ص١٢٦.

(٣٥) تاهرت، مدينة مشهورة من مدن الغرب الأوسط على طريق تلمسان. الحميري، **الروض المعطار**، ص١٢٦.

(٣٦) النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٣٧) رقادة: تقع على أربعة أميال من القيروان، ويقال بناها إبراهيم بن أحمد الأغلبى وكانت دار لمملكته ومسكنه الحميري، الروض المعطار، ص٢٧١، القيروان، مدينة عظيمة بافريقية مصرت في الإسلام في عهد معاوية ابن أبى سفيان وسكنها المسلمين. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ص٤٢٠، انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٤٨٦، النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٢٣٧-٢٤٣، الروحي، **بلغة الظرفاء**، ص٢٨٦.

(٣٨) النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٣٢٧- ٣٢٨.

(٣٩) أبن حماد، أبى عبد الله محمد بن على، **أخبار بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس دار الصحوة القاهرة، ص٤١، وسيشار إليه لاحقا حماد أخبار بني عبيد.

(٤٠) الدواداري، **الدرر المضية**، ج٦، ص١٠٨، النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٢٤٩.

(٤١) النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٢٩٣.

(٤٢) الدشرواى، **الخلافة الفاطمية**، ص١٨٣. النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٢٩٣.

تنظيم شؤون دولته حيث نظم الدواوين وجباية الأموال[٤٣].

ولما استقر الأمر إلى الخليفة عبيد الله المهدي وأمسك بمقاليد الدولة وباشر الأمور بنفسه[٤٤] وكف يد أبي عبد الله الشيعي وأخيه[٤٥] حيث صعب عليهم الفطام عن الأمر والنهى والأخذ والعطاء[٤٦] وأخذوا يتزعمون مؤامرة مع بعض مشايخ قبائل كتامة وأبدوا الشكوك حول صحة إمامته[٤٧] ولكن المهدي علم بنواياهم[٤٨] ودبر قتلهم في سنه ٢٩٨هـ/٩١٠م[٤٩] وثارت بعض الفتن لقتلهم ولكن المهدي أخمدها جميعاً.

وبعد أن سيطر الفاطميون على المغرب بأسره[٥٠] أخذ المهدي يتجه بأنظاره إلى المشرق خصوصا أن الخلافة الفاطمية تواجه خطرين وهما، خطر الخلافة الأموية في الأندلس في الغرب الإسلامي، والخلافة العباسية في المشرق الإسلامي وتعهد الخليفة الفاطمي الأول بعد استيلائه على إفريقية بقهر (العباسيين المغتصبين)[٥١] للخلافة منهم، وبعد استقرار الأوضاع الداخلية للخليفة انطلقت الجيوش الفاطمية اتجاه مصر .

ومن الملاحظ أن المهدي أرسل جيوشه وأعاد غزو مصر بعد أربع سنوات فقط من تاريخ تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب سنة ٣٠١هـ/٩١٣م وفى سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م أرسل الحملة الثانية لمصر بقيادة أبنه أبى القاسم[٥٢] فوصل إلى الإسكندرية فبعث الخليفة المقتدر العباسي لهم مؤنسا الخادم[٥٣] وهزمهم.

وأن هذه الحملات لم تحقق الهدف من الاستيلاء على مصر بل دفعت الخلافة العباسية إلى تعزيز قواتها العسكرية في مصر للتصدي لهجوم الفاطميين[٥٤] والحيلولة دون تحقيق مطامعهم.

---

(٤٣) المقريزى، **إتعاظ الحنفا**، ج١، ص٦٦، النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٣٠٣.

(٤٤) أبى الفداء، **المختصر**، ج٢، ص٣٩٢.

(٤٥) النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٢٨٩.

(٤٦) أبى الفداء، **المختصر**، ج٢ ص٦٧.

(٤٧) النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٣٠٩-٣١٥.

(٤٨) المقريزى، **المقفى الكبير**، ٨ أجزاء، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط١، ١٩٩١م، ج٣، ص٤٩١، وسيشار إليه لاحقاً: المقريزي، المقفى، انظر: الدشرواى، **الخلافة الفاطمية**، ص١٨٥.

(٤٩) المقريزى، **المقفى**، ج٣، ص٤٩٣، النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٣١٦-٣١٧.

(٥٠) الدشرواى، **الخلافة الفاطمية**، ص٢٠٢.

(٥١) **نفس المرجع**، ص٢٠٣.

(٥٢) الروحي، **بلغة الظرفاء**، ص ٢٨٦.

(٥٣) المقريزى، **إتعاظ الحنفا**، ج١، ص٧١.

(٥٤) فؤاد، أيمن سيد، **الدولة الفاطمية في مصر (تفسير جديد)**، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٢م، ص٥٨، وسيشار إليه لاحقا: فؤاد، الدولة الفاطمية.

ويقارن المؤرخ المقريزي بين عبيد الله المهدي، وأبي العباس السفاح مؤسس الخلافة العباسية حيث خرج من الحميمة[٥٥] وأبو سلمه الخلال[٥٦] يؤسس له ويبث له الدعاة تمهيداً لقيام الدولة العباسية وعبيد الله المهدي خرج من سلمية في الشام، أبو عبد الله الشيعي يمهد الطريق إلى قيام الدولة وكلاهما تم له الأمر[٥٧] وقتل المؤسس لنجاح الدعوة وقيام الدولة.

وبعد أن توفى عبيد الله المهدي سنة ٢٩٧هـ/٩٣٤م بالمهدية[٥٨] وعمره ثلاثَ وستون سنة وكانت فترة توليه الخلافة الفاطمية منذ دخوله إلى رقاده إلى أن توفى أربع وعشرون سنة[٥٩] أرسى فيها دعائم الملك وأسس دولة الفاطميين، تولى الخلافة بعده أبنه أبو القاسم محمد وقيل عبد الرحمن بن عبيد الله المهدي[٦٠] وكان قد تولى قيادة الجيش الفاطمي للتوسع في مصر خلال خلافة أبيه المهدي[٦١] وتلقب بالقائم بأمر الله (٣٢٢-٢٩٨هـ/٩٣٣-٩١٠م) وعندما تقلد الخلافة كانت الدولة تتمتع بالهدوء والازدهار وذلك بفضل السياسة التي أرساها المهدي وتابع الخليفة الثاني جهود أبيه في فرض سياسيته التوسعية اتجاه العباسيين في المشرق[٦٢] وإزاء الأمويين في الأندلس[٦٣].

أتسمت سياسة الخليفة الثاني القائم بأمر الله الداخلية في أفريقية[٦٤] ببعض التسلط وذلك بالإفراط في جباية الأموال[٦٥] وواجهت الخليفة القائم عدة ثورات داخليه ومنها ثورة الخوارج من أتباع المذهب الإباضي، وثورة يزيد بن مخلد بن كيداد[٦٦] وهو من الإباضية وأئمتهم ثار سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م،

---

(٥٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٧٢.

(٥٦) الذهبي، **العبر**، ج٢، ص١٦.

(٥٧) المقريزى، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٧٢.

(٥٨) الذهبى، **العبر في خبر من غبر**، ٤ أجزاء، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ج٢، حوادث سنة ٣١٩-٥٤٦هـ، ص١٦.

(٥٩) النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٣٣٠.

(٦٠) الدوارارى، **الدرر المضية**، ج٦، ص١١٠.

(٦١) النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٣٢٦.

(٦٢) مجهول، **كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، تحقيق: عمر السعيدي، دمشق، ط١، ١٩٧٢م، ج٤، ص٢٥٦، وسيشار إليه لاحقاً: مجهول، كتاب العيون.

(٦٣) الدشراوى، **الخلافة الفاطمية**، ص٢٤٠.

(٦٤) النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٣٣٤.

(٦٥) الدشراوى، **الخلافة الفاطمية**، ص٢٤٥.

(٦٦) مخلد بن كيداد، هو مخلد بن كيداد بن سعد بن مغيث الزناتى الكنارى أبو يزيد بربرى الأصل والكناريه من الصفرية وأشعل ثورته لمحاربة المنكر سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م وكثر أتباعه وقاتله القائم بأمر الله بن المهدي وعظم أمره فزحف إلى رقاده وأمتلكها وخضعت له القيروان سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م ومات القائم وتولى أبنه المنصور وخرج لحربه وحصاره في قلعه كتامة واستولى عليها المنصور وقبض عليه وهو جريح فحمل= =إلى المنصور فمات من جراحه.

وخضعت له القيروان، وحاصر القائم في المهدية حتى جاع أهلها وأكلوا الميتة والدواب[٦٧] واستمرت ثورته حتى نهاية عهد القائم، وبعد أن مات الخليفة القائم بأمر الله بالمهدية سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م تولى الخلافة بعده أبنه أبو الطاهر إسماعيل[٦٨] (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٦- ٩٥٢م) أخفى خبر وفاة أبيه خوفا من أبي يزيد[٦٩] ولقب نفسه بالمنصور وأمر أن يكتب ذلك على الطراز وبعد أن وصل إلى المنصورية مدينته الجديدة التي شيدها لتكون مقراً للخليفة وأغتنم فرصة عيد الفطر ليظهر لأول مرة بمظهر الملك وخرج إلى صلاة العيد ومعه ولى عهده أبو تميم خليفته وساير أعمامه أولاد المهدي بالله وإخوته أولاد القائم بأمر الله، ثم خطب خطبة العيد وأعلن خبر توليه الخلافة[٧٠] وكان الخليفة المنصور محبباً إلى الرعية وكان ممعن في إظهار التشيع[٧١].

وكُرست السياسة الداخلية للخليفة المنصور لإخماد الثورات الداخلية وإعادة هيبة الدولة الفاطمية التي اكتسبتها منذ عهد عبيد الله المهدي، ثم حرص على إعادة تنظيم شؤون دولته للنهوض بها بعد إرهاقها من جراء تلك الفتن[٧٢] ومع ذلك إستانف الخليفة المنصور قبل وفاته السياسة الخارجية التوسعية[٧٣] التي سنها المهدي ضد منافسيه الدولة العباسية والأموية وغيرهم في العالم الإسلامي[٧٤] ومنذ عهد الخليفة الفاطمي الأول القائم بأمر الله[٧٥] رأى من الأجدى وبعد فشل الحملة الثالثة على مصر سنة ٣٤٢هـ /٩٥٣م إتباع سياسة ودية اتجاه مصر ومع ولاتها[٧٦] وتحقيق أغراضه التوسعية بواسطة الدعاية، وكانت الخلافة الفاطمية في المغرب تتمتع بالقوة والسلطان، وفي المقابل كانت الخلافة العباسية في المشرق عاجزة منهارة تحت سيطرة البويهيين الشيعة سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م[٧٧] ولذلك كانت السلطة العباسية ممزقة داخلياً وخارجياً حيث انقسمت

انظر، ابن تغري بردى، **النجوم الزاهرة**، ج٣، ١٩٩٢م، ص٣٣١، الزركلى، **الأعلام**، ص١٩٤. النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٣٣٢.

(٦٧) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص١٤- ١٧. انظر، الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص١٩٤.

(٦٨) المقريزى، **إتعاظ الحنفا**، ج١، ص٨٨. النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٣٣٤.

(٦٩) حماد، **أخبار بني عبيد** ، ص٧٧.

(٧٠) الدشرواى، **الخلافة الفاطمية**، ص٣١٢. النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٣٣٤.

(٧١) الذهبى، **سير أعلام النبلاء**، ٩ أجزاء، تحقيق: عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣ ص٨٣، وسيشار اليه لاحقاً: الذهبي، سير أعلام.

(٧٢) النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٣٣٤.

(٧٣) مجهول، **كتاب العيون**، ج٤، ص١٧٦- ١٧٧.

(٧٤) الدشرواى، **الخلافة الفاطمية**، ص٣١٤.

(٧٥) النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٣٣٤.

(٧٦) الدشرواى، **الخلافة الفاطمية**، ص٣١٦.

(٧٧) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقى (ت ٧٤٤هـ/١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، مكتبه المعارف، بيروت،=

إلى ولايات مستقلة فالأمويون في الأندلس والإخشيديون في مصر[٧٨] وفي الجانب الآخر أخذت سلطة الفاطميين تصل إلى قمة مجدها.

ولم يحقق الخليفة المنصور هدفه في الاستيلاء على مصر وترك مهمة التوسع في مصر إلى ولى عهده المعز لدين الله[٧٩] وهو أبو تميم معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بن عبيد الله المهدي[٨٠] (٣٤١- ٣٦٥هـ /٩٥٢- ٩٧٥م) تولى تدبير شؤون الدولة[٨١] ووجه المعز جل اهتمامه الذي أنصب في توطيد دعائم الدولة وامتدادها حتى المغرب الأقصى وأسند هذه المهمة إلى القائد جوهر الصقلي[٨٢] وأشارت الكثير من الروايات إلى أن جوهر وصل إلى المحيط الاطلسى[٨٣] اصطاد منه أسماك وأرسلها إلى المعز في عاصمته المهدية دليل على إخضاعه لتلك المناطق[٨٤] وبعد أن حقق المعز التوسع في مناطق المغرب الأقصى اتجهت أنظاره إلى المشرق وبخاصة مصر والشام والتي اسند مهمة التوسع في تلك المناطق لجوهر الذي أثبت مهاراته العسكرية وانتصاراته على مناطق المغرب، بالإضافة إلي إن الأوضاع الداخلية في مصر كانت تتأرجح بين الضعف والانعزال عن الخلافة العباسية في بغداد، كانت سياسية العباسيين التي انتهجوها في مصر منذ أن أدخلوا العنصر التركي بدلاً من الولاة العرب، و حيث كانت مصر تمنح اقطاعات للولاة [٨٥] أن الولاة من الأتراك كانوا يقيمون في بغداد جوار الخليفة ويرسلون من ينوب عنهم في

=ج١١، ط ١٩٩١م، ص٢١٠، وسيشار إليه لاحقا: ابن كثير، البداية والنهاية.

(٧٨) سعد، أحمد صادق، **تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي (مصر الفرعونية، الهيلينية، الإمبراطورية الإسلامية، الفاطمية من المغرب إلى مصر، عهد المماليك)**، دار ابن خلدون، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ص٢٥٣-٢٥٤، وسيشار إليه لاحقا: سعد، تاريخ مصر الاجتماعي.

(٧٩) الدشراوى، **الخلافة الفاطمية**، ص٣١٤، النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٣٣٦.

(٨٠) الذهبى، **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص٨٣. انظر: حماد، **ملوك بني عبيد**، ص٨٣.

(٨١) المقريزى، **إتعاظ الحنفا**، ج١، ص٩٣.

(٨٢)هو أبو الحسن جوهر رومي كان من موالي الخليفة المعز كان غلام والده المنصور وأرسله إلى الاستيلاء على مصر، انظر: ابن خلكان، أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه: إحسان عباس، ج١، دار صادر، بيروت، ص٣٧٥، وسيشار إليه لاحقا: ابن خلكان، وفيات الأعيان. انظر: أبن الأثير، عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيبانى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٤م)، **الكامل في التاريخ**، ج٨، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ص٥٩٠ وسيشار إليه لاحقا: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، فؤاد، **الدولة الفاطمية**، ص٦٣.

(٨٣) النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص٣٣٦-٣٣٧.

(٨٤) المقريزى، **إتعاظ الحنفا**، ج١، ص٩٤، الدشرواى، **الخلافة الفاطمية**، ص٣٤٥.

(٨٥) الإقطاع: هو أن يقطع السلطان رجلا أرضاً فتصير له رقبتها وتسمي تلك الأرض قطائع، وتصنف الإقطاعات إلى صنفين، إقطاع تمليك ولصاحبها الملكية التامة عليها وله حق وراثتها وعلى مالكها دفع ضريبة العشر، وقطاع استغلال وهي الإقطاعات التي تعطي بالإيجار أو بالضمان أو المزارعة ويدفع= =مستغلها نسبة معينة من الحاصل

حكمها ويرسلون لهم الخراج[٨٦] مما أدى إلى استقلالها بها عن الخلافة العباسية، حيث قامت الدولة الطولونية والإخشيدية كدول مستقلة في مصر ولا تتبع للخلافة العباسية إلا اسميا كسباً للشرعية في الحكم.

ومن هنا يتضح ضعف الأوضاع الداخلية في مصر، ومما يدل على ذلك أن الأمير لا يتولى مباشرة الإدارة بنفسه أنما يرسل من ينوب عنه في الإدارة، وهذا يدل أيضا على ضعف سلطة الخلافة العباسية في فترة القرن الثالث للهجرة، حيث درجت العادة أن الكثير من الولاة الذين كان يعينهم الخليفة العباسي على الولايات والأمصار المختلفة كانوا يفضلون البقاء في العاصمة قرب الخليفة ويرسلون من يحكم نيابة عنهم[٨٧] ربما لأنهم لا يريدون أن يتركوا عاصمة الخلافة لما فيها من نعيم وترف[٨٨].

وبعد صراع طويل مع الأوضاع الداخلية في مصر استطاع أحمد بن طولون الاستقلال بمصر بعد أن نظم أوضاعها[٨٩] وساد جو من الهدوء والأمن والاستقرار في البلاد وبعد أن استقل أحمد بن طولون بمصر وأنشأ الكثير من المنشآت العمرانية ومن أهمها جامعه المشهور ثم مدينة القطائع العسكرية[٩٠] وتوفى أحمد بن طولون سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م أوصى بولاية العهد إلى ابنه خمارويه (٢٧٠-٢٨٢هـ/٨٨٣-٨٩٥م)[٩١] ثم شهدت الدولة الطولونية تدهوراً نتيجة انقسام البيت الطولوني بسبب النزاع على السلطة، وبعد ذلك أصبحت الكلمة الأولى للجند والموالي والغلمان[٩٢] وبعد سقوط الدولة الطولونية تعاقب على مصر حكم الولاة المستقلين كذلك أنفرد الإخشيديون بمصر واستقلوا بها تحت الشرعية الاسمية للخلافة العباسية وكان محمد بن طغج[٩٣] الملقب بالإخشيد وقد

أو مبلغا نقديا متفق عليه. الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، **الأحكام السلطانية الولايات الدينية**، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٩٨٥، ص٢٣٩-٢٤٨، وسيشار إليه لاحقا: الماوردي، الأحكام السلطانية.

(٨٦) سرور، **الدواة الفاطمية**، ص٢٦.

(٨٧) الرافعي، **مصر في العصور الوسطى**، ص٨٧، انظر: حسن، إبراهيم، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ٤ أجزاء، ج٣ ص١٢٦، ١٢٧، وسيشار إليه لاحقا: حسن، تاريخ الإسلام.

(٨٨) حسن، **تاريخ الإسلام**، ص١٢٧.

(٨٩) الرافعي، **مصر في العصور الوسطى**، ص٩٣.

(٩٠) أبن تغري بردى، **النجوم الزاهرة**، ج٣، ص١٨.

(٩١) الرافعي، **مصر في العصور الوسطى**، ص ٩٩.

(٩٢) **نفس المرجع**، ص١٠٨.

(٩٣) محمد بن طغج، هو مؤسس الدولة الإخشيدية أترحل من بادية الشام إلى مصر وأتصل بواليها ثم أخذ نجمه يسطع حيث قام بدور كبير في طرد الفاطميين من مصر سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، ثم سنة ٣٠٧هـ/٩١٤م وقام بالكثير من الأعمال

ولى أمر مصر من قبل الخليفة العباسي القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٤م) قبل موت الإخشيد سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م عهد إلى كافور[٩٤] بالوصاية على ولده أبى القاسم أنوجور وكان طفلاً وقام بتدبير الأمور كافور الإخشيدي[٩٥] وأصبح كافور صاحب السلطان المطلق في إدارة الدولة الإخشيدية وأستقل بها وخطب له على المنابر سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م وفى عهده حاول الخليفة الفاطمي المعز فتح مصر فأرسل إلى كافور يدعوه للاعتراف بسيادته والدخول في طاعته إلا أن كافوراً راوغ في الإجابة ولم يعط الرسل إجابة شافية[٩٦] إلى أن توفى كافور سنة ٣٥٧هـ/٩٦٨م ولقد كان موت كافور بمثابة الانهيار السريع للدولة وإلى جانب عدم وجود رجل قوي يحكم بعده، مما أعطي الفرصة للوزير جعفر بن الفرات[٩٧] أن يأخذ بزمام الأمور ولكنه لم يحسن التصرف بل أخذ يقبض على الكثير من رجال الدولة ومنهم يعقوب بن الكلس[٩٨] الذي هرب إلى المغرب وعرف المعز بأحوال مصر.

وأثر الجانب السياسي على جانب الاقتصادي[٩٩] واضطربت الأحوال في مصر وثارت الجنود على الوزير ابن الفرات مطالبة بأرزاقها ونهبوا داره وأنحل النظام العسكري، ووقعت الفتن وعمت الفوضى في الديار المصرية، وقد أتاح ضعف العباسيين الفرصة أمام القرامطة[١٠٠] لتهديد الشام

الأخرى، ووصلت أخباره إلى الخليفة العباسي المقتدر وعينه وال على الرملة، وفي عهد الخليفة القاهر= =بالله عين محمد بن طغج واليا على مصر سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، انظر، الرافعي، **مصر في العصور الوسطى**، ص١٣٩.

(٩٤) كافور الإخشيدي، هو أبو المسك كافور بن عبدالله الإخشيدي خادم أسود خصي صاحب مصر والشام أشتراه محمد الإخشيدي. انظر: ابن تغري بردى، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص٣. انظر، أبى الفداء، **المختصر في تاريخ البشر**، ص٤٤٥.

(٩٥) ابن تغري بردى، **النجوم الزاهرة**، ج٣، ص٣٣٥.

(٩٦) حسن، **تاريخ الإسلام**، ص١٤١.

(٩٧) جعفر بن الفرات (٣٠٨هـ/٣٩١م) كان أبوه وزير المقتدر بالله العباسي، ثم وفد إلى مصر ووزر بها من قبل الإخشيدي وإلى كافور ابنه من بعده وبقي وزيرا إلى أن انتهت الدولة الإخشيدية ودخل الفاطميين مصر ومات في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص١٠٢.

(٩٨) ابن الكلس، كاتب يهودي، اتصل بخدمة كافور الإخشيدي، بدواوين الشام ومصر. للمزيد انظر: ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب المصري، الشهير بابن الصيرفي (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م) **الإشارة إلى من نال الوزارة**، تحقيق: عبدالله مخلص، مطبعة المهد العلمي الفرنسي، القاهرة ط١، ١٩٢٤م، ص١٩-٢٣، وسيشار إليه لاحقاً: ابن الصيرفي، الإشارة.

(٩٩) أبن تغرى بردى، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١١، خليل، محمد محمود، **الاغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)**، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٦م، ص٥٠، وسيشار إليه لاحقاً: خليل، الاغتيالات السياسية.

(١٠٠) القرامطة، من قرمط، وهو حمدان بن الأشعث قرمط، وقيل له قرمط لأنه كان قصيراً ورجلاه قصيرتين وخطوه متقاربا ولذلك سمي قرمط، والقرامطة من الإسماعيلية وانتشرت دعوتهم وشملت أجزاء واسعة من= =العالم الإسلامي

ومصر[١٠١] وكان ذلك بمثابة الكارثة إذ وصلت الإنباء بقدوم القرامطة إلى مصر مما جعل الناس في هلع والخلافة العباسية عاجزة عن تحقيق الأمن لهم، بالإضافة إلى ذلك كانت الأوضاع الاقتصادية متردية وتفشي الغلاء سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م واستمر حتى سنة ٣٦١هـ/٩٧١م فاضطر بعض من القواد والجنود وأعيان من رجال الدولة أن يرسلوا إلى الخليفة المعز لدين الفاطمي[١٠٢] وطلبوا منه القدوم إلى مصر بعد أن عمت الفوضى في أرجائها ولم تكن هنالك قوة تستطيع أن تدافع عن مصر، ويبدو أن المصريين وجدوا في الفاطميين منقذهم الوحيد من الحالة التي وصلت إليها البلاد فهم على أية حال أفضل من الجنود الكافورية والإخشيدية التي أخذت تنهب في البلاد بسبب عدم صرف رواتبهم، مما تسببوا في الفوضى والتي أجبرت أعيان الدولة على مراسلة الخليفة المعز الفاطمي.

وبجانب تدني المستوي الاقتصادي فقد شهدت البلاد انحدار في الجانب الأخلاقي والديني[١٠٣] ويدل على ذلك الواقعة التي حدثت مع أم الأمراء من المغرب عندما وجهت بصبية مغربية لتباع في مصر فجاءت شابة على حمار اشترتها بستمائة دينار وقيل للوكيل الذي باعها "هذه بنت الإخشيد اشترت الجارية لتتمتع بها وهي ست كافور[١٠٤] "فلما عاد الوكيل إلى المغرب أخبر المعز ثم اجتمع بشيوخ كتامة وقال لهم "انهضوا إليهم فلن يحول بينكم وبينهم شيء فقد بلغ بهم الحال والترف إلى أن صارت المرأة من بنات ملوكهم تخرج لتشتري جارية لنفسها فقد ضاعت من نفوس رجالهم الهيبة وذهبت الغيرة منهم فانهضوا بنا إليهم فقالوا السمع والطاعة"[١٠٥]. ومن خلال ذلك كان واضحاً تدني الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية في مصر مما سهل مهمة الفتح الفاطمي وكان الخليفة المعز دائما في حاله تفكير في فتح مصر واتبع الفاطميون طرقاً عديدة للتمهيد لفتح مصر فلجأ إلى بث الدعاة في ربوع مصر ودعوا المصريين للتشيع[١٠٦] وقبيل ذلك كان يمهد

ودخل في دعوته كثيرا من الناس ونصب لهم الدعاة في كل قرية. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص١٥١-١٦٦، وللمزيد عن القرامطة انظر: تامر، عارف، **القرامطة بين الالتزام والإنكار**، دار الطليعة، دمشق، ط. ١٩٩٦م، ص٥٣ وما يليها. تامر، **القرامطة أصلهم ونشأتهم وتاريخهم وحروبهم**، منشورات مكتبة الحياة بيروت، ص٥٤-٥٧، زكار، سهيل، **الجامع في أخبار القرامطة**، دار الإحسان، دمشق، ط ١٩٨٧م، ص٨٠-٨١.

(١٠١) صالح، أحمد كامل، **مصر الإسلامية منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأيوبية**، مكتبة الشباب، القاهرة ط١٩٨٠، ص٩٢، وسيشار إليه لاحقا: صالح، مصر الإسلامية.

(١٠٢) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص٢٣-٢٤.

(١٠٣) المقريزي، **أتغاظ الحنفا**، ج١، ص١٠٠.

(١٠٤) نفس المصدر، ج١، ص١٠٠.

(١٠٥) المقريزي، **أتغاظ الحنفا** ، ج١، ص١٠٠- ١٠١

(١٠٦) النعمان، **المجالس والمسايرات**، ص١٢٨.

الطريق إلى جيوشه لغزو مصر، فقد أمر المعز بحفر الآبار في طريق مصر[١٠٧] وفي سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م سير المعز جيوشه بقيادة جوهر الصقلي[١٠٨] وقبيل مسيرة جوهر أصاب أرض مصر شدة وغلاء[١٠٩] ووباء ومات خلقٌ كثير وقد ذكر المؤرخ المقريزي أن الناس كانوا يلقون الموتى في النيل من كثرتهم[١١٠] وفسدت معاملات الناس وساءت أوضاعهم وعم الخراب أرض مصر لموت الكثير من أهلها وتعذر وجود الأقوات وكثر الخوف[١١١].

إن الخلافة الفاطمية كانت تدرك أهمية مصر من ناحية موقعها الجغرافي في قلب العالم الإسلامي الذي يتيح لها فرصة الاستيلاء على المراكز الإسلامية المهمة مثل مكة والمدينة وبغداد عاصمة الخلافة العباسية المعادية لهم وكان هدفهم تقويض الخلافة العباسية السنية في المشرق من خلال ذلك يمكنهم الحصول على زعامة العالم الإسلامي كله، بالإضافة إلى أن مصر كانت ضمن أملاك الخلافة العباسية، وهي تجاور الخلافة الفاطمية في المغرب من ناحية الشرق، فضلاً عن المكانة الهامة التي تحتلها وإمكانياتها في مختلف المجالات وبذلك طمع الفاطميين في اتخاذها حاضرة لملكهم وقاعدة لهم لشن الهجمات ضد الخلافة العباسية.

سار جوهر في جيش كثيف إلى مصر وروت الكثير من المصادر التاريخية عن ضخامة جيش المعز إلى مصر والأموال التي حملها معه إلى مصر[١١٢] وحتى وصوله إلى الإسكندرية لم يواجه الجيش الفاطمي أية مقاومة[١١٣] وبعد ذلك كتب لهم جوهر كتاب الأمان[١١٤] الذي أعلن فيه أنه قدم لحماية المصريين من أعدائهم المتربصين بهم لاسيما القرامطة[١١٥] وبعد ذلك عرض خطة إصلاح شاملة ومنها انه يعمل على استتباب الأمن وتوفير الأقوات ونشر العدل وإقامة شعائر الحج وإصلاح الطرقات وترميم المساجد وتعهد بأن يرغم المصريين على ترك مذاهبهم للدخول في المذهب الشيعي، وبعد أن دخل جوهر مصر وأقيمت الدعوة إلى المعز الخليفة الفاطمي على

---

(١٠٧) فؤاد، **الدولة الفاطمية**، ص٧١.

(١٠٨)ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ص٣٧٥، انظر: أبن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٥٩٠.

(١٠٩) صالح، **مصر الإسلامية**، ص٩٣.

(١١٠) المقريزي، **إغاثة الأمة بكشف الغمة، أو تاريخ المجاعات في مصر**، خزانة الفكر العربي، ص٤١.

(١١١) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٣٠٩.

(١١٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص١٠٢.

(١١٣) جومار، **وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل (مع مقدمة للتطور العمراني لمدينة القاهرة منذ إنشائها وحتى سنة ١٨٠٠م)**، نقله إلى العربية وقدم له: أيمن فؤاد السيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م، ص٢٥، وسيشار إليه لاحقاً: جومار، وصف القاهرة.

(١١٤) انظر المقريزى، **إتعاظ الحنفا**، ج١، ص ١٠٣. فؤاد، **الدولة الفاطمية**، ص٧٣.

(١١٥) المقريزي، **إتعاظ الحنفا**، ج١، ص١٥١.

المنابر بالديار المصرية[١١٦].

ولم يشأ جوهر أن يفاجئ المصريين بإقامة شعائر المذهب الشيعي في مساجدهم وخشي من أن إيثاره غضب وحنقهم لذا شرع في تخطيط مدينة القاهرة لتكون مقراً للخليفة وأسرته وخواصه وجنده، وبني الجامع الأزهر حتى يصبح رمزاً لسيادة الدعوة الفاطمية ومن جانب أخر يكون مكاناً لإقامة الشعائر الشيعية وأطلق عليها في البداية المنصورة وعندما قدم المعز إلى مصر سماها القاهرة تفاؤلاً بأنها تقهر بني العباس وأصبحت عاصمة الخلافة الفاطمية الجديدة التي تناصب الخلافة العباسية في بغداد العداء[١١٧].

وبعد ذلك عمل جوهر على تأسيس قواعد الحكم الفاطمي في مصر فأمر بإحلال الدعوة للخليفة المعز محل الدعوة للخلفاء العباسيين في المساجد وفي جامع ابن طولون أمر في الأذان "بحي على خير العمل" ثم أذن بها في الجامع العتيق وهي صيغة الأذان عند الشيعة[١١٨].

ولم يكن دخول الفاطميين مصر يمثل قيام دولة مكان دولة أخرى، إنما كان بمثابة انقلاب ديني وثقافي واجتماعي ولأول مرة تحكم مصر بدولة لا تدين حتى بالولاء الاسمي للخلافة العباسية في بغداد[١١٩] وأخذ جوهر في وضع الأسس الجديدة لدولته في مصر ومنها قطع الخطبة للخلفاء العباسيين، وضرب السكة باسم الخليفة الفاطمي، ومن الناحية الإدارية فقد ابقي على الموظفين المصريين في شؤون الإدارة وأشرك مع كل موظف مصري أحد المغاربة في الأعمال الإدارية[١٢٠] في الدولة، وقام جوهر بالإشراف على الدواوين وجباية الخراج حتى أوائل سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م حيث تسلم الخليفة المعز منه دواوين مصر وجباية أموالها وإدارة شئونها وكان يجلس بنفسه للمظالم وقام جوهر بالكثير من الإصلاحات وكانت السنوات الأربع التي حكم فيها جوهر مصر نيابة عن الخليفة المعز (٣٥٨- ٣٦٢هـ/٩٦٨-٩٧٢م) من أهم فترات التاريخ الفاطمي أرسى فيها دعائم الدولة الإدارية[١٢١] ونجد أن الفاطميين تسامحوا مع أهل الذمة[١٢٢] والذين تولوا الكثير من المناصب الإدارية في الدولة وربما يرجع استخدام أهل الذمة في المناصب الإدارية والمالية لمهارتهم الإدارية.

---

(١١٦) سبط ابن الجوزى، شمس الدين أبى المظفر يوسف بن عبدالله البغدادي (ت ٦٥٤هـ/١٢٦١م)، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان الحقبة من ٣٤٥- ٤٤٧هـ**، تحقيق: جنان جليل الهموندى، الدار الوطنية، بغداد، ط ١٩٩٠م، ص١٥٩ وسيشار إليه لاحقا: سبط بن الجوزى، مرآة الزمان.

(١١٧) القاضي، خالد بن عبد الرحمن، الحياة العلمية في مصر الفاطمية (٤٦٦هـ-١٠٧٤م/ ٥٦٧هـ-١١٧١م)، **الدار العربية للموسوعات** ط ٢٠٠٨م، ص٤١، وسيشار إليه لاحقا: القاضي، الحياة العلمية.

(١١٨) أبى الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج٢، ص٤٤٨. انظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٥٩٠.

(١١٩) فؤاد، **الدولة الفاطمية**، ص٧٤.

(١٢٠) سعد، **تاريخ مصر الاجتماعي**، ص٢٨١.

(١٢١) نفس المرجع، ص٧٦.

ولما استقرت الأوضاع الداخلية لجوهر وجه أنظاره إلى بلاد الشام حيث سير جعفر بن فلاح الكتامي[١٢٣] واستولى على الرملة وزحف منها إلى دمشق وقاتل أهلها وأقام فيها الخطبة للمعز في يوم الجمعة سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م[١٢٤] وبعد أن توطدت الأوضاع في مصر أرسل جوهر إلى الخليفة المعز لتولى أمور دولته الجديدة في مصر وتوجه المعز بكل قواته وأمواله إلى مصر ووصل إلى الإسكندرية سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م وعندما دخل القاهرة خر ساجداً[١٢٥] وجلس على سرير الملك[١٢٦] الذي عمله له جوهر في الإيوان وأتاه أهل مصر وأعيانها[١٢٧] وإذن بدخول الأشراف والأولياء ثم سائر وجوه الناس، وفي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م تولي من جوهر الخليفة المعز أمر الإشراف على الحكم والإدارة في مصر[١٢٨].

ويمكن تقسيم عهد الخلافة الفاطمية في مصر الذي امتد قرابة قرنين من الزمان من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أي من سنة ٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م إلى قسمين، قسم يمتد قرابة القرن وينتهي في النصف الأول من عهد خلافة المستنصر بالله حوالي سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م وتتميز هذه الفترة بمقدرة الخلفاء الفاطميين في الشؤون السياسية والعسكرية والإدارية، وقوة شخصيتهم وكفايتهم وباستيلائهم على مقاليد السلطة[١٢٩] والحد من سلطة الوزراء وكما كانت تتميز هذه الفترة بامتداد النفوذ الفاطمي إلى خارج حدود مصر وبلوغه مداه إلى أن وصل بإقامة الخطبة للخليفة العزيز بالله في مدينة الموصل بالشام، ثم إقامتها للخليفة المستنصر في بغداد عاصمة الخلافة العباسية لمدة تقرب من العام، وخضوع اليمن والحجاز والمغرب وصقلية وبلاد الشام

---

(١٢٢) ريمون، أندريه، **القاهرة تاريخ وحاضرة**، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات، ١٩٩٣م، ص٤٢، وسيشار إليه لاحقاً: ريمون، القاهرة.

(١٢٣) جعفر بن فلاح، من اكبر قواد المعز شارك مع القائد جوهر في فتح مصر، ثم سار إلى فتح الشام فاستولى على الرملة في سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م وعلى دمشق في أول سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م وقام بها إلى سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م حتى قتل على يد القرامطة، ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٣٠، المقريزي، **إتعاظ الحنفا**، ج١، ص١٠٩.

(١٢٤) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٥٩١. انظر أبى الفداء، **المختصر في تاريخ البشر**، ج٢، ص٤٤٨.

(١٢٥) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٣٣١.

(١٢٦) السرير، بمعني العرش ومن يجلس عليه من أهل الرفعة والجاه. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص١٣٦.

(١٢٧) أبى الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ص٤٥٢. انظر، السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، جزآن، مطبعة الموسوعات، مصر، ج٢، ص١٢، وسيشار إليه لاحقا: السيوطي، حسن المحاضرة.

(١٢٨) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١، ص٢٨٤، السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص٤٠٣.

(١٢٩) العزام، عيسي محمود، دور **ست الملك السياسي والإداري (٣٨٦-٩٦٦هـ/٤١٥-١٠٢٧م)**، بحث منشور، جامعة المنيا، ط٢٠٠٢، ص٢٢٧، وسيشار إليه لاحقا: العزام، دور ست الملك.

للخلفاء الفاطميين، ونجد أن عهد الخليفة المعز(١٣٠) اتسم بالاستقرار وتصدي للقرامطة الذين أكثروا في المناوشات على أرياف مصر(١٣١) وفي سنة ٣٦٣هـ/٩٧٥م سير الخليفة المعز جيشاً إلى القرامطة وهزمهم واستكثر من الأموال إلي الجند(١٣٢).

وبعد وفاة الخليفة المعز سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م(١٣٣) تولي الخلافة بعده ابنه الخليفة العزيز بالله(١٣٤) (٣٦٥- ٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) وأتسم عهده بالهدوء والاستقرار السياسي والإداري فقد كان عهده امتداداً إلى عهد الخليفة الأول المعز في إرساء دعائم الدولة وتثبيت أركانها(١٣٥) ولكن الخليفة العزيز كان كثير التعصب للمذهب الشيعي مما أدي إلى تزمت المصريين اتجاه تعصبه المذهبي(١٣٦) وكذلك نجد الخليفة العزيز اشتهر بميله إلى النصارى وذلك ربما كان يتأثر بآراء زوجته النصرانية التي استطاعت أن تمكن أقاربها من تسلم مراكز هامة في الدولة وكان هذا نتيجة المصاهرة التي أثرت في سياسة الخليفة العزيز نحو النصارى وعملت زوجته النصرانية على تعيين أخاها أرسانيوس مطرانا على القاهرة سنة٣٩٠هـ/٩٩٩م وأخاها الثاني بطريكاً للملكية على بيت المقدس سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م(١٣٧).

وبعد وفاة الخليفة العزيز انتقلت الخلافة لابنه أبو علي المنصور ولقب بالحاكم(١٣٨) وعندما تولى الخلافة طفلاً وكان عمره أحدى عشر سنة وخمسة أشهر (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) وكانت مدة خلافة الخليفة العزيز إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر(١٣٩) ولما كان الخليفة الحاكم صغير السن استقل الأوصياء بالسلطة حتى عام ٣٩١هـ/١٠٠٠م بدا الخليفة الحاكم يستقل بشئون الدولة الإدارية والسياسية والحربية ولم يولِّ الخليفة الحاكم وزيراً بعد أن قتل الوزير بارجوان سنة ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م(١٤٠) وكان الخليفة الحاكم ذا شخصية متقلبة المزاج وقد أفاضت المصادر

---

(١٣٠) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٢١-٣٠.

(١٣١) المقريزي، **إتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٥٠.

(١٣٢) **نفس المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٠٥.

(١٣٣) أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج٢، ص١٦٨.

(١٣٤) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٣١-٤١.

(١٣٥) فؤاد، **الدولة الفاطمية**، ص٩٧.

(١٣٦) القاضي، **الحياة العلمية**، ص٤١.

(١٣٧) فرشوخ، أمين، ست الملك (٣٥٩-٩٦٩هـ/٤١٥-١٢٠٣م)، **مجلة تاريخ العرب والعالم**، السنة الخامسة والعشرين، م٢٥، ع٢١٥، الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، ٢٠٠٥م، ص٧٢ وسيشار إليه لاحقا: فرشوخ، ست الملك.

(١٣٨) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٢٩٢. للمزيد انظر: ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٤٣-٦٢.

(١٣٩) نفس المصدر، ج١، ص٢٩٢.

(١٤٠) برجوان، خصي صقلي، تولي إمارة القصر أيام الخليفة العزيز ولقب بالأستاذ. ابن الصيرفي، **الإشارة**،=

التاريخية[١٤١] في الحديث عن سيرة وشخصية الخليفة الحاكم التي تميزت بالمتناقضات وتزايد القتل في عهده وبذل سيفه في أهل دولته من الكتّاب والقواد والجند والرعايا وقطع أيديهم وأفرط في ذلك ولم يسلم حتى الوزراء واعيان الدولة[١٤٢] وعلى أثر سوء سياسة الخليفة الحاكم بأمر الله لجأ بعض من أعيان ورجال الدولة إلى أخته ست الملك واشتكوا لها من سوء سياسة أخيها ونصحت آخاها مما شكا منه القوم ولكن الحاكم ضاق ذرعاً من تدخل أخته ست الملك في شؤون الدولة[١٤٣] وعندما فقدت ست الملك الأمل من تعديل سياسة أخيها الخليفة الحاكم لجأت إلى التآمر مع بعض رجال الدولة للتخلص منه للمحافظة على أمن واستقرار الدولة ولم يسلم من سوء سياسة الخليفة الحاكم المسلم والذمي على السواء وأنه تشدد مع أهل الذمة وفي عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م قرئ عليهم في الجوامع سجلاً ألزمهم فيه بلبس الغيار وحمل الصلبان[١٤٤].

ومن ثم عمدت ست الملك إلى التخلص من الخليفة الحاكم بأمر الله وقد بويع بالخلافة إلى ابنه الظاهر لإعزاز دين الله سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م وكان صغيراً في السن وله من العمر ستة عشر شهراً[١٤٥] وتولت ست الملك وبعض رجال الدولة الوصاية عليه وأصبحت ست الملك تقوم بإدارة الدولة ويساعدها في ذلك بعض رجال الدولة[١٤٦] وفقد كان الخليفة الظاهر عكس سياسة أبيه بسياسيته نحو الإصلاح والتسامح حتى يصلح ما أفسده أبوه الحاكم مع بعض فئات المجتمع وبدا بالنظر بنفسه في مصالح الناس في البلاد[١٤٧] وأصلح كثيراً من الأمور في الدولة وأطلق سراح النساء، بعد أن كان الخليفة الحاكم قد منعهن من الخروج[١٤٨] وإن الخليفة الظاهر قام بالعديد من الإصلاحات بمساعدة عمته ست الملك التي استطاعت أن تحافظ على توازن الدولة وهيبتها معتمدة على الوزير الجرجرائي إلى أن توفيت ٤١٥هـ/١٠٢٤م واستقل الجرجرائي بالتدبير[١٤٩].

=ص٢٧-٢٨. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٣٥.

(١٤١) الحنبلي، ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من دهب**، ٦ أجزاء، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي، دار الآفاق الجيدة، بيروت، ج٣، ص١٩٢-١٩٤، وسيشار إليه لاحقاً: الحنبلي، شذرات الذهب. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٧٧ وما يليها. الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي**، ص٣٥٩-٣٦٣، ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٢، ص٤٤٥- ٤٤٧، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص١١٦ وما يلها.

(١٤٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٠-١٢١.

(١٤٣) **نفس المصدر**، ج٢، ص١٠٧.

(١٤٤)المقريزي، **اتعاظ الحنفا** ، ج٢، ص٥٣.

(١٤٥) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٦٣-٦٦. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٤.

(١٤٦) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**،، ج٢، ص١٢٥، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٣٥٤.

(١٤٧) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص٢٥٢، القاضي، **الحياة العلمية**، ص٤٣.

(١٤٨) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٩٦.

(١٤٩) **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٨٣.

وتمتع الخلفاء الفاطميون في العصر الفاطمي الأول بنفوذ قوي فكانوا يسيطرون على شئون الدولة، ولذا أنصب اهتمام الخلفاء في هذا العصر بإقرار الأمور الداخلية ونشر الأمن والطمأنينة في ربوع البلاد، وتنظيم الإدارة والعناية بالجيش والأسطول، والرقي بالزراعة والنهوض بالتجارة الداخلية والخارجية[١٥٠] وتشجيع العلوم والآداب والفنون بالإضافة إلى إقامة العمائر المختلفة، ولكن الأوضاع تبدلت في العصر الفاطمي الثاني[١٥١] من فترة الخلفاء الأقوياء الذين سيطروا على الدولة وبسطوا سلطانهم وهيبتهم على دولتهم ولذلك اتسمت دولتهم بالرخاء والأمن لأن جميع الخلفاء الذين تقلدوا الخلافة كان لهم باع طويل في الإدارة وتميزوا بالحنكة السياسية والإدارية واستبدوا بأمور الدولة[١٥٢] ولذلك لم يبرز أي دور للنساء في إدارة الدولة.

وفي أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بدأ يتقلد الخلافة خلفاء صغار السن حيث تولى الخلافة تسعة من الخلفاء الفاطميين وكان من بينهم خمسة أطفال كان أولهم الخليفة الحاكم بأمر الله تولى وعمره أحدى عشر سنة وخمسة أشهر[١٥٣] لذا يفتقرون إلى الخبرة والحنكة السياسية والإدارية وظهر دور فعال لبعض نساء القصر الفاطمي في إدارة الدولة ومنذ عهد الخليفة الحاكم أمر الله ظهر دور فعال للنساء الفاطميات وتدخلن في شؤون الدولة بداية بالسيدة (ست الملك) في عهد الخليفة الحاكم إلى عهد الخليفة المستنصر ابن الخليفة الظاهر الذي شهد عهده تدخلاً واسعاً لوالدته (رصد) التي كانت كثيرة التدخل في شؤون الدولة حيث تولى الخلافة المستنصر[١٥٤]والذي أخذ الجرجرائي البيعة له[١٥٥] وامتدت خلافته ستين عاماً شهدت العشرون عاماً الأولي منها قوة في الدولة واستقراراً داخلياً[١٥٦] وتوسعاً خارجياً فشمل نفوذ الخلافة الشام وصقلية والحجاز واليمن[١٥٧] وبلغ النفوذ الفاطمي مداه في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر

---

(١٥٠) سلطان، عبد المنعم، **الأسواق في العصر الفاطمي(دراسة وثائقية)(٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)**، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ط١٩٩٧م، ص١٣٩، وسيشار إليه لاحقاً: سلطان، الأسواق، Jacob Mann، The Jewo in Egypt، p. 32.

(١٥١) سلطان، عبد المنعم، **المجتمع المصري في العصر الفاطمي (دراسة تاريخية وثائقية)**، دار المعارف ط١٩٨٥، ص٣٩، وسيشار إليه لاحقا: سلطان، المجتمع المصري.

(١٥٢) العزام، **دور ست الملك**، ص٢٢٧.

(١٥٣) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٤.

(١٥٤) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٦٧-٨٢.

(١٥٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٨٤.

(١٥٦) خسرو، ناصر علوي(٤٨١هـ/١١٨٨م) **سفر نامة، (رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر الجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري)**، ترجمة: يحيي الخشاب، دار الكتاب الجديد القاهرة، ط ١٩٨٣م ص٣٥، وسيشار إليه لاحقاً: خسرو، سفر نامة.

(١٥٧) المقريزي، **الخطط**، ج٢، ص١٩٢. ماجد، عبد المنعم، سياسية الفاطميين في الخليج العربي مستمدة من=

الميلادي عندما دعي إلى الخليفة المستنصر بالخطبة في بغداد سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م قرابة السنة.

وابتداءاً من الفترة الممتدة من النصف الثاني لعصر الخليفة المستنصر أي حوالي سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م إلى نهاية عهد الدولة الفاطمية في سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م يمكن تسميته بعصر الضعف والانحلال وأخذت دولة المستنصر بالضعف والانحدار، وعلى الصعيد الداخلي تعرضت مصر للمجاعات والبلاء[١٥٨] والكوارث السياسية والاقتصادية الشديدة[١٥٩] وخارجياً انسلخت الأقاليم من حكمها حيث أخذ السلاجقة[١٦٠] يعملون على طردها نهائياً من بلاد الشام حيث لم يبق للفاطميين فيها غير مدينة عسقلان، وأردف الصليبيون الذين غزوا البلاد ابتداء من سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م باقتطاع أجزاء ثمينة من أملاكها وموانيها في تلك البلاد وفقدت صقلية[١٦١] عندما دخلها النورمان سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م ونزلت بمصر المجاعات والتي لم ير مثلها في العصر الإسلامي والتي استمرت أكثر من سبع سنوات (٤٥٧-٤٦٤هـ/ ١٠٦٤- ١٠٧١م) والتي عرفت عند المؤرخين "بالشدة العظمي" وفيها انتشرت الأوبئة، وتدهورت الأحوال الاقتصادية وتحكم الأمراء والوزراء[١٦٢] في السلطة ومما وزاد الأحوال سوءا الفتنة بين الجنود السودان المدعومين من أم الخليفة والجنود الأتراك[١٦٣] وترتبت على ذلك نتائج خطيرة من خلالها شهدت الدولة نزعة انفصالية أدت إلى انسلاخ الكثير من أجزائها وانفصال بعض الأقاليم عن حكمها فقطعت الخطبة للمستنصر في مكة والمدينة نحو السبع سنين ابتداء من سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م[١٦٤] وكذلك انسلخ شمال إفريقية عن حكمها، فاستولي الجنود الأتراك على خزائن وقصور الخليفة وخزائن الكتب[١٦٥]

=السجلات المستنصرية، وثائق فاطمية معاصرة، **مجلة المؤرخ العربي**، تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب العراق، بغداد، ع ١٢، ط ١٩٨٠م، ص٤٠٦ ، وسيشار إليه لاحقاً: ماجد، سياسة الفاطميين.

(١٥٨) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٧٥.

(١٥٩) ابن ميسر، **المنتقي**، ص٥٨. ، ابن الصيرفي الإشارة، ص٥٥-٥٦. لويس، **وزراء النصرانية**، ص١٤٠.

(١٦٠) حمادة، محمد ماهر، **الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية دراسة نصوص**، مؤسسة الرسالة، ط١٩٨٠م، ص١٤٤-١٤٥، وسيشار إليه لاحقاً: حمادة، الوثائق السياسية.

(١٦١) ماجد، عبد المنعم، **الحاكم بأمر الله الخليفة المفتري عليه**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص١٦٧، وسيشار إليه لاحقاً: ماجد، الحاكم بأمر الله.

(١٦٢) المناوي، محمد حمدي، **الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي**، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٧٠م،= ص٧٤- ٧٥. وسيشار إليه لاحقاً: المناوي، الوزارة والوزراء.

(١٦٣) العوفي، محمد سالم، **العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السجلوقي (٤٤٧-٥٧٦هـ/ ١٠٥٥-١١٧١م)** ط١، ١٩٨٢م، ص١٣٢، وسيشار إليه لاحقاً: العوفي، العلاقات السياسية.

(١٦٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٣٢٠.

(١٦٥) حسن، إبراهيم حسن، **الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص**، المطبعة الأميرية القاهرة، ط١، ١٩٣٢م، ص١٣١، وسيشار إليه لاحقاً: حسن، الفاطميون. ريمون، **القاهرة**، ص١٣٨.

وتفرق أمر الخليفة المستنصر[١٦٦] وهاجر أبناؤه إلى الشام والعراق وجلس الخليفة على الحصير[١٦٧] فاستنجد الخليفة المستنصر ببدر الجمالي سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م[١٦٨] وبه كانت البداية لعهد الوزراء العظام بمصر واستطاع بدر الجمالي إعادة هيبة الخلافة وقوة السلطة المركزية وحقق الاستقرار في البلاد، ووسع بدر الجمالي من نفوذه فأصبح يتولي إلى جانب الوزارة منصبي قاضي القضاة وداعي الدعاة[١٦٩] وكان بدخول بدر الجمالي بقوات من الأرمن شكل إضافة لطائفة جديدة من طوائف الجند حيث أصبح الجيش الفاطمي يضم الأرمن، إلى جانب المغاربة والعرب والأتراك والسودان وكان النزاع بين هذه الطوائف عاملاً هاماً من عوامل ضعف الدولة وانحلالها[١٧٠].

وتمتع بدر الجمالي بسلطة كبيرة وصار في يده الحل والعقد كما أورد المقريزي "واليه الحكم في الكافة"[١٧١] ومما ساعد على توسع سلطة الوزراء صغر سن الخلفاء فأفسح ذلك المجال أمام الوزراء للاستيلاء على مقاليد السلطة وتصريف أمور الدولة، فلقب الوزير "بالسيد الأجل[١٧٢] ثم بأمير الجيوش ثم بالملك" وأصبح يهيمن على جميع الشؤون بالدولة وعمل على تعيين ابنه الأفضل نائباً له في الوزارة من بعده عام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م وأصدر سجلاً بذلك من الخليفة المستنصر بالله وبعد وفاة بدر الجمالي عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م تسلم الوزارة أبنه الأفضل فاستولي على الأمور حتى وفاة الخليفة المستنصر عام ٤٧٨هـ/١٠٩٤م الذي توفي في نفس العام الذي توفي فيه بدر الجمالي وبذلك أحدث الأفضل[١٧٣] تغييراً جذرياً في قواعد الإمامة الفاطمية التي تنص على ولاية الابن الأكبر[١٧٤] والتي وفقاً لقواعد المذهب الشيعي تكون الخلافة لابن الخليفة المستنصر الأكبر

---

(١٦٦) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص١٧٤.

(١٦٧) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص١٦-١٧، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٩٨.

(١٦٨) بدر الجمالي، السيد الأجل الأفضل سيف الإمام جلال الإسلام ناصر الإمام أبو النجم بدر المستنصري، هو من مماليك الدولة أرمني شديد البطش عالي الهمة استدعاه الخليفة المستنصر لإنقاذ دولته بعد أن حلت بها الشدائد ودخل أمير الجيوش شهر ربيع الأخر سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م فخلع عليه ورد النظر إليه فأصلح الأحوال وأقام الهيبة ورفع منارة الدولة ورتب الدواوين، وتوفي سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، ابن الصيرفي الإشارة، ص٥٥-٥٦. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٣١١. لويس، **وزراء النصرانية**، ص١٤٠.

(١٦٩) ابن الأثير، **الكامل في تاريخ**، ج٨، ص٤٥١- ٤٥٤، القاضي، **الحياة العلمية**، ص٤٦.

(١٧٠) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٢٢- ٢٣، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٦٢-٢٦٣.

(١٧١) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٢٢- ٢٣.

(١٧٢) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٥٨.

(١٧٣) المناوي، **الوزارة**، ص١٣٧.

(١٧٤) الشيال، جمال الدين، **مجموعة الوثائق الفاطمية (وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة)**، دار المعارف المجلد الأول، ط٢، ١٩٦٥، ص١٧، وسيشار إليه لاحقاً: الشيال، الوثائق الفاطمية.

نزار فعمد إلى مبايعة صهره الأصغر المستعلي(١٧٥) وكان لأول مرة في تاريخ الدولة الفاطمية في مصر خليفتان في وقت واحد ونتج عن ذلك انشقاق الشيعة إلى فرقتين "النزارية والمستعلية"(١٧٦) فوقعت الحرب بين الجانبين واستطاع الأفضل دخول الإسكندرية ٤٨٨هـ/١٠٩٥م والقضاء على ثورة نزار وقتله(١٧٧).

إن هذا الانشقاق أحدث انقساماً في مبدأ الإمامة الإسماعيلية وبذلك خولفت أصول المذهب وبعد ذلك استطاع الأفضل السيطرة على مقاليد الأمور في أثناء خلافة المستعلي(١٧٨) (٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م) وأحدث تغييرات في سياسة الدولة الداخلية فأتاح الحريات للناس لإظهار معتقداتهم الدينية وعمد الأفضل إلى تخفيف صبغة المذهب الإسماعيلي لأنظمة الدولة ورسومها فأبطل الاحتفال بالموالد لائمة الإسماعيلية(١٧٩).

وعندما تولى الخلافة الآمر(١٨٠) بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٢٩م) عمل على استرداد نفوذ الدولة وقوتها والقضاء على الأفضل فتمكن من قتله عام ٥١٥هـ/١١٢١م(١٨١) وتولى الوزارة مأمون البطائحي(١٨٢) وكان حازماً في إدارته ولكن الخليفة الآمر قتله عام ٥١٩هـ/١١٢٥م وانفرد بإدارة شؤون الدولة قتل الخليفة الآمر عام ٥٢٤هـ/١١٢٩م واختلت أمور الدولة وظهر وتآمر القادة للحصول على الوزارة، خلافاً للأسس والمبادئ الفاطمية وانتهاكاً لحرمة الخلافة، بعد قتل الخليفة الآمر، من الملاحظ أن الفترة الأخيرة في عهد الدولة الفاطمية كانت زاخرة بالصراع والنزاع بين الوزراء وهذا يظهر بوضوح في الصراع بين الوزراء شاور(١٨٣)

---

(١٧٥) ماجد، عبد المنعم، **نظم الفاطميين ورسومهم في مصر**، مكتبة الأنجلو المصرية، ج١، ط١، ١٩٥٣م، ص٥٨، وسيشار إليه لاحقاً: ماجد، نظم الفاطميين.

(١٧٦) الشيال، **الوثائق الفاطمية**، ص٢١.

(١٧٧) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٣-١٤.

(١٧٨) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٨٣-٨٦.

(١٧٩) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٠، المناوي، **الوزارة**، ص١٣٧.

(١٨٠) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٨٧-٩٣.

(١٨١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٦٠.

(١٨٢) البطائحي، هو أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة أبي شجاع فاتك بن الأمير بن الأمير مجد الدولة المعروف بمأمون البطائحي وزير الخليفة الآمر بأحكام الله مدبر الأمور في الأيام الأفضلية. ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٣. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٦١.

(١٨٣) شاور، بن مجير الدين بن سوار بن عشائر بن شاش بن مغيث بن حبيب بن الحارث وخلع عليه بولاية قوص و أختلف مع أبن رزيك وأجهر بالعصيان، وتولى الوزارة بعد ابن وريك، فعل الكثير من الإعمال السيئة كان أولها قتله لابن رزيك الذي قدمت له رأسه في طشت بدار الوزارة، وكانت تحمل فوق رأسه المظلة وهي من الرسوم التي تختص بالخليفة، للمزيد، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٥٩-٢٦١،= =ابن ظاافر، أخبار الدول، ص٨٧.

وضرغام[١٨٤] وهو النزاع الذي انتهي بان شاور استنجد بنور الدين زنكي[١٨٥] واستنجد ضرغام بالصليبين[١٨٦] فأرسل نور الدين جيشه تحت قيادة أسد الدين شيركوه[١٨٧] ومعه ابن أخيه صلاح يوسف بن أيوب[١٨٨] وحدث صراع كبير بين جيوش نور الدين زنكي والصليبين ودخلت جيوش نور زنكي مصر وبعد أن قتل شاور عهد الخليفة المعاضد بالوزارة إلى أسد الدين شيركوه في سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م وبعد شهرين من وزارته أقام الخليفة العاضد ابن أخيه صلاح الدين في الوزارة وبوصول صلاح الدين للوزارة[١٨٩] بدأ فصل جديد في تاريخ نهاية الفاطمية في مصر حيث ما لبث أن وضع النهاية لها وعندما أقام الخطبة للخليفة العباسي في سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م واستقل بمصر تهيأت له الظروف لأن يرث دولة نور الدين زنكي ويؤسس دولة جديدة في مصر والشام وهي الدولة الأيوبية[١٩٠] ابتداء من سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م.

وبذلك تكون نهاية الدولة الفاطمية في مصر حيث شكلت دولة عظيمة في الكثير من النواحي ومنها النواحي العسكرية والحربية[١٩١] واهتم الفاطميون بالجيش والتنظيم الحربي وعنوا بإنشاء

عمارة نجم الدين أبي محمد بن الحسن الحكمي اليمني، **النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية**، صححه هرتويغ درنبرغ مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩١م، ص٦٨، وسيشار إليه لاحقاً: عمارة، النكت العصرية.

(١٨٤) ضرغام، بن عامر بن سوار الملقب أبا الأشبال فارس المسلمين وصارت له رتبة عالية فطمع فيها شاور وكانت بينهم واقعة وقتل فيها ابن شاور، وعندما توجه شاور إلى الشام عاد ضرغام إلى القصر فاستدعا العاضد ولاه الوزارة، للمزيد، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٦٠-٢٦١، عمارة، **النكت العصرية**، ص٧٣.

(١٨٥) نور الدين زنكي، هو السلطان الملك العادل نور الدين محمود زنكي والي دمشق. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٦٤.

(١٨٦) عمارة اليمني، **النكت العصرية**، ص٦٦-٦٧، ٢١٦.

(١٨٧) شيركوه هو الأمير أسد الدين بن شاذي بن مروان أحد أمراء نور الدين زنكي على حمص كان ينوب عنه في حلب، أرسله نور الدين زنكي على رأس حملة عندما استنجد به الخليفة العاضد ومعه ابن أخيه صلاح الدين المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٦٥. ابن ظافر، أخبار الدولة، ص ٧٨.

(١٨٨) صلاح الدين يوسف بن أيوب، وهو الملك الناصر صلاح الدين بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي تولى الوزارة في عهد الخليفة العاضد وتلقب بالملك الصالح سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م وقلص من نفوذ سلطة الخليفة العاضد إلى أن اسقط الدولة الفاطمية في سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٩-٢٩٥، ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٧٨- ٧٩. بيبرس، المنصوري، **مختار الأخبار (تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ(**، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١٩٩٣م، ص٤، وسيشار إليه لاحقاً: بيبرس، **مختار الأخبار**، ص٣.

(١٨٩) بيبرس، **مختار الأخبار**، ص٤.

(١٩٠) **نفس المرجع**، ص ٥-٦.

(١٩١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص١٤٦- ١٥٠.

الأسطول وكان الجيش يتكون من عدة طوائف[١٩٢] وفي زمن الخليفة المعز يتكون أساسا من المغاربة[١٩٣] وفي عهد الخليفة العزيز انضم إليه طوائف من الأتراك والديلم ثم ظهر عنصر السودان في عهد الخليفة الحاكم وتضاعف في عهد الخليفة المستنصر لأنهم كانوا من جنس والدة الخليفة التي استكثرت من شرائهم ثم ظهر الأرمن مع وزارة بدر الجمالي[١٩٤] وأدى تعدد طوائف الجند إلى اندلاع الفتن واستشراء الحروب بينهم وإضعاف الدولة، وإذ لم يكن الفاطميون قد أشركوا المصريين في جيشهم في أول الأمر فأنهم اضطروا في النهاية والي إشراكهم للدفاع عن بلادهم عندما هددها الصليبيون فضم الجيش الفاطمي جنداً وأمراء مصريين[١٩٥] وأقام الفاطميون قواعد لإنشاء السفن الحربية[١٩٦] في الفسطاط[١٩٧] والإسكندرية ودمياط.

أما فيما يتعلق بالنواحي الاقتصادية فقد عني الفاطميون عناية خاصة بالزراعة[١٩٨] باعتبارها أهم مصادر الثروة في مصر فنظموا ري الأراضي وحفروا الخلجان والترع[١٩٩] حيث انتشرت زراعة الكتان في الأراضي المنخفضة التي تكون مغمورة بالمياه مدة طويلة وخاصة في مناطق الدلتا والفيوم وكذلك انتشرت زراعة قصب السكر في العصر الفاطمي[٢٠٠] وكانت رعايتهم للفلاحين مقرونة بكثير من مظاهر التسامح والرحمة إذ لم يتركوا تقدير الخراج للمقطعين بل حرصوا على تحديد مقداره ولم يحاولوا نزع ملكية الأراضي من أصاحبها، وبالرغم من عناية الفاطميين بالزراعة والمحاصيل وأنظمة الري فقد شهدت البلاد هزات اقتصادية متعددة بسبب قصور النيل[٢٠١] واختلال الفيضان وانتشار الأوبئة وعانت البلاد كثيراً من المحن واشتد فيها القحط وعم البلاء في فترات

---

(١٩٢) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت ٧٣٦هـ/١٤٧م) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام (حوادث سنة٤٠١-٤٢٠هـ/١٠١٠م-١٠٢٩م)**، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص٢٤٢، وسيشار إليه لاحقاً: الذهبي، تاريخ الإسلام.

(١٩٣) ابن ميسر، **المنتقي**، ص٢٦-٣٤.

(١٩٤) الذهبي، **تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٤٦١- ٤٧٠هـ/١٠٦٨-١٠٧٧م)**، ص١٨-٣٢.

(١٩٥) سعد، **تاريخ مصر الاجتماعي**، ص٢٨١.

(١٩٦) ابن ميسر، **المنتقي**، ص٦٥- ٦٨.

(١٩٧) ريمون، **القاهرة**، ص٣٣-٣٤. فؤاد، أيمن السيد، **التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن**، الدار المصرية اللبنانية، ط١٩٩٧، ص١، وسيشار إليه لاحقاً: فؤاد، التطور العمراني.

(١٩٨) ابن مماتي، أسعد الوزير الأيوبي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، **كتاب قوانين الدواوين**، تحقيق: عريز سوريال عطية، المطبعة المصرية، ط١، ١٩٤٣م، ص٣٣٩ ، وسيشار إليه لاحقاً: ابن مماتي، قوانين.

(١٩٩) سعد، **تاريخ مصر الاجتماعي**، ص٢٥٥.

(٢٠٠) نفس المرجع، ص٢٥٥.

(٢٠١) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص١٢-١٣، البغدادي، عبد الطيف (ت٥٥٧هـ/ ١١٦١م) **كتاب الإفادة والاعتبار والمشاهدة في حوادث المعانية بأرض مصر**، قصة المجاعة الكبرى بمصر عام ٦٠٠هـ تحقيق، أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ط ١٩٨٣م، ص١٥- ١٨.

الشدة العظمى[٢٠٢] وهي التي كانت لها عدة تأثيرات اقتصادية سياسية أدت لتمكين قوة نفوذ الوزراء العسكريين وزوال سلطة رجال القلم من الوزراء التنفيذيين فتضاءلت سلطة الخلفاء الفاطميين[٢٠٣] وسيطر أرباب السيوف والنساء على السلطة والنفوذ والإدارة.

ومن الملاحظ أن الفاطميين تمكنوا من فتح مصر إثر المجاعة التي أصابت مصر في أواخر عهد الدولة الإخشيدية، وبعد قرن من الزمان تقلصت سلطة الدولة الفاطمية في مصر على يد الوزراء العسكريين إثر الشدة العظمي وتداعياتها[٢٠٤].

وفي جانب آخر ازدهرت الصناعة في العهد الفاطمي وذلك مسايرة لحياة الترف والبذخ عاشها الخلفاء والوزراء والأمراء حيث شكلوا طبقة ثرية من المستهلكين، والنشاط التجاري الذي أدي لوجود سوق رائجة للمنتجات[٢٠٥] ولذلك ازدهرت صناعات النسيج على اختلاف أنواعه من نسيج الكتان الرفيع الذي كان يصنع في تنيس[٢٠٦] ودمياط والفيوم[٢٠٧] إلى جانب الإنتاج الرخيص الذي يتم في القرى حيث كانت النساء في أماكن مختلفة ينتجن الغزل في منازلهن وكذلك وجدت المصانع الحكومية مثل دار الطراز[٢٠٨] وارتفعت أسعار الأقمشة والمنسوجات الصوفية التي كانت تنتج في مصر الوسطي والحريرية والكتانية وكانت أكبر مراكزه في الإسكندرية والقاهرة وتقدمت صناعة الزجاج والخزف[٢٠٩].

وأصبحت مصر في العصر الفاطمي مركزا كبيراً لصناعات السفن الحربية والتجارية وتطورت صناعة الأسلحة في القاهرة[٢١٠] بذلك نشطت التجارة الداخلية والخارجية فتعددت الأسواق وكثرت وتنوعت السلع والمتاجر، وبنيت القياسر للتجار والصناع في القاهرة والفسطاط[٢١١] وظهرت المدن

---

(٢٠٢) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص١٣.

(٢٠٣) الصاوي، أحمد، السيد، **مجاعات مصر الفاطمية (أسباب ونتائج)**، دار التضامن، لبنان، بيروت، ط ١٩٨٨م، ص٩٨، وسيشار إليه لاحقاً: الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية.

(٢٠٤) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص١٢.

(٢٠٥) سعد، **تاريخ مصر الاجتماعي**، ص٢٥٦.

(٢٠٦) تنيس، من مدن مصر اشتهرت بصناعة النسيج، الحميري، **الروض المعطار**، ص١٣٧.

(٢٠٧) ربيس، سليمان مصطفي، **إلمامة عن أحوال القاهرة الاقتصادية وعلاقتها مع الخارج في عهد الفاطميين**، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مطبعة دار الكتب، القاهرة،١٩٧١م،ص ٥٨٨- ٥٨٩، وسيشار إليه لاحقاً: ربيس، إلمامة أحوال القاهرة.

(٢٠٨) سعد، **تاريخ مصر الاجتماعي**، ص٢٥٦.

(٢٠٩) سعد، **تاريخ مصر الاجتماعي**، ص٢٥٧، انظر الملاحق (١١-١٢-١٤) خزف ذو بريق معدني من العصر الفاطمي، ص٢٠٦-٢٠٨. ربيس، **إلمامة عن أحوال القاهرة**، ص٥٨٩.

(٢١٠) ريمون، **القاهرة**، ص٤٧.

(٢١١) سعد، **تاريخ مصر الاجتماعي**، ص٢٥٨.

التجارية وكانت القاهرة العاصمة المركز التجاري الرئيسي وأصبحت مدينة قوص[٢١٢] مركزاً تجارياً هاماً لوقوعها في طرق القوافل ولذلك غدت مدينة دمياط من أهم المواني في المنطقة الشرقية من حوض البحر المتوسط، واتسع نطاق التجارة الخارجية[٢١٣] مع كل من أوروبا وأسيا وشكلت الإسكندرية أكبر الموانئ الرئيسية للتجارة الخارجية وأصبح طريق مصر من أهم طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب[٢١٤] فاهتمت الدولة بحماية طرق التجارة للمحافظة على أموال التجار من أن تتعرض للنهب والسلب[٢١٥] وأقيمت بمصر الفنادق والوكالات والخانات لاستقبال التجار وتوفير الراحة لهم وتمكينهم من عرض سلعهم وبضائعهم مما انعكس على نشاط حركة التجارة الضخم والتبادل السلعي أدي إلى ارتفاع قيمة العملة النقدية[٢١٦].

أما بالنسبة للحياة الاجتماعية في عهد الفاطميين فقد عاش الفاطميون حياة بذخ وترف فبنوا القصور والمساكن الفاخرة[٢١٧] وأقاموا المطابخ الخاصة بهم ولأضيافهم وحاشيتهم حتى وزرائهم اتخذوا لهم حجاب وحاشية خاصة بهم وغلمان وأتباع وكان بذخ الوزير الأفضل الشاهنشاه وثروته والأبهة التي عاش فيها مثار دهشة المؤرخين[٢١٨] فقد عني الوزير الأفضل ببناء القصور والبساتين والدور والمناظر ومد الأسمطة الفاخرة في قصورهم والتي اشتملت على الفاخر من الأثاث، وحشد بخزائنه الفاخر من الثياب والحلي والتحف[٢١٩] وجلب النادر من الطيور والورد والشجر وكذلك اهتمت الدولة بالكثير من الاحتفالات الرسمية والأعياد والمناسبات الاجتماعية حتى صارت من السمات المتعارف عليها في العصر الفاطمي.

وعني الفاطميون بالنواحي الثقافية والعلمية[٢٢٠] بجانب الثقافة المذهبية حيث أسهم الجامع الأزهر[٢٢١] في النهوض بالحياة الثقافية والارتقاء بالشؤون العلمية وأصبح مركزاً للدراسة في عهد

---

(٢١٢) قوص، مدينة كبيرة في البلاد المصرية في الجهة الشرقية من النيل بها أسواق جامعة وتجارات كثيرة، وللمزيد انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٤٨٤- ٤٨٥.

(٢١٣) خضيري، حسن أحمد، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (٣٦٢-٥٦٧هـ/٩٧٣-١١٧١م)، **مجلة كلية الآداب**، ع٥٩، ط١، ١٩٩٣م، مركز نشر جامعة القاهرة، ص٢٦٤. وسيشار إليه لاحقاً: خضيري، علاقات الفاطميين.

(٢١٤) ماجد، **سياسة الفاطميين**، ص٤١١.

(٢١٥) سلطان، **الأسواق**، ص١٣٩.

(٢١٦) انظر ملحق رقم ٨، ص ٢٠٥. دينار باسم، **المستنصر**، ص ٢٠٥.

(٢١٧) ابن ميسر، **المنتقي**، ص٦٦- ٧٥، ريمون، **القاهرة**، ص٥٠.

(٢١٨) العيني، بدر الدين، **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، سلسلة الذخائر القاهرة ط ٢٠٠٣م، ص ١٥، وسيشار إليه لاحقاً: العيني، السيف المهند.

(٢١٩) العيني، **السيف المهند**، ص١٥.

(٢٢٠) ريمون، **القاهرة**، ص٤٧.

الخليفة المعز ثم معهداً للدراسات الإسلامية في عهد الخليفة العزيز، وألحق الفاطميون بقصورهم مكتبات كبيرة زخرت بأندر المؤلفات والمخطوطات(٢٢٢) وانشأ الخليفة الحاكم "دار الحكمة"(٢٢٣) سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م التي ذاع صيتها وزودها بمكتبة كبيرة حوت الكثير من الكتب في مختلف العلوم والآداب وأصبحت قبلة للطلاب وجاء الطلاب من كل مكان ليتلقوا فيها العلوم العربية والفقه الشيعي فضلاً عن اللغة والفلك والطب والرياضة والفلسفة والتنجيم والحساب(٢٢٤) وساعد على ازدهار الحركة العلمية في هذا العصر أن الخلفاء الفاطميين كانوا يسمحون للعلماء والطلاب بالتردد على مكتبة القصر والاطلاع على كتبها، وقيامهم بعقد المجالس العلمية والأدبية(٢٢٥) وحضورهم المناظرات والمجادلات العلمية وكان الأزهر ودار الحكمة يقومان بدورهما في نشر العلوم والآداب خير قيام، وقد أدى تشجيع الفاطميين لهذه الحركة الفكرية والعلمية(٢٢٦) إلى ظهور الكثير من العلماء والكتاب والمؤرخين.

وهكذا كان عصر الفاطميين في مصر عصراً حافلاً زاخراً بشتى التجارب والخبرات مسهماً في بلورة الحياة المصرية وتعميقها، وكانت الدولة الفاطمية حلقة من حلقات الحكم الإسلامي النابضة بالحياة، وتجربة جديدة في مدلولها وأهدافها في منحاها وتراثها ومذهبها، وتركت بصمات واضحة في مصر في النواحي الاجتماعية والفكرية وكذلك في توجيهاته ومفاهيمه السياسية في هذه الحقبة التي امتدت قرابة قرنين من الزمان.

---

(٢٢١) حسن، **الفاطميون**، ص١٣١.

(٢٢٢) **نفس المرجع**، ص١٣١.

(٢٢٣) حسن، **الفاطميون** ، ص١٣٧.

(٢٢٤) **نفس المرجع**، ص١٣٧.

(٢٢٥) أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، الجزء الأول (يبحث في الحالة الاجتماعية ومراكز الحياة العقلية من عهد المتوكل إلى أواخر القرن الرابع الهجري)، دار الكتاب العربي، لبنان بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص١٨٨-١٨٩، وسيشار إليه لاحقاً: أمين، ظهر الإسلام.

(٢٢٦) خضيري، **علاقات الفاطميين**، ص٢٦٦.

الفصل الأول
فئات النساء في المجتمع الفاطمي

المبحث الأول: نساء الخاصة.

المبحث الثاني: نساء العامة.

المبحث الثالث: نساء اليهود والنصارى.

المبحث الرابع: الجواري في المجتمع الفاطمي.

الفصل الأول:
فئات النساء في المجتمع الفاطمي

المبحث الأول: نساء الخاصة:

أمهات الخلفاء وزوجاتهم وبناتهم:

أن قياس رقي أي مجتمع من المجتمعات يرتبط بمدى تقديره للمرأة واستجابته لمنحها حقوقها كاملة لأن الشريعة الإسلامية أعطت المرأة حقها كاملاً لم تنقص من حقها شيئاً، وأن المرأة في العصر الفاطمي تمتعت بقسط وافر من الاحترام والتقدير سواء داخل الطبقة الحاكمة في داخل قصور الخلفاء، أو عند سائر الناس، وكانت الأسر الحاكمة تمثل قمة المجتمع فقد كانت تتمتع بالثراء العريض والسلطة والنفوذ، وكانت القصور الفاطمية تضم أعداداً من النساء لا يمكن تقديرها(٢٢٧) وكان على رأس نساء القصر زوجات الخليفة وحظاياه.

نساء الخاصة:

أم الخليفة المستنصر:

تدعى السيدة رصد(٢٢٨) أم الخليفة المستنصر بالله وزوجة الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، ويقال أنها جارية سودانية كانت من إحدى حظايا الخليفة الظاهر وأهداها له أبو سعيد التستري، فولدت له الخليفة المستنصر(٢٢٩) ولاعترافها بجميل التستري ولته الأشراف على ديوانها وتدخلت أم المستنصر في الدولة وسيطرت على الوزراء بالعزل والمصادرات والقتل(٢٣١) مما أدى إلى فساد أحوال البلاد، ومن ثم تدخلت في أمور الجند واستكثرت من عبيد الشراء وزادت في أرزاقهم على حساب الأتراك التي لم تخفي كراهيتها لهم(٢٣٢) وحلت بالبلاد الكوارث والمجاعات من سوء سياسة أم المستنصر، وأن الخليفة المستنصر نفسه لم يجد ما يقتات به من الجوع، وكانت امرأة ترسل إليه كل يوم برغيفين خبز أو بعض الأكل الذي يقتات منه مرة في اليوم(٢٣٣) وهربت أم

---

(٢٢٧) خسرو، سفر نامة، ص ٤٨.

(٢٢٨) نفس المصدر، ج٢، ص١٨٤.

(٢٢٩) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٩١.

(٢٣٠) ابن ميسر، المنتقي، ص١٦، ماجد، الإمام المستنصر بالله، ص٢٥.

(٢٣١) ماجد، الإمام المستنصر بالله، ص١٥٥.

(٢٣٢) ابن ميسر، المنتقي، ص٣٢، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٦٧.

(٢٣٣) ماجد، الإمام المستنصر بالله، ص١٥٨.

المستنصر إلى الشام[٢٣٤] بعد أن ساده الفساد ودخلت الدولة في عهد نفوذ سلطة الوزراء منذ وزارة بدر الجمالي الأرمني سنة ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م[٢٣٥] وأصبحت لهم كافة الصلاحيات في الدولة وليس للخليفة إلا السلطة الاسمية، وشبه محجور عليه ولا يمارس من السلطة إلا الركوب في الأعياد.

إن الدراسات السابقة[٢٣٦] لم تتناول دور أمهات الخلفاء مثل أم المستعلي أو السيدة رصد أم الخليفة المستنصر، ضمن فئات نساء الخاصة في المجتمع الفاطمي ونجد أن لكليهما دوراً متميزاً ومختلفاً ولهن علامتهن في التوقيعات التي تمثل إشارة إلى مكانتهن في الدولة من خلال المراسلات الرسمية.

أمهات الخلفاء: والدة المستعلي:

هنالك بعض الإشارات لبعض أمهات الخلفاء علماً بأنَّ المصادر لم تمدنا بالكثير عنهن؛ وذلك ربما كنَّ محدودات الدور في الأمور السياسية في الدولة ومنهن والدة الخليفة المستعلي التي ربما كان دورها محدوداً في الدولة ولكن وردت لها مراسلات في بعض السجلات المستنصرية ولها علامة توقيع في هذه المراسلات[٢٣٧] مما يدل على أنها كان لها مشاركة في إدارة الدولة وكانت علامتها في التوقيع على إحدى المراسلات إلى الملكة الحرة اروي ملكة اليمن "الحمد لله على نعمه"[٢٣٨] حيث شرحت لها في هذه المراسلة تلميح الخليفة المستنصر بولاية العهد إلى ابنه المستعلي[٢٣٩] وأيضاً من خلال هذه المراسلة يتضح أن أم المستعلي كانت لها مكانة عند ملكة اليمن هي وابنها الخليفة المستعلي[٢٤٠] لان اليمن كانت خاضعة لمصر في عهد الدولة الفاطمية، وكذلك كانت تتمتع بعدة ألقاب منها "السيدة الملكة الكريمة"[٢٤١] ويمكن أن نشير إلى أن دور أم المستعلي جاء نتيجة لما صاحب بيعة المستعلي للخلافة كثير من الإشكاليات بسبب أخيه الأكبر

---

(٢٣٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٣٠٧، ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص١٥٨.

(٢٣٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٣١١.

(٢٣٦) عبد الكريم، **المرأة في مصر**، ص٣٥ وما يليها.

(٢٣٧) المستنصر بالله، أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) **السجلات المستنصرية**، سجلات وتوقيعات الإمام المستنصر، تحقيق عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي، مصر، ط١٩٥٤م سجل رقم ٣٥، انظر الملحق ص١٩٢-١٩٩. وسيشار إليه لاحقاً: السجلات المستنصرية.

(٢٣٨) **نفس المصدر**، سجل رقم ٣٥، انظر الملحق، ص١٩٢-١٩٩.

(٢٣٩) ماجد، **نظم الفاطميين**، ص٨٥.

(٢٤٠) ماجد، عبد المنعم، **الإمام المستنصر بالله الفاطمي**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١٩٦٠م، ص٢٠٤، وسيشار إليه لاحقاً: ماجد، الإمام المستنصر بالله.

(٢٤١) السجل رقم (٣٥)، انظر ملحق، ص١٩٢-١٩٩.

نزار الذي زعم أحقيته في الخلافة[٢٤٢] ومن هنا يمكن أن تكون أم المستعلي تدخلت للوقوف إلى جانب ابنها للدفاع عن أحقيته في الخلافة[٢٤٣] كما هي عادة النساء الفاطميات في الدفاع عن ولاية العهد لأبنائهنَّ في الحفاظ على الخلافة ومقدراتها.

نساء الخلفاء:

نجد أن جميع الخلفاء الفاطميين نظروا إلى نسائهم نظرة تفيض بالإجلال والتقدير وخصوهن بالكثير من ألقاب التشريف، ولم يضن الخلفاء على نسائهم بكافة وسائل الترفيه والمتعة وبخاصة لما عرف عن الدولة الفاطمية بأنها كانت تفيض بالكثير من مظاهر الترف والبذخ الاجتماعي والذي تمثل في كثرة الأعياد والمناسبات المختلفة في الدولة، واعتاد بعض الخلفاء أن يستصحبوا معهم حريمهم في نزهاتهم، إن الخليفة المستنصر كان يصحب حريمه وخدمه إلى منطقة جب عميرة[٢٤٤] للتنزه.

السيدة المُعزيَّة:

كانت أولي النساء اللاتي حظين بمكانة كبيرة لدي الخليفة هي "السيدة المعزية" أم الخليفة العزيز بالله وهي زوجة الخليفة المعز لدين الله، التي كانت تتلقب بأم الأمراء واسمها تغريد وقيل درزان أو درزارة وهي أم ولد[٢٤٥] من أصل عربي تزوجها الخليفة المعز بالمغرب قبل أن تنتقل الخلافة الفاطمية إلى مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م وهي الزوجة الوحيدة للخليفة المعز حيث أن المعز لم يتزوج غير واحدة، وأن السيدة تغريد لم يكن لها أي نشاط إداري و سياسي في الدولة ولكن المعز كان يستشيرها في بعض الأمور السياسية، ونسبت لها بعض الآثار العمرانية مثل منازل العز في القاهرة، وفي سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م بنت جامع القرافة وقصر وحمام القرافة على يد الحسين بن عبد العزيز الفارسي المحتسب وكان متنزهاً، وكان من أحسن الآثار في إتقان بنيانه

---

(٢٤٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٨٦-٨٧.

(٢٤٣)المقريزي، **اتعاظ الحنفا** ، ج٣، ص١١-١٨.

(٢٤٤) ابن ميسر، **المنتقي**، ص٢٤، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٦٥. جب عميرة، في الجهة البحرية الشمالية من القاهرة المعزية، وهو بركة الحجاج إذ كان يجتمعون بها قبل تحركهم للحج وعند عودتهم، وسمي المكان بهذا الاسم نسبة إلى عمير ابن تميم النجيبي من بني القرناء. المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٦٣-١٦٤، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٦٥.

(٢٤٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٢٣٦.

وصحة أركانه[٢٤٦] وتوفيت سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م أي قبل وفاة ابنها العزيز بعام واحد[٢٤٧] وحملت إلى القصر وصلى عليها العزيز وكفنها بما قيمته عشرة آلاف دينار وأخذت الغاسلة ما كان تحتها من الفرش وما عليها من ثياب وكان قيمتها ستة آلاف دينار وأقامت ابنتها العزاء على قبرها شهراً ويأتيها الناس وتطعمهم كل ليلة أصنافاً من الأطعمة والحلوى وفرقت على الشعراء وجماعة من رثوها ألفي دينار[٢٤٨].

السيدة العزيزية:

هي زوجة الخليفة العزيز وهي امرأة رومية نصرانية من الطائفة الملكية[٢٤٩] وكانت تسمي السيدة العزيزية دون الإشارة إلى أصلها وديانتها، وكانت سرية، وأنجبت بنتاً وهي ست الملك واتفقت الروايات على إنجابها لست الملك واختلفت حول إنجابها للحاكم، وكانت للسيدة العزيزية مكانة كبيرة عند زوجها العزيز حيث كان لها أثر وأضح في سياسته التي انتهجها اتجاه النصارى والتي اتسمت بالتسامح وإشراك بعض النصارى في إدارة الدولة[٢٥٠] إذ أخذت تقوي طائفة الملكية على حساب الطوائف الأخرى في مصر وكان العزيز يشارك النصارى في احتفالاتهم ومناسباتهم الدينية مما كان له أثر في سياسة الخليفة اتجاه طوائف النصارى نتيجة لتلك المصاهرة.

الأمرية:

وهي زوجة الخليفة الآمر بأحكام الله ويقال لها جمعة، أو مكنون الأمرية وكانت لديها مكانة كبيرة عند زوجها الآمر وكان صداقها منه أربعة عشرة الأف دينار[٢٥١] وهذا يدل على أنها كانت ذات صلة بالخليفة الآمر لأن صداقها يدل على أنها من الأسر الحاكمة أو من البيت الفاطمي وقد تكون ابنة عمه، وولدت له بنتاً سمتها ست القصور، وان الخليفة الآمر كان لا يرد لها طلباً ويروى في مرة وهب الخليفة الآمر إلى أثنين من غلمانه المقربين إليه مالاً وعندما قدم إليها

([٢٤٦]) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٣٧٩.

([٢٤٧]) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٢٨٨.

([٢٤٨]) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٢٨٩.

([٢٤٩]) فرشوخ، **ست الملك**، ص٧٢. الطائفة الملكية، هم من الأقباط الكاثوليك وعندما حصل الانشقاق الكنسي في الكنيسة القبطية عام ٤٥١م، رفض الأقباط قرار هذا المجمع الكنسي واعتبروهم كفار واختاروا لهم بطريكاً من قبلهم وعرف إتباعه بالملكية عنان، عبد الله، **الحاكم بأمر الله**، دار النشر الحديث، القاهرة، ص٤١، وسيشار إليه لاحقا، عنان: الحاكم بأمر الله.

([٢٥٠]) العيني، **سيرة الملك المؤيد**، ص١٥٥.

([٢٥١]) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٢٣.

أغلقت عليها مقصورتها دونه إلى أن يعطيها ما تطلب من المال وفي الحين أرسل الخليفة إلى الفراشين وحملوا لها المال في عشرة أكياس وفي كل كيس عشرة آلاف دينار [٢٥٢] وقد تكون أرادت هذا المال لتنفقه على الفقراء والمساكين.

زوجة الآمر البدوية:

يقال إن اسمها العالية[٢٥٣] وهي من الصعيد المصري وكانت شاعرة جميلة وإن الخليفة الآمر سمع بخبرها، وأرسل إلى أهلها وطلب أن يتزوجها، وأرسلها أهلها إلى قصر الخليفة بالقاهرة وغدت زوجة الخليفة وسيدة البلاط الفاطمي ولكنها أخذت تحن لحياة البادية فكانت تهيم بهوى ابن عم لها يدعى مياح فأمر الخليفة أن يقام لها متنزه عظيم عرف بالهودج[٢٥٤] ليكون متنزهاً لها.

بنات الخلفاء: ست الملك.

أن الإشارة إلى بنات الخلفاء الفاطميين قليلة ربما لم يكن للكثيرات منهن دور بارز في إدارة الدولة ومن بين من كان لهن دور سياسي واضح في الدولة ست الملك ابنة الخليفة العزيز بالله وأخت الخليفة الحاكم بأمر الله[٢٥٥] وكانت أكبر منه سناً ولم تذكر الكثير من المصادر التاريخية ولادتها ولكن ابن ظافر ذكر أنها ولدت بالمغرب فتكون ولادتها قبل سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م وقد حظيت بمكانة عالية عند والدها العزيز الذي كان يكرمها ويجلها[٢٥٦] وأحاطها بكل أسباب الترف والثراء وبني لها القصر الغربي لتعيش فيه لوحدها وكان لها نحو أربعة آلاف جارية يقمن بخدمتها وقد يكون هذا العدد الكبير من الجواري مبالغاً فيه.

وقد أشارت الكثير من المصادر التاريخية[٢٥٧] إلى العديد من صفاتها التي كانت تدل على

---

(٢٥٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٢٣.

(٢٥٣) عنان، محمد عبد الله، **مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية**، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٦٩م، ص٢٥٧، وسيشار إليه لاحقاً: عنان، مصر الإسلامية.

(٢٥٤) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٣٧٧. عنان، **مصر الإسلامية**، ص٢٥٩، وهذا ما أشرنا إليه بالتفصيل في الفصل الخاص بالجواري.

(٢٥٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٣-١٢٣، ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٣٤- ٦٢، الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٢٥٦-٣١٢.

(٢٥٦) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٧٥.

(٢٥٧) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٢٦-٣٣، ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٤٣-٤٤، النويري، شهاب الدين أحمد ابن عبد الوهاب (٧٣٣هـ/١٣٣٢م) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ٢٨ جزء، تحقيق: محمد أمين ومحمد= =حلمي،

رجاحة عقلها وقوة شخصيتها التي كان لها كبير الأثر في ما لعبته من دور سياسي وإداري ناجح في عهد خلافة شقيقها الخليفة الحاكم الذي وقفت إلى جانبه بالنصح والإرشاد[٢٥٨] واستمرت في التدخل في إدارة الدولة وبعد أن تحول أخوها الخليفة عنها نتيجة لرفضه لتدخلها في شئون الدولة لأنها أدركت أن الحفاظ على كيان الدولة ليس بالأمر السهل خصوصاً أن سياسة الخليفة الحاكم أصابها الاضطراب والنصح لم يعد يجدي مع أخيها نفعاً وبالأخص عندما اتهمها بالفاحشة ورماها بالفجور[٢٥٩] وهذا ما دفع الكثير من المصادر أن تشير إلى مشاركة ست الملك في قتل الخليفة الحاكم وأخذت تدبر أمور الدولة حتى بداية عهد الخليفة الظاهر ابن الحاكم[٢٦٠] الذي نصبته خليفة على الدولة بعد اغتيال والده الحاكم وأخذت ترسي له قواعد الدولة حتى توفيت سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م أو كما أشارت بعض المصادر في سنة ٤١٥ هـ/١٠٢٤م[٢٦١].

ابنة الخليفة الظاهر:

وكذلك نجد أن هنالك إشارة إلى ابنة الخليفة الظاهر وهي شقيقة الخليفة المستنصر وقد تكون شقيقته من أمه السودانية ولم تذكر المصادر اسمها والتي لعبت دوراً سياسياً وإدارياً في الدولة ولكن الإشارات إليها كانت قليلة بالرغم من أن دورها ليس بقليل لأن لديها مراسلات تدل على أنها كان لها دور في الدعوة الفاطمية وذلك من خلال مراسلتها مع ملكة اليمن في سجلاته ومراسلتها معها "فإنه عرض بحضرتنا كتابك والذي أعربت فيه عن موالاتك وإخلاصك وطاعتك وحميد مسعاك، فأما تشميرك في إقامة منار الدعوة العلوية المستنصرية"[٢٦٢] في جانب أخر في مراسلة أخت المستنصر للملكة الحرة متضمن على" تجديد تقليد ولدك الدعوة وخرجت الأوامر إلى

مركز تحقيق التراث، القاهرة، ط١٩٩٢م، ص١٧٤-١٧٥، وسيشار إليه لاحقاً: النويري، نهاية الأرب. الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٢٧٥- ٢٦١.

(٢٥٨) ابن تغردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٧٨-١٨٩، أشرنا إليه بالتفصيل بالفصل الخاص بدور ست الملك الإداري والسياسي.

(٢٥٩) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٧، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ٨ أجزاء، دار المعارف العثمانية حيدرأباد، ط١٩٣٩م، ج٧، ص٢٩٨ وسيشار إليه لاحقاً: ابن الجوزي، المنتظم. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص١٢٩، الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٣٠١، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٥.

(٢٦٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٥، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٣١، النويري، **نهاية الأرب**، ج٢، ص٢٠٣، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٩٢.

(٢٦١) الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٣١٤، النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٨، ص٢٠٥، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص..

(٢٦٢) **السجلات المستنصرية**، سجل رقم ٥٢، ص٢٠٢-٢٠٤.

السلاطين في الأعمال اليمنية بطاعتكما والانقياد لكم" مما يدل على أنها كانت تتولي الرد أحياناً نيابة عن الخليفة ولها علامة توقيع[٢٦٣] شبيه بعلامة توقيع أم المستنصر وهي"الحمد الله ولي كل نعمة"[٢٦٤] وتبدأ مراسلتها بعبارة " من السيدة أخت الإمام عرض بحضرتنا" دلالة على أنه كانت تعرض عليها مراسلات الدولة الخارجية وقد تكون هي من تتولي الرد على تلك المكاتبات مما يدل أنها على دراية بأمور الدولة الداخلية والخارجية وهذا ما تشير إليه مراسلاتها مع الملكة الحرة ملكة اليمن[٢٦٥] رداً على كتاب أرسل من ملكة اليمن إلى أخت الخليفة ويتضح من الرد كذلك بأنها تتلقب بعدة ألقاب " بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد الله ولي كل نعمة، من السيدة الطاهرة الشريفة الملكة الكريمة ابنة الإمام الظاهر لإعزاز دين الله"[٢٦٦].

والجانب الأخر الذي نستدل منه على مكانة أخت المستنصر لدي شقيقها الخليفة ما قامت به في بيعة الخليفة المستعلي والذي على ما يبدو أن شقيقها الخليفة أسر لها بالبيعة لابنه المستعلي وهذا ما أشارت إليه أخت نزار أن والدها المستنصر استدعى عمتها بنت الظاهر فأسر إليها[٢٦٧] وقالت قد عاهدني وأوصاني بأن الخليفة من بعده أبو القاسم ولقب بالمستعلي وأحضرت وبايعته عمته[٢٦٨] وهذا يدل على الدور الكبير الذي قامت به أخت المستنصر الذي على ما يبدو أن الخليفة كان يجلها فأسند لها أمر إعلان البيعة لابنه ربما كان لها المقدرة على حسم الأمور وقوة الشخصية.

ألقاب النساء في العصر الفاطمي:

حاطت الدولة الفاطمية في مصر الكثير من مظاهر العظمة والأبهة سواء كان هذا التعظيم للخلفاء وفقاً لقواعد المذهب الشيعي في تقديس الإمام بصفته معصوما أو لزوجاتهم وحظاياهم وأمهاتهم، وبناتهم ، وأخواتهم، وبذلك حازت النساء في العصر الفاطمي على الكثير من

---

(٢٦٣) عبده، عبدالله كامل، **الفاطميون وأثارهم المعارية في افريقية ومصر واليمن،** دار الآفاق العربية، ط ٢٠٠١م، ص٩٣، وسيشار إليه لاحقاً: عبده، الفاطميون وآثارهم.

(٢٦٤) **نفس المصدر**، سجل رقم ٢٨، انظر الملحق، ص١٩٠-١٩١.

(٢٦٥) الملكة أروي الصليحية هي الملكة أسماء بنت شهاب معروفة بالملكة الحرة خطب لها على المنابر في اليمن وكانت لها مكانة في الدولة الفاطمية ومراسلتها مع الخليفة المستنصر ووالدته السيدة رصد، واذا ركبت في موكبها مائتا جارية بالحلي والجواهر، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة،** ج٥، ص١١٥، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ،** ج٩، ص٤١٢، المقريزي، **اتعاظ الحنفا،** ج٢، ص٢٢٢، وللمزيد انظر، **السجلات المستنصرية،** سجل رقم ٥١، انظر الملحق ، ص٢٠٠-٢٠١.

(٢٦٦) **السجلات المستنصرية،** سجل رقم ٥٢، انظر الملحق، ص٢٠٢-٢٠٤.

(٢٦٧) المقريزي، **اتعاظ الحنفا،** ج٣، ص٨٦.

(٢٦٨) **نفس المصدر**، ج٣، ص٨٧.

الألقاب التي تدل على مكانتهن وأنهن يمثلن قمة الهرم الاجتماعي في الدولة وتعددت الألقاب التي كانت تنحصر في نساء الطبقة الخاصة دون النساء في عامة الدولة.

الجهة العالية:

وهي من الألقاب التي حظيت بها في العصر الفاطمي وكان هذا اللقب خاص بزوجات الخلفاء وحظاياه اللائي كن يتمتعن بمكانة مرموقة داخل القصور الفاطمية ويطلق عليهن "الجهة العالية"[٢٦٩] أو "الجهات العالية" و"الجهات المعظمة"[٢٧٠] وعلى ما يبدو أن هذه الألقاب خاصة بزوجات وحظايا الخليفة دون بقية الطبقات في الدولة مثل زوجات الوزراء وكبار رجال الدولة كان يطلق عليهن" الجهة" فقط[٢٧١] دون لفظ العالية أو المعظمة.

السيدة:

وهو لقب عام أطلق على نساء الخاصة وكذلك يمكن أن يطلق على نساء العامة، ولكنه كان أكثر ارتباطاً بنساء الخاصة من زوجات وأمهات الخلفاء وجميع أميرات القصر الفاطمي ومنهن ست الملك ويقال لها "السيدة ست الملك"[٢٧٢] وأطلق عليها سلطانة[٢٧٣] وكذلك ست الكل[٢٧٤] وبالرغم من أن ست الملك لم يكن لها مراسلات رسمية إلا انها تمتعت بعدد من الألقاب، وكذلك السيدة أم المستنصر التي تلقبت بعدت ألقاب ومنها السيدة[٢٧٥] والملكة[٢٧٦] وأن ابنها الخليفة المستنصر كان يخاطبها " مولاتنا الوالدة"[٢٧٧] دلالة على مكانتها في الدولة لدى الخليفة، ورجال الدولة، وكذلك من الألقاب التي تميزت بها أم المستنصر دون غيرها كان يشار إليها " بالجهة الجليلة" "والستر الرفيع"[٢٧٨] وكذلك نجد من ألقاب النساء الفاطميات كن ينسبن بالألقاب إلى أزواجهن الخلفاء حتى أن المصادر التاريخية أكتفت بنسبتهن إلى أزواجهن الخلفاء دون

---

(٢٦٩) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٢٧.

(٢٧٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٨٦.

(٢٧١) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤١١.

(٢٧٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٥.

(٢٧٣) **نفس المصدر**، ج٢، ص١٢٤.

(٢٧٤) **نفس المصدر**، ج٢، ص١١٥.

(٢٧٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٤٥.

(٢٧٦) **السجلات المستنصرية**، سجل رقم ٥١، انظر الملحق، ص٢٠٠-٢٠١.

(٢٧٧) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٠٦.

(٢٧٨) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤١٠. الصاوي، **مجاعات مصر**، ص٥٠.

التعريف بأسمائهنَّ وأصولهن مثل "السيدة العزيزية" "السيدة المعزية" "وعلم الأمرية"[(٢٧٩)] وهذه الألقاب إنما يقصد منها الاعتزاز ويشعرن بالفخر بالانتساب إلى الخليفة، وكل هذا يدل على مكانة نساء الخلفاء سواء داخل القصور أو في مخاطبة رجال الدولة و الناس لهن.

ونجد أن أم المستعلي كذلك تلقبت بعدة ألقاب من خلال مراسلتها الرسمية ومنها "الملكة" وهذا اللقب ربما كان يشترك فيه معظم النساء من أمهات وزوجات الخلفاء واللواتي كن مشاركات في إدارة الدولة، ولو لمدة قصيرة أو كان لهن وضع مميز في الدولة ومن الألقاب الأخرى لأم المستعلي "الكريمة الرؤوف الرحيمة"[(٢٨٠)].

الشريفة:

لقب الشريفة من الشرف أو التشريف وأن هذا اللقب لم يطلق على جميع زوجات الخلفاء ولم يرد كذلك عند أمهات الخلفاء[(٢٨١)] إنما ظهر عند ابنة الخليفة الظاهر وذلك ما ورد في مراسلاتها التي نستدل منها ربما هي الوحيدة التي حازت على هذا اللقب وأيضاً لقب الطاهرة كما أشار إلى ذلك السجل "من السيدة الطاهرة الشريفة الملكة الكريمة الرءوف الرحيمة ابنة الإمام الظاهر لإعزاز دين الله"[(٢٨٢)] وباقي الألقاب أطلقت على الكثير من النساء الفاطميات.

وحتى نساء الوزراء والقواد في الدولة تمتعن بالألقاب التي كانت تدل على مكانة أزوجهن في الدولة لذا حظيت بهذه المكانة، ولقبن بالجهات مثل " جهة جوهر" و" جهة المولي أبي الفضل جعفر"[(٢٨٣)].

المحروسة:

وهو لقب للنساء في العصر الفاطمي ولقد ورد ضمن ألقاب السيدة علم الأمرية في نقش سنة ٥٥٠هـ/١١٦٠م على محراب من خشب في مسجد السيدة رقية[(٢٨٤)] مما يدل على كثرة ألقاب النساء التي ربما لم تذكر في الكثير من المصادر لذلك لم تصلنا.

---

(٢٧٩) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٢٣.

(٢٨٠) **السجلات المستنصرية**، سجل رقم ٣٥، ص١٩٢-١٩٩.

(٢٨١) ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص ٥٠.

(٢٨٢) **السجلات المستنصرية**، سجل رقم ٥٢، ص٢٠٢-٢٠٤.

(٢٨٣) ابن مأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٥٠.

(٢٨٤) عبد الكريم، **المرأة في مصر**، ص٥٣.

التوقيعات أو العلامات:

ومما تعارف عليه في عهد الدوله الإسلامية وكذلك الدولة الفاطمية أن هنالك مكاتبات رسمية تتم في الدولة بواسطة الخليفة إلى الدول الأخرى أو إلى رعاياه وعماله خارج الدولة وأن هذه المكاتبة عادة ما تحمل الصيغة أو الصفة الرسمية[٢٨٥] للدولة والخليفة. ونتيجة للمكانة الكبيرة التي حظيت بها المرأة في عصر الدولة الفاطمية بجانب مشاركتها في إدارة شؤون الدولة والوقوف إلى جانب الخلفاء نجد أن هنالك ما يدل على توسع سلطتها ونفوذها في الدولة ويتضح هذا من خلال ما كان لديها من علامات للتوقيع في المراسلات الرسمية، قد يكون أنها كانت تتولي مهمة الرد على المراسلات إلى خارج الدولة ومن بين النساء اللاتي كن يملكن علامات وتوقيعات في المكاتبات الرسمية، أم الخليفة المستنصر بالله وكانت صيغة علامتها "الحمد الله ولي كل نعمة"[٢٨٦] وكانت علامة توقيع أخت المستنصر وكذلك ابنة الخليفة الظاهر كلاهما كن يحملن نفس هذه العلامة للتوقيع، ربما ورثتها شقيقة المستنصر من والدتها أم المستنصر[٢٨٧] وكانت علامة أم الخليفة المستعلي "الحمد لله على نعمه"[٢٨٨] وكل هذه الإشارات تدل على ما كانت تتمتع به المرأة الفاطمية من مكانة كبيرة وعالية في الدولة والتي مكنتها من أخذ التوقيعات الرسمية لها، غير أن ست الملك بالرغم من مكانتها الإدارية والسياسية الكبيرة في الدولة لم يكن لها توقيع أو أن المصادر لم تمدنا بتوقيع لها.

الزواج السياسي:

إن الكثير من الدول وعلى مر التاريخ تسعي إلى توطيد علاقاتها مع أصحاب السلطة والنفوذ وفي الغالب تلجأ إلى تقوية الروابط معهم عن طريق المصاهرة والتي تقوي لحد ما أواصر الصلة بين الحكام ومن هم أقل منهم سلطة، وعادة يسعي الوزراء إلى هذا النوع من تقوية العلاقات مع الخلفاء وذلك بتزويج بناتهم أو أخواتهم من الخلفاء، حتى تجتمع في أيدهم سلطة الحكم والوزارة، وبالتالي تعمل الزوجة على تقوية نفوذ أهلها في الدولة، لما لها من تأثير على زوجها، ويتضح هذا الأمر في مصاهرة الخليفة العزيز مع النصارى، من خلال ذلك عملت زوجة الخليفة

---

(٢٨٥) السجلات المستنصرية، ص١٣.

(٢٨٦) نفس المصدر، سجل رقم ٥١، انظر الملحق، ص٢٠٠-٢٠١.

(٢٨٧) انظر: السجلات المستنصرية، سجل رقم ٥١، انظر الملحق، ص٢٠٠-٢٠١، سجل رقم ٥٢، انظر الملحق ص٢٠٢-٢-٤، وسجل رقم ٢٨، انظر الملحق، ص١٩٠-١٩١.

(٢٨٨) السجلات المستنصرية، سجل رقم ٣٥، انظر الملحق، ص١٩٢-١٩٩.

السيدة العزيزية[٢٨٩] على محاباة النصارى وتقوية نفوذهم في الدولة على حساب الطوائف الأخرى، ونجد أن التسامح الذي أنتهجه الخليفة العزيز مع النصارى كان نتيجة لهذه المصاهرة[٢٩٠].

ويتضح هذا الأمر بصورة أكثر عندما نرى إجبار الصالح بن رزيك للخليفة العاضد لقبوله الزواج من أبنته وعندما رفض الخليفة العاضد حبسه حتى أجاب[٢٩١] ولعل امتناع الخليفة بتحريض من سيدة القصور التي كانت تضمر الكراهية للوزير الصالح طلائع بسبب تحكمه في الخليفة والدولة[٢٩٢] في زمن توسع نفوذ سلطة الوزراء وسطوتهم على الخلفاء صغار السن في العصر الفاطمي الثاني، مما أتاح لهم فرصة فرض سلطتهم حتى على الخلفاء، وفي سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م عقد العاضد على ابنة الصالح ابن رزيك، وقصد الصالح بزواج الخليفة من ابنته أن يرزق منها ولداً ويجتمع لبني رزيك الخلافة مع الملك[٢٩٣] وقد نقل الصالح طلائع مع ابنته جهازاً لم يسمع بمثله[٢٩٤] ربما قصد من عظم هذا الجهاز حتى يليق بمكانة ومصاهرة الخليفة.

وكذلك صاهر الأفضل ابن بدر الجمالي الخليفة الآمر حيث عمل على تزويج الخليفة من ابنته واستدعى زمام القصر[٢٩٥] الذي يدعى بالأستاذ وسأل الخليفة لماذا يكتب على نفسه صداقاً وأشار عليه أن أحداً من آبائه لم يكتب على نفسه صداقاً، ولكن زمام القصور خشي أن يصل خبره إلى الأفضل وسعي إلى الأفضل يفاوضه في أمر زواج ابنته من الخليفة[٢٩٦] قد دبر ذلك الأمر لأنه ربما استولدها الخليفة ولداً فيكون ابنها الخليفة من بعده ويكون ابن بنت الوزير فتبقي الوزارة دائمة فيه وفي بيته بالمصاهرة، وهي نفس الطريقة التي سلكها الصالح طلائع بن رزيك مع الخليفة العاضد[٢٩٧].

---

(٢٨٩) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٣١٨.

(٢٩٠) فرشوخ، **ست الملك**، ص٧٣.

(٢٩١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٤٦.

(٢٩٢) **نفس المصدر**، ج٣، ص٢٤٤.

(٢٩٣) **نفس المصدر**، ج٣، ص٢٤٦.

(٢٩٤) علي، وفاء محمد، **نفوذ النساء في الدولة الإسلامية في العراق ومصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١٩٨٦، ص١٠٤، وسيشار إليه لاحقا: علي، نفوذ النساء.

(٢٩٥) ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٢١، القلقشندي، أحمد بن علي (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ١٠ أجزاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، بيروت، ط ١٩٨٧م، ج٣، ص٤٨١، وسيشار إليه لاحقاً: القلقشندي، صبح الأعشي. ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص٣٤.

(٢٩٦) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص٥.

(٢٩٧) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٤٦.

وعقد للخليفة على ابنة الأفضل وكتب الكتاب واجتمع عليه القوم من الأعيان وكّتاب الإنشاء وقيل في الكتاب" فاختصها أمير المؤمنين للوصلة الشريفة فصدقت وأصدقها وارتضاها لنفسه النفيسة من كافة النساء واصطفاها لينبوع الإمامة من نسل سيد الوزراء"(٢٩٨) واشتمل صداق بنت الأفضل من الخليفة الآمر على مائة ألف دينار ومائة خلعة بخمسمائة دينار ومائة جارية وأقطعها ناحيتين "بطمندي- وأشنين"(٢٩٩) وتعرف حتى الآن بالعروسين، وقيل أن الخليفة الآمر لم يدخل بها(٣٠٠) ومن خلال ذلك يتضح إن أغراض الوزراء في زواج الخلفاء من بناتهم أو أخواتهم من أجل كسب السلطة والنفوذ في الدولة بواسطة المصاهرة (٣٠١) وأن سعي الوزراء أرباب السيوف لتزويج بناتهم من الخلفاء هو بهدف تعزيز هيبتهم وسيطرتهم على الدولة كما فعل الوزير بدر الجمالي(٣٠٢) الذي عمل على تزويج ابنته "ست الملك"(٣٠٣) من ابن المستعلي بن الخليفة المستنصر الذي أصبح هو الخليفة بعد أبيه حيث عقد النكاح الخليفة المستنصر وعهد إليه بالخلافة من بعده(٣٠٤) وهذا النكاح كما أشارت بعض المصادر (٣٠٥) كان هو الرابط الذي شجع الأفضل بن بدر الجمالي على تولية المستعلي زوج أخته(٣٠٦) للخلافة وهو الابن الأصغر للخليفة المستنصر دون الابن الأكبر نزار مما نتج عنه الخلاف والانفصال بين فرق الشيعة(٣٠٧) وكان يهدف من خلال ذلك أن يكون ابن أخته ولي العهد إن رزقت بولد من الخليفة المستعلي، ومن الناحية السياسية أن الأفضل قبض على السلطة في الدولة طوال خلافة المستعلي(٣٠٨) بالتأكيد هذا النفوذ الذي تمتع به الأفضل في خلافة المستعلي جاء نتيجة لمصاهرة الخليفة، وكانت هذه الناحية تمثل سعي الوزراء وكبار رجال الدولة والقواد من توسع

---

(٢٩٨) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص٦.

(٢٩٩) بطمندي- أشنين، هما مدينتان، أشنين، توجد في كفر البتنون من أعمال المنوفية بالوجه البحري، بطمندي احتفظت باسمها حتى العصر العثماني وعرفت بكفر طنبدي، ويذكرها ياقوت طنبدة، ابن مماتي، **قوانين**، ص٩٥

(٣٠٠) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص ٦.

(٣٠١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٨٤.

(٣٠٢) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٥٥-٥٦، لويس، **وزراء، النصرانية**، ص١٤٠.

(٣٠٣) ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص١٩٨.

(٣٠٤) الشيال، **الوثائق الفاطمية**، ص٥٦.

(٣٠٥) وللمزيد انظر: الصنهاجي، **ملوك بني عبيد**، ص٧٢-٧٣، ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٦٠. المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٤٠، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١١.

(٣٠٦) ابن ميسر، **أخبار مصر**، ص١٠٢.

(٣٠٧) الشيال، **الوثائق الفاطمية**، ص٤٨- ٦٧.

(٣٠٨) ماجد، **الأمام المستنصر بالله**، ص١٩٨.

سلطاتهم ونفوذهم عن طريق مصاهرة الخلفاء وحتى تورث الخلافة في أحفادهم ويجمعون بين سلطة الخلافة والوزارة في أعقابهم.

ومن ناحية أخرى نجد بعض الوزراء عملوا على تزويج بناتهم من كبار أرباب الوظائف في الدولة، حيث نجد القاضي محمد بن النعمان(٣٠٩) عقد نكاح ابنه أبي القاسم عبد العزيز(٣١٠) على ابنة القائد أبي الحسن جوهر، فكان العقد في مجلس العزيز بالله ولم يحضر إلا خواصه وبلغت قيمة الصداق ثلاثة آلاف دينار ومنح كاتب العقد ثياب مصمتة(٣١١) وقد تشير هذه المصاهرة إلى ربط العلاقات بين أرباب الوظائف في الدولة مع بعضهم، ونجد أن القواد أحياناً يتزوجون من بعض الفئات في المجتمع التي تتمتع بالقوة والشجاعة لتعزيز نفوذهم، ومن خلال ذلك نجد أن ناصر الدولة بن حمدان تزوج من بعض أحياء العرب في الإسكندرية وقوي بهم(٣١٢) لمناصرتهم له اشتدت شوكته ثم رجع ومعه الأتراك إلى القاهرة سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م وثقلت وطأته على الخليفة المستنصر في زمن الشدة العظمى حتى أستولي على الأمور وأراد أن ينفرد بها(٣١٣) وفي سنة ٣٨١هـ/٩٩١م زفت أخت كاتب السيدة العزيزية(٣١٤) إلى زوجها بلتكين التركي(٣١٥).

وهذا يدل على سعي الوزراء وغيرهم من رجال الدولة إلى توسيع سلطاتهم عن طريق المصاهرة التي تضمن لهم استمرار مناصبهم في الدولة.

---

(٣٠٩) ماجد، عبد المنعم، **نظم الفاطميين ورسومهم في مصر**، مكتبة الأنجلو المصرية ط ١٩٥٣م ص١٥٣، وسيشار إليه لاحقاً: ماجد، **نظم الفاطميين**، محمد بن النعمان تولي القضاء سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م، وللمزيد عن من تولى القضاء من أسرة النعمان في الدولة الفاطمية، انظر، ماجد، نظم الفاطميين، ص١٥٣.

(٣١٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٣.

(٣١١) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٥، ص٤٢٠.

(٣١٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٧٣.

(٣١٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص١٥٣.

(٣١٤) السيدة العزيزية زوجة الخليفة العزيز، وهي عادة أن تنسب زوجات الخلفاء إليهم، انظر الفصل الخاص بفئات النساء.

(٣١٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٢٧١، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٣١٨.

المبحث الثاني: نساء العامة:

تناولت العديد من الدراسات والمعاجم اللغوية مفهوم العامة وتحديد الفئة التي تندرج في هذه الطبقة، وأنهم بخلاف الخاصة[٣١٦] واسم الجمع منها "العمم" واختلف في سبب التسمية فيقال أنها سميت بالعمم لأنها تعم بالشر فكان ذلك سبباً لوصفهم بالحرافيش[٣١٧] والزعر[٣١٨] وسموا بالعمم لكثرة عموميتهم في البلاد ولذا أطلق اسم العامة على الجموع الغفيرة من الناس لأنهم كثيرون ولا يحيط بهم البصر[٣١٩].

وبالمفهوم العام وصفت هذه الطبقة من العامة بأوصاف عديدة عبر العصور التي تعكس الأوضاع السائدة وقد تكون غير ملائمة مثل الوضعاء[٣٢٠] والناس أسراب طير يتبع بعضها البعض[٣٢١] وأخلاط من الغوغاء وأمم شتى[٣٢٢] وهذا ما يشير إلى طبقة العامة من غير الحكام وكبار رجال الدولة وموظفيها، ويبدو أن لفظ العامة استخدم للدلالة على المستويات الدنيا في كل جوانب الحياة، فعلى المستوى السياسي لا يملكون سلطة، وعلى المستوى الاقتصادي هم أقل الناس مورداً وأضعفهم دخلاً[٣٢٣] وعلى المستوى الثقافي وصفوا بقصور العقل والجهل[٣٢٤] وعلى المستوى الديني وصفوا بالغفلة عن أسرار الشرع فهم قليلو المعرفة الدينية، وفي المذهب الإسماعيلي حيث يقسم إلى سبع درجات يحتل العامة أدناها[٣٢٥].

---

(٣١٦) ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت٧١١هـ/١٢٧٨م) **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ج١٢، مادة عمم، ص٤٢٦- ٤٢٧، سيشار إليه لاحقاً: ابن منظور، لسان العرب.

(٣١٧) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة حرفش، ج٨، ص٢٧٠، وتحرفش الرجل إذا تهيأ للقتال والغضب والشر.

(٣١٨) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة زعر، ج٤، ص٣٢٣. رجل زعر ويقصد بها لشراسة وسوء الخلق.

(٣١٩) الجعيدي، شلبي إبراهيم، **طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي(٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م)**، الهيئة المصرية للكتاب، ط٣ ٢٠٠م، ص١٧، وسيشار إليه لاحقاً: الجعيدي، طبقة، العامة.

(٣٢٠) الجاحظ، أبو عثمان بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط٢، بيروت، ج٦، ص٧١، وسيشار إليه لاحقاً: الجاحظ، الحيوان.

(٣٢١) الدينوري، ابن قتيبة أبو محمد بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) **عيون الأخبار**، تحقيق: محمد الإسكندراني دار الكتب العربي، القاهرة، ج٢، ص٣٩٩ وسيشار إليه لاحقاً: الدينوري، عيون الأخبار.

(٣٢٢) عبد الرازق، أحمد، **الحضارة الإسلامية في العصور الوسطي**، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٩٥م، ص٢٥٥، وسيشار إليه لاحقاً: عبد الرازق، الحضارة الإسلامية.

(٣٢٣) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٧٣.

(٣٢٤) أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م) **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، ٣ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢٠٠٢م، ج١، ص٥١٣ وسيشار إليه لاحقاً: أبو شامة، الروضتين.

(٣٢٥) متز، ادم، **الحضارة الإسلامية، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام**، جزءان في مجلد نقلها إلى العربية: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١،=

وهنالك عدة تعريفات للعامة التي لا تندرج ضمن إطار محدد ومنها تعريف العامة هم أصحاب الأعمال الحرة على اختلاف أنواعها والذين لا ينخرطون في سلك أرباب الوظائف وليس لهم دخل اقتصادي ثابت يحصلون عليه من نتاج أعمالهم(٣٢٦).

ومن خلال ذلك يمكن تعريف العامة لإغراض دراستنا، بأنها طبقة أو شريحة اجتماعية من غير الحكام والقادة وكبار رجال الدولة وموظفيها تشتمل على بقية الفئات من الزراع وأرباب المهن والحرف الصغيرة المختلفة من الرجال والنساء لهم خصائصهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتي حددت لهم الإطار العام لملامح حياتهم ونجد أن هذه الطبقة تابعة ومنقادة للفئة العليا.

أوضاع نساء العامة:

تمتعت المرأة على مر العصور الإسلامية بحقوق عديدة ومكانة عالية باستثناء ما تعرضت له من الضغوط الاجتماعية والاقتصادية في بعض الفترات التاريخية والمرأة في مصر مثل غيرها من النساء في العالم الإسلامي تعرضت لبعض المتغيرات في مراحل الحياة وتعاقب الدول عليها وارتباطها بظروفها الاقتصادية والسياسية والعقدية، والنساء من الطبقة العامة في العصر الفاطمي نجد أن المصادر لم تمدنا بتفاصيل كافية عن حياتهن، وإنما هنالك بعض الإشارات التي ربما نستطيع أن نكون من خلالها صورة عن نساء العامة في ذلك العصر.

ولكن من البديهي أن المرأة كانت تقوم بالأعمال العادية في نطاق الأسرة كربة بيت تقوم بخدمة زوجها وأولادها كتنظيف البيت والطبخ والخبز والغسيل، بالإضافة إلى بعض الإعمال التي تباشرها النساء في المجتمع .

ساهمت المرأة المصرية بنصيب كبير في الحياة العامة بمصر والقاهرة، فرغم القيود الاجتماعية كانت تقوم بالعديد من الأعمال التي تساعدها وتعينها على متطلبات الحياة اليومية، وكانت معظم النساء العاملات من الفئات العامة من الأرامل والمطلقات من الطبقات الفقيرة التي لا تملك مصدر دخل، ولذا لجأن للعمل حتى يكون لديهن مصدر دخل ثابت للعيش(٣٢٧) وبالطبع لم تقم نساء الخاصة بالكثير من هذه الأعمال لعدم حاجتهن المادية ونظراً لتميز أوضاعهنَّ الاجتماعية والاقتصادية.

ومن الأعمال التي كانت تباشرها نساء العامة والتي ربما لتكسب منها دخلا لها ولأسرتها:

غسل الموتى:

=٩م، ج٢، ص٥٠-٥١ . وسيشار إليه لاحقاً: متز، الحضارة الإسلامية.

(٣٢٦) سلطان، **المجتمع المصري**، ص٧١.

(٣٢٧) Goitein Mediterranean Socity Barkely Anglos،Los1967 ،p 181

وهي أن تقوم الغاسلة بغسل الموتى من النساء مقابل أجر من المال، وكذلك تأخذ ثياب المتوفية وقد يكون هذا الأجر كبيراً حسب وضع أهل المتوفية، ووصل أجر غاسلة أم الخليفة العزيز[٣٢٨] إلى ستة آلاف دينار بجانب ما أخذته من تحتها وما فوقها من ثياب[٣٢٩] وقد لا يستطيع جميع الناس استئجار غاسلة لموتاهم وربما لا يملكون ما يدفعونه للغاسلة بذلك يغسلون موتاهم دون استئجار غاسلة، وفي عهد الخليفة الحاكم عندما حظر خروج النساء نجد أن الغاسلة[٣٣٠] استثنيت من هذا القرار قد يكون نظراً لأهميتها أو حاجتها.

القابلة:

وهي من المهن المعروفة والتي كانت سائدة في الريف أو المدن، وتقوم القابلة بمساعدة الزوجة على الولادة[٣٣١] ولم تمدنا المصادر بأسماء النساء اللائي قمن بهذه المهنة ولاشك أنهن كثيرات و نظراً لأهمية القابلة كان يسمح لها بالخروج[٣٣٢] حتى في الفترات التي منعت فيها النساء من الخروج في عهد الخليفة الحاكم، كانت القابلة تخرج لممارسة مهنتها ومساعدة النساء الحوامل.

النساء المزينات:

وهن اللائي يقمن بتزيين العروس يوم زفافها بما يجملها، وقد تكون هذه المهنة غير منتشرة كثيراً لقلة أهميتها، وأن النساء المزينات[٣٣٣] لم نجد ما يشير إلى أنهن سمح لهن بالخروج في فترات منع خروج النساء، ربما لأن مهنتهن ليست بالأهمية في شيء، وكذلك لم نعثر على أسماء لمزينات في ذلك العصر.

النائحة:

النائحة هي من تنوح بالبكاء على الميت مقابل أجر من أهل المتوفى، النياحة من الأمور التي منعت منذ بداية الدولة الفاطمية في مصر وكان ذلك في عهد الخليفة المعز حيث كان يدعو إلى المحافظة على الأخلاق القويمة، ولا يسمح بارتكاب ما ينهي عنه الشرع، فقد تشدد كثيراً في

---

(٣٢٨) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٨٨.

(٣٢٩) ابن ميسر، **المنتقي**، ص١٧٢، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٨٩.

(٣٣٠) عبد الرازق، **تاريخ مصر**، ص١٨٥، سلطان، **المجتمع المصري**، ص١١٧.

(٣٣١) سلطان، **المجتمع المصري**، ص١١٧.

(٣٣٢) **نفس المرجع**، ص١١٧.

(٣٣٣) **نفس المرجع**، ص ١١٧.

تتبع النائحات المحترفات في المآتم ومنع تجمعهن لما يقع فيه من المحظور وطالب القاضي النعمان(٣٣٤) بإنزال العقوبة بهن حيث أتهمه بالتقصير في هذه القضية(٣٣٥).

وأصدر الخليفة المعز قراراً للنهي عن النياحة على الموتى، ثم عثر على نساء ينحن فعقابهن القاضي بالضرب الوجيع والنداء عليهن والحبس الطويل حتى أظهرن التوبة، وكل من كانت تعرف بالنياحة أحضروها إلى القاضي(٣٣٦) وحلفت بالإيمان الموثق أنها لن تنوح وأطلق سبيلهن واستقام الأمر، وبعد ذلك عرف القاضي أنهن عدن إلى النياحة في داخل البيوت بالسر وأرسل القاضي في طلبهن والقبض عليهن ولكن دخلن في جملة من نساء المأتم واستترن بهن ولم يعرف القاضي طريق إليهن(٣٣٧) وخشي من وصول خبرهن إلى الخليفة المعز حتى لا يحسب ذلك تقصير منه ، لأن الخليفة أشار عليه بأن يحضر النائحات واللاتي وصفهن بالفواسق(٣٣٨).

ولانه تشدد في أمر منع النياحة وشدد على القاضي بعقوبتهن ووصفهن بالفواسق.

ونجد أن أمر منع النياحة بدأ مبكراً في العصر الفاطمي ولكن على ما يبدو أن النائحات رجعن إلى ممارسة النياحة وبعد ذلك وظهرت أسماء لنائحات حتى في عصور متأخرة من فترة الخلفاء الفاطميين، حيث نجد النائحة التي تسمى خسروان ويقال أنها مهرت في صناعة النياحة على الأموات وذلك عندما حملت رأس ابن السلار إلى الخليفة الظافر حيث رثته بما أعجب الأدباء(٣٣٩) مما يدل على أنه بعد عهد الخليفة المعز لم يظهر خليفة منع ممارسة النياحة، لم تتطرق الدراسات السابقة(٣٤٠) إلى دور المعز في منع النياحة ومحاربته لها بالرغم إننا نرى تشدده على القاضي في محاربتهن ونعت النائحات بالفواسق.

الدلالة:

قد تكون نوع من التجارة، خاصة أن بعض من النساء كن يعملن في الغزل والنسيج

---

(٣٣٤) القاضي النعمان، ويعرف بالقاضي النعمان تميزاً له عن أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب السني المعرف، والقاضي النعمان كان فقيهاً كبيرا اتصل بخلفاء الفاطميين منذ قيام دولتهم بالمغرب وأتي إلى مصر بصحبة الخليفة المعز وولي القضاء، وكان فقيه الشيعة الأكبر ودون كتاب الفقه الشيعي الإسماعيلي في كتب كثيرة توفي بالقاهرة سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٣١ – ص٢١٥.

(٣٣٥) النعمان، **المجالس والمسايرات**، ص٢٥.

(٣٣٦) **نفس المصدر**، ص٤٩٣.

(٣٣٧) **نفس المصدر**، ص٤٩٤.

(٣٣٨) **نفس المصدر**، ص٤٩٣.

(٣٣٩) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٠٥. ما تقبل الغفلة *** ياشهيد الدار
ياشبيه ذي النورين صاحب المختار.

(٣٤٠) ناريمان، **المرأة في العصر الفاطمي**، انظر النياحة، ص٧٧– ٨٧.

ولذلك قمن ببيع الملابس الجاهزة[٣٤١] وغالباً ماتتكون تجارتهن مما يلبس النساء من ملابس[٣٤٢] بالأخص مع ازدهار تجارة الملابس والثياب المنقوشة التي تجلب من صقلية حيث تساوي قيمة الثوب منه في مصر عشر دنانير مغربية[٣٤٣].

وربما يمثل هذا نوعاً أخر من الدلالة أو التجارة التي كانت تمارسها المرأة في العصر الفاطمي فقد ذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار مصر في عهد الدولة الفاطمية بين سنتي (٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م-٤٤٢هـ/١٠٥٠م) عن نوع من الأواني ذات الإحجام كبيرة وهي عبارة عن قدور كبيرة مطلية حتى يظن أنها ذهب، أن امرأة تملك خمسة قدور وتؤجر الواحد من هذه القدور بدرهم في الشهر وعلى المستأجر أن يردها سليمة إلى صاحبتها بعد أن يستخدمها[٣٤٤] ومن ذلك نجد تنوع التجارة التي كانت تعمل بها المرأة في مصر الفاطمية.

تقييد خروج المرأة:

تعرضت المرأة في عهد الدولة الفاطمية في مصر لأول مرة في تاريخ المرأة إلى تقييد حرية خروجها في عهد الخليفة الحاكم بأمر، ونجد أن هذا التقييد وعدم المنع أتي بالتدريج حسب السجلات التي كانت تعلن في الأسواق، وفي سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م منعت النساء من الخروج بعد صلاة العشاء[٣٤٥] وفي عيد النحر في سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م لم تخرج النساء إلى الصحراء ولا إلى زيارة القبور[٣٤٦] حسب السجلات التي نادت بعدم الخروج إلى تلك المناطق، وفي سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م منعت النساء من الغناء والنشيد، وحظر عليهن كشف وجوههن وراء الجنائز وخروج النائحات بالطبل على الميت وزيارة المقابر في الأعياد والمناسبات[٣٤٧].

وفي سنة ٤٠٧هـ /١٠١٦م تشدد الخليفة الحاكم في أمر النساء وعدم خروجهن لا في الليل ولا النهار[٣٤٨] وكذلك نص برفع المنكر وعدم خروج النساء بعد صلاة العصر، وذلك ما أورده المسبحي في أحداث سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٣م قرئ بالأسواق بمصر سجل برفع المناكر وترك التظاهر بشيء منها وأن لا تخرج النساء بعد صلاة العصر إلى الطرقات بالقرافة وأن تتنزه النساء

---

(٣٤١) الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي**، ص٢٠٨.

(٣٤٢) خسرو، **سفر نامة**، ص٧٧، متز، **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص١٥٠.

(٣٤٣) خسرو، **سفر نامة**، ص٨٥.

(٣٤٤) **نفس المصدر**، ص١٠٤.

(٣٤٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٩٠.

(٣٤٦) **نفس المصدر**، ج٢، ص٩١.

(٣٤٧) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص١٥٧.

(٣٤٨) الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٢٩٣.

عن المناكر وأن لا يجتمعون بالجيزة والقرافة ويمنع الغناء والتشهير بشيء منه[٣٤٩] ويتضح من ذلك أن السجلات كانت تعلن في الأسواق ليعلم الجميع عدم خروج نسائهم في تلك الأوقات وقد تكون هذه السجلات لا يقصد منها تقييد خروج المرأة فقط وإنما لتشكل قاعدة لتنظيم المجتمع وضبطه.

كان الخليفة الحاكم يعمل بالحسبة[٣٥٠] بنفسه، ويدور في الأسواق على حمار، وقد منع النساء من الخروج من منازلهن وأن لا يتطلعن من الطاقات[٣٥١] والأسطح بأسرهن شبابهن وعجائزهن[٣٥٢] وهذا إشارة إلى أن المنع عام على كل النساء دون استثناء ومنع الخفّافين من عمل الخفاق لهن، وقد توالت القرارات لمنع خروج المرأة من بيتها أو ربما تكون هي نفس السجلات السابقة وإنما اختلفت صيغها نجد أيضاً هنا صيغة أخرى؛ لذلك منعت النساء أن يخرجن إلى الطرقات في ليل أو نهار سواء كانت المرأة شابة أم عجوز، فاحتبسن في بيوتهن ولم تر امرأة في الطريق وأغلقت حماماتهنَّ ومنع الأساكفة[٣٥٣] من عمل خفاف النساء أو عمل سائر ما في أرجلهن[٣٥٤] وكذلك منعهن من دخول الحمامات حتى العامة والمخصصة للنساء وقتل خلقاً كثيراً من النساء على مخالفتهن[٣٥٥] وهدم بعض الحمامات عليهن[٣٥٦] واستمر منع النساء من الخروج في عهد الحاكم مدة سبع سنين، وبعد أن توفي الخليفة الحاكم سمحت ست الملك للنساء بالخروج من دورهن والتصرف في أمورهن[٣٥٧] وكان قد وصل المنع حتى الجلوس على الطرقات التي يمر بها موكب الخليفة للنظر إليه، وأخذ القصص وهي الرقاع التي يكتبها أصحاب المظالم ويشكون فيها ما وقع بهم من ظلم ويسألون رفعه عنهم[٣٥٨] حتى ضاق الحال بالنساء، ولم تبين المصادر ردود أفعال النساء اتجاه هذا المنع والتقييد لحرياتهن وربما أتت ردة الفعل لديهن بعدم الامتثال لهذه القرارات في بادئ الأمر حيث تعرضت الكثير من النساء للضرب والحبس بسبب خروجهن من البيوت[٣٥٩].

---

(٣٤٩) المسبحي، **أخبار مصر**، ص١٤.

(٣٥٠) الحسبة، وظيفة دينية ومدنية اجتماعية يشرف المحتسب علي الأسواق والطرق ويمنع المضايقة فيها ويشرف علي الآداب العامة. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٢٥.

(٣٥١) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٢٧٦.

(٣٥٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٠.

(٣٥٣) **نفس المصدر**، ج٢، ص١٠٣، الأسكاف، صانع الخفاف.

(٣٥٤) الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٢٩٣، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٠٣.

(٣٥٥) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٢٧٦.

(٣٥٦) السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢، ص١٥.

(٣٥٧) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٠-١٢٦، العيني، **السيف المهند**، ص١٧٥.

(٣٥٨) نفس المصدر، ج٢، ص٩٦.

(٣٥٩) نفس المصدر ، ج٢، ص١٠٣.

ويبدو ردة الفعل من شكوى بعض النساء ممن ليس لهن معيل يقوم بأمرهن لشراء ما يحتجن من المواد الغذائية والأغراض المنزلية، وأشتكى التجار من كساد بضائعهم بسبب منع النساء من الخروج، بالتالي ضعفت القوة الشرائية في الأسواق، فأمر الخليفة الحاكم أن يحملوا ما يباع في الأسواق ويبيعوه إلى النساء في بيوتهن من خلال فتحة الباب، فيعرض البائع بضاعته في مغرفة وتقف المرأة من وراء الحائط، فإذا رضيت وأعجبتها البضاعة وضعت الثمن في المغرفة فلا يراها البائع[٣٦٠].

ولكن إذا أمعنا النظر في قرارات الخليفة الحاكم لمنع النساء من الخروج والتي قد تبدو مجحفة وقاسية في حق حرية المرأة، ولكن قد نجد فيها جانباً من الصواب وحماية للمرأة من الفسق وانتهاك حرمتها، ولكن البعض شوهوا حقيقة تصرف الخليفة الحاكم مع النساء وارجعوا ذلك إلى عقدة في نفسه ناشئة عن شغفه بالنكاح[٣٦١] وبالرغم من أن تصرفه في المنع كان متدرجاً إذ أمر أول الأمر بمنعهن في الليل، إلى أن وصل لمنعهن لا بالليل ولا في النهار.

ومن جانب اخر، نجد أن الخليفة أستثني من هذا المنع ذوي الحاجات والأعذار من النساء[٣٦٢] والعاملات في غسل الموتى والمزينات والإماء اللائي يعرضن في أسواق الرقيق ومن يتظلمن إلى المحاكم في طلب حقوقهن والذاهبات إلى الحج، وكان خروج هؤلاء النسوة للضرورة ويتم بضوابط، حيث لا يخرجن من دارهن إلا برقعة يوقع عليها المحتسب، ومن ثم يسمح لها بالخروج ومعها متولي الشرطة لمصاحبتها ثم إعادتها[٣٦٣] إذا دعت الضرورة إلى حضور غاسلة أو قابلة استأذن في ذلك برقعة ترفع إلى متولي الشرطة فيوقع عليها ليسمح بذلك[٣٦٤].

وربما يكون الدافع القوي لمنع خروج النساء ما ساد في المجتمع المصري في العصر الفاطمي من ترف حيث كثر اللهو والغناء وتفشي الكثير من المظاهر التي تدل على الانحلال الأخلاقي مما دفع الخليفة الحاكم بإصدار قرارات منع خروج المرأة.

فعندما ضاق الحال بالنساء الفاسقات في المجتمع سلكن ضروباً من الاحتيال حيث ادعت إحدى النساء بأن أخاها ينازع سكرات الموت ووقفت بطريق القاضي مالك بن سعيد الفارقي[٣٦٥] تناشده بالله أن يوصلها إليه، فرق قلبه وأمر رجلين أن يوصلاها، إليه فوصلت إلى دار رجل تهواه

---

(٣٦٠) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٢٠٥.

(٣٦١) عبد الرازق، أحمد، **تاريخ مصر وأثارها الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١٩٩٣م، ص١٨١، وسيشار إليه لاحقاً: عبد الرازق، تاريخ مصر الإسلامية.

(٣٦٢) عبد الرازق، **تاريخ مصر الإسلامية**، ص١٨٥.

(٣٦٣) الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي**، ص ٢٠٨.

(٣٦٤) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص١١٨.

(٣٦٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٠٦-١٠٧.

وطالب الزوج الذي لا يعرف أين ذهبت زوجته وعرف قصتها مع القاضي من جارتها، وقال إنها ليس لها إخوة، فألقي القبض على المرأة والرجل في إزار واحد وقد ثملا من السكر وصدرت بحقها العقوبة فأحرقت المرأة وقتل الرجل(٣٦٦) وهذه الرواية تدل على بعض أنواع الفساد في المجتمع في عهد الخليفة الحاكم و قد يكون هو الدافع الذي دفعه إلى التشدد والإكثار من منع خروج النساء حتى أخذن يخترعن الحيل للخروج.

ويشير المسبحي إلى أن متولي الشرطة سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م قبض على رجل وامرأته وضربهما وشهرهما وأمر أن ينادي عليهما (هذا جزاء من تقّود على عياله مع اليهود والنصارى)(٣٦٧).

ومهما تكن نظرة الخليفة الحاكم إلى المرأة، فإنها لا تمثل حكماً شاملاً على معاملة الخلفاء الفاطميين للمرأة معاملة سيئة، بل نجد أن الكثير من الخلفاء كانوا ينظرون إلى المرأة نظرة تقدير والخليفة المعز كان يقّدر النساء ولم يتزوج غير واحدة وخاطب شيوخ كتامة داعياً إياهم بالاكتفاء بزوجة واحدة(٣٦٨) وهذا يدل على أن نظرة الخليفة المعز للمرأة تفيض تقديراً وإجلالاً، أما الخليفة الحاكم بأمرالله فأن أخته وشقيقته ست الملك لم تسلم من شره(٣٦٩) وسوء سياسته تجاه المرأة حيث اتهمها بالفاحشة(٣٧٠) وأرسل لها القوابل للتأكد من براءتها(٣٧١) وكذلك بلغت قسوته على المرأة في فترة زهده أن غرق حظاياه وجواريه بعد أن وضعهن في صناديق وسمِّرت عليهن وألقيت في النيل(٣٧٢) ومر الخليفة الحاكم بجوار إحدى حمامات النساء فسمع صيحاتهن وأصواتهن وأمر أن

---

(٣٦٦) أيوب، إبراهيم رزق الله، **التاريخ الفاطمي الاجتماعي**، الشركة العالمية للكتاب لبنان، ط ١٩٩٧م، ص٥٥، وسيشار اليه لاحقاً: أيوب، التاريخ الفاطمي.

(٣٦٧) المسبحي، **تاريخ مصر**، ص١٢.

(٣٦٨) وقال لهم: (وأقبلوا على نسائكم وألزموا الواحدة التي تكون لكم ولا تشرهوا إلى التكثير منهن والرغبة فيهن فينتقص عيشكم، وتعود المضرة عليكم وتنهكوا أبدانكم وتذهب قوتكم، حسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون إلى نصرتكم وعقولكم). المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٩٥-٩٦. **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٣٥٢. متز، **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص١٨٠.

(٣٦٩) السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢، ص١٥. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٢، ص٤٤٧.

(٣٧٠) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٧. انظر: ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص٢٩٨. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص١٢٩. الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٣٠١. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٥.

(٣٧١) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٣٠٥، ابن خلدون، **العبر**، ج٤، ص٦١، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٥، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٨٥.

(٣٧٢) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص١٣١.

يسد عليهن الحمام حتى متن عن آخرهن من غير جرم، وأتي كل من له أهل بتلك الحمام وأخرجهن وغسلوهن ودفن[٣٧٣] وأكثر الحاكم من منع النساء حتى لم تكن في زمنه امرأة تلوح[٣٧٤].
وقد تكون هذه القرارات لا تشمل نساء الطبقات الخاصة لما يمتزن به من مكانة في المجتمع أو لأن خروجهن يكون بصحبة حرس خاص من الدولة، حيث ذكر ابن ميسر ما يدل على ذلك في سنة ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م وصلت السيدة ست الملك ابنة العزيز نصف الليل إلى القصر بالقاهرة وسار بمسيرها القصرية[٣٧٥] لأنهم كانوا برسمها أي هم قوات من حرسها الخاص، وفي جملتهم القاضي النعمان[٣٧٦] دلالة على أن ست الملك كانت تسافر برفقة حرسها الخاص.

ولم يعرف في تاريخ الفاطميين في مصر ما تعرضت له المرأة في عصر الحاكم قد تكرر في غيره من عصور الخلفاء، لا أن هنالك أشارة أن الخليفة الظاهر جمع عدداً من الجواري وسد عليهن الأبواب حتى متن وأضرم النار فيهن[٣٧٧] وربما لأنهن اقترفن جرماً، ولم يثبت عن الظاهر إتباع سياسة والده اتجاه المرأة.

والمرأة في الطبقة العامة لم يكن لها دور طليعي في المجتمع المصري إلا ما اعتادت عليه من الأعمال المنزلية ومساعدة زوجها في بعض الأعمال الزراعية وهذا لا يمنع أن يكون هنالك بعض من نساء العامة من كان لها شان.

---

(٣٧٣) الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٢٥٨.

(٣٧٤) **نفس المصدر**، ج٦، ص٢٦٠.

(٣٧٥) القصرية، والقصري من الخاص، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٢، ص٤٢٦، كانت لست الملك قوات من القصر كحرس خاص لها وكانت لا تخرج لا بمرافقتهم.

(٣٧٦) ابن ميسر، **المنتقي**، ص١٧٥، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٢٩١.

(٣٧٧) السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢، ص١٥٣.

المبحث الثالث: نساء اليهود والنصارى:

كانت القواعد الاجتماعية ترمي إلى المحافظة على المرأة سواء أكانت مسلمة أو ذمية وعدم تعرضها للمضايقات وكان المحتسب يراقب الآداب العامة ويتفقد الأماكن التي يكثر فيها ازدحام النساء مثل الحمامات وسوق الغزل والنسيج وشواطئ الأنهار وأعمال النساء التي تتعلق بالبيع والشراء(٣٧٨).

منح الفاطميون الحريات للجميع، وبذلك عاش أهل الذمة من اليهود والنصارى في مصر في المدن والقرى دون قيود فكانوا بمثابة طبقة اجتماعية متميزة(٣٧٩) وبخاصة الأقباط وقد كشفت أوراق الجنيزة عن أن كثيرا من اليهود قد تمتعوا بمركز اجتماعي ممتاز(٣٨٠) ماعدا بعض الاستثناءات في عهد الخليفة الحاكم، ونجد أن الخلفاء الفاطميين تسامحوا مع أهل الذمة(٣٨١) وأطلقوا لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية منذ عهد الخليفة المعز وتولوا بعض المناصب في الدولة(٣٨٢) فكان منهم الوزراء ونظار الدواوين والكتاب ومشاهير الأطباء(٣٨٣) وأمتلك أهل الذمة الثروات والأموال الكثيرة وسكنوا في المد ن الراقية فضلاً عن حاراتهم الخاصة بهم وبنوا القصور والدور الضخمة ومنهم من سكن في قصور الخلفاء وكل هذا يدل على المكانة التي تمتع بها أهل الذمة في العصر الفاطمي(٣٨٤) وما فرض عليهم من قيود تتعلق بالمظهر الاجتماعي لا تعتبر قيوداً إنما يجب عليهم الالتزام بها في حياتهم العامة لما يتمتعوا بالعيش في دار الإسلام(٣٨٥).

وفي عهد الخليفة العزيز بلغ التسامح مع النصارى حداً كبيراً(٣٨٦) حيث كان يشارك النصارى في احتفالاتهم الرسمية، لأن زوجته " السيدة العزيزية والدة ست الملك" كانت جارية نصرانية رومية وكان لها أثر في سياسة الخليفة العزيز اتجاه النصارى، توسع نفوذهم في

---

(٣٧٨) الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص١٠٩.

(٣٧٩) سلام، شافعي محمود، **أهل الذمة في العصر الفاطمي الثاني والعصر الأيوبي ٤٦٧-٦٤٨هـ** ، دار المعارف القاهرة ط. ١٩٨٢م، ص١٩٦، وسيشار إليه لاحقاً: سلام أهل الذمة.

(٣٨٠) سلام، **أهل الذمة**، ص٢٠٤.

(٣٨١) عبد الرازق، **تاريخ مصر الإسلامية**، ص١٨١.

(٣٨٢) سلطان، **المجتمع المصري**، ص٩٦، سلام، **أهل الذمة**، ص٢٠٤.

(٣٨٣) سلام، **أهل الذمة**، ص٢٠٤.

(٣٨٤) أمين، **ظهر الإسلام**، ص١٨٩.

(٣٨٥) ترتون، **أهل الذمة في الإسلام**، ترجمة: حسن حبشي، ط٣، ١٩٩٤م، ص٢٤٥، وما يليها: وسيشار إليه لاحقاً: ترتون، أهل الذمة.

(٣٨٦) لويس، شيخو، **وزراء النصرانية وكتابها في الإسلام ٦٢٢هـ/ ١٥١٧م**، حققه: كميل حشيمة اليسوعي، التراث العربي المسيحي، ط ١٩٨٧م لبنان، ص١٩، وسيشار إليه لاحقاً: لويس، وزراء النصرانية.

الدولة[٣٨٧] وشكل اليهود والأقباط نموذجاً لطوائفهم في الطبقات الاجتماعية فمنهم أصحاب الأموال والتجار وا ستوزر الفاطميون عدداً كبيراً من النصارى، وكذلك كان من اليهود أطبائهم وأيضاً استوزروا منهم مثل وزير العزيز يعقوب بن الكلس[٣٨٨] وبلغ بهم الأمر شأن كبير وأستاء منهم المسلمين[٣٨٩].

وفي عهد الخليفة الحاكم تعرض أهل الذمة والنصارى من الرجال والنساء إلى الاضطهاد وعمل على الحد من سلطاتهم في الدولة، وقد يكون الخليفة الحاكم لم يتأثر بميول ومحاباة والده الخليفة العزيز وزوجته النصرانية إلى أن استاء الناس من سياسته اتجاه النصارى حيث دفعوا في طريق موكبه بامرأة تحمل في ظلامه مكتوب فيها "بالذي أعز النصارى بعيسي ابن نسطورس واليهود بابن منشأ[٣٩٠] وأذل المسلمين بك ألا نظرت في أمري"[٣٩١] .

وأصدر الحاكم العديد من القرارات اتجاه أهل الذمة ونجد من أخطر السجلات التي أصدرها الخليفة الحاكم اتجاه أهل الذمة من يهود ونصارى هو السجل الخاص بهدم كنيسة القيامة[٣٩٢] سنة ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م حيث هدمت سائر رحابها وقبابها ونهب ما بها من التحف والآنية المقدسة وهدم الدير الملاصق لها وهو خاص بالراهبات من مختلف الأمم النصرانية وانتزعت كافة أحباسها وأملاكها وأموالها[٣٩٣] ونجد أن الخليفة الحاكم أمر بهدمها عندما بالغ النصارى في الاحتفالات فيها بعيد الفصح في إظهار الثياب والستور والفرش والقناديل والصلبان المصوغة من الذهب والفضة[٣٩٤] ولما يكون في هذه الاحتفالات من مظاهر الفساد الاجتماعي من اختلاط هذه الطوائف، حيث كان يحج إليها من جميع أنحاء البلاد وفرض عليهم في سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م في سجل قرئ في الجوامع يأمر اليهود والنصارى بشد الزنار في أوساطهم ولبس الغيار [٣٩٥] فإن كان يهودياً وضع على كتفه خيطاً أحمر أو أصفر[٣٩٦] وإن كان نصرانياً شد في

---

(٣٨٧) العيني، **سيرة الملك المؤيد**، ص١٥٥. فرشوخ، **ست الملك**، ص٧٢.

(٣٨٨) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص١٩-٢١، ريمون، **القاهرة**، ص٤١.

(٣٨٩) لويس، **وزراء النصرانية**، ص٢٠.

(٣٩٠) منشا بن إبراهيم القراز، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص٤٠، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٢٩٧.

(٣٩١) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٦.

(٣٩٢) كنيسة القيامة أو القبر المقدس وهي بالقدس، ياقوت، **معجم البلدان**، ج٧، ص١٥٨.

(٣٩٣) عنان، محمد عبد الله، **الحاكم بأمر الله، وأسرار الدعوة الفاطمية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣م، ص١٣٧، وسيشار إليه لاحقاً: عنان، الحاكم.

(٣٩٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٧٥.

(٣٩٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٥٣. ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٦٣.

(٣٩٦) سلام، **أهل الذمة**، ص٢٠١٢.

وسطه زناراً وعلق في عنقه صليباً[٣٩٧] وإن كانت امرأة شدت الزنار تحت الإزار كالرجل[٣٩٨] وكانت تعلق في رقاب النساء الذميات على أعناقهم دراهم مكتوب عليها "ذمي" أو خاتم يعلق على عنق المرأة الذمية وتعلق عليهن في الحمامات حتى يعرفن بها، وتلبس النساء الخفاف فرد أسود وفرداً أحمراً وجلجلاً في أرجلهن[٣٩٩] وكانوا يمنعون من لبس الديباج[٤٠٠].

أن الخليفة الحاكم تشدد في إصدار القرارات باتجاه نساء النصارى عندما منعهن من الخروج للكنائس، ويورد المسبحي وكان شاهد عيان "يوم اجتماع النصارى بكنيسة المقس للاحتفال بعيد الفصح إذ شاهد من سكر النساء وتهتكن وحملن في قفاف الحمالين سكارى وكذلك اجتماعهن مع الرجال أمرا يقبح ذكره"[٤٠١] وبذلك أن السجلات التي أصدرها الخليفة الحاكم بشأن النصارى لم تكن دون غاية بل لما كان يحدث في مجتمعهم من انحلال أخلاقي وكان يرمي منها إلى غايات بعيدة[٤٠٢] من أجل إصلاح مجتمعهم، وفي سنة ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م منع النصارى من تزيين كنائسهم على عادتهم وقبض على جماعة منهم لمخالفتهم لذلك الأمر وعوقبوا بالتعذيب[٤٠٣] ولا يجاهروا بشرب الخمر[٤٠٤] وهذا يدل على احترام حق التعايش بين أهل الذمة والمسلمين في المجتمع الواحد.

وأصدر سجلاً أخر في نفس العام بمصادرة الأملاك المحبوسة على الكنائس وأحرقت صلبان كثيرة على أبواب الجوامع[٤٠٥].

وقد نجد هذه الأسباب دفعت الخليفة الحاكم أن يتشدد مع النساء الذميات والنصرانيات وقد نهي الحاكم عن شرب النبيذ ومنع حتى بيع الزبيب والعسل وأغرق منهم الكثير في النيل[٤٠٦] وكذلك منع النخاسين أي تجار الرقيق من بيع العبيد والإماء لأهل الذمة[٤٠٧] وذلك حتى لا يستخدم أهل الذمة المسلمين في الأعمال الحقيرة، ونودي في الطرقات ألا يدخل الحمام أحد إلا بمئزر وألا تكشف امرأة وجهها في الطريق ولا خلف جنازة.

---

(٣٩٧) الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص١٠٦.

(٣٩٨) سلام، **أهل الذمة**، ص٢٠١٣.

(٣٩٩) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص١٣١.

(٤٠٠) سلام، **أهل الذمة**، ص٢٠١٣.

(٤٠١) المسبحي، **أخبار مصر**، ص ٢٠، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٣٧.

(٤٠٢) عنان، **الحاكم**، ص١٣٥.

(٤٠٣) فؤاد، **الدولة الفاطمية**، ص ١٦٥.

(٤٠٤) سلام، **أهل الذمة**، ص٢٠١٣.

(٤٠٥) عنان، **الحاكم**، ص١٣٦.

(٤٠٦) متز، **الحضارة الإسلامية** ، ج٢، ص١٦٦.

(٤٠٧) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٥٣.

وقد تكون قرارات الخليفة الحاكم لحرمان المرأة من حقوقها التي من ضمنها حرية حركتها لممارسة حياتها العملية قاسية بحقها إلا أننا نجد أن قراراته قد يكون فيها جانب من الصواب وذلك لحماية المرأة أو خوفاً عليها، كذلك أن عادة استقرار النساء في البيوت من غير الضرورة تعد من الآداب الشرعية ومن سماحة ديننا الإسلامي الذي يحافظ على المرأة لقيمتها وجمالها وصارت عادة بين الأشراف والكبراء[٤٠٨] حتى في اسبانيا وصارت لا ترى امرأة في شوارع اسبانيا حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي[٤٠٩].

قد تكون هنالك الكثير من الإشارات حول نساء أهل الذمة والنصارى والتي ربما أن المصادر لم تسعفنا في هذا الجانب بالكثير منها، إلا أنه رغم محدودية هذه المعلومات عن فئات النساء غير المسلمات والدراسات السابقة لم تتناول نساء النصارى وأهل الذمة في فترة الخليفة الحاكم والذي بالغ في التشدد على أهل الذمة والنصارى على عكس ما تمتعت به هذه الفئات من التسامح الذي مارسه معهم الكثير من الخلفاء في الدولة الفاطمية.

---

(٤٠٨) متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص١١٨.

(٤٠٩) نفس المرجع، ج٢، ص١١٨.

المبحث الرابع: الجواري في المجتمع الفاطمي:

أدى تفشي الترف خلال العصر الفاطمي إلى كثرة الجواري والسراري وكانت القصور الفاطمية في مصر تضم أعدادا كبيرة منهن[٤١٠] ولم يكن الاهتمام بالجواري في عهد الدولة الفاطمية فقط، وإنما منذ الفترات الأولى للدولة الإسلامية حيث كان نتيجة لحركة الفتوحات[٤١١] استرق المسلمون أعدادا كبيرة من الأسرى[٤١٢] مما أدى إلى كثرة الجواري في المجتمع بصورة واضحة في العصور الإسلامية[٤١٣] وازدهرت تجارة الرقيق سوءا كان من الرقيق الذي جاء عن طريق الأسر أوالرقيق المجلوب من أسواق الرقيق[٤١٤] واشتهرت مدن في تلك الفترة مثل دمشق والقاهرة والإسكندرية، ومكة والمدينة والطائف بأسواق الرقيق، وكان في بغداد شارع يسمي" دار الرقيق"[٤١٥] وكذلك من أشهر الدول المسيحية في تجارة الرقيق القسطنطينية[٤١٦] والبندقية ومرسيليا[٤١٧] .

وكانت للجواري مكانة في الدولة الأموية والعباسية والفاطمية التي كثرت فيها الجواري بصورة مفرطة، وازدانت بهن المنازل والقصور، وأنفق الخلفاء والقواد الأموال الطائلة في شرائهن[٤١٨] وأمتلك الخلفاء الفاطميين وزوجاتهم والوزراء وغيرهم من رجال الدولة وحتى بعض العامة ممن كان يستطيع أن يمتلك الجواري والخدم بأعداد كبيرة منهن، وقد تنوعت مكانة الجواري

---

(٤١٠) خسرو، **سفر نامة**، ص٨٩.

(٤١١) حريتاني، سليمان، **الجواري والقيان في المجتمع العربي الإسلامي**، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط١٩٩٧م، ص٢٧، وسيشار إليه لاحقاً: حريتاني، الجواري.

(٤١٢) القوصي، عطية، **الحضارة الإسلامية**، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط ١٩٨٥م، ص٩١-٩٢، وسيشار إليه لاحقاً: القوصي، الحضارة الإسلامية.

(٤١٣) جبور، عبد النور، **الجواري**، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، ط ١٩٤٧م، ص٢٣، وسيشار إليه لاحقاً: جبور، الجواري.

(٤١٤) القوصي، **الحضارة الإسلامية**، ص٩٢.

(٤١٥) **نفس المرجع**، ص٩٢.

(٤١٦) القسطنطنية، من بلاد الروم، وحالياً اسمها اسطنبول وهي دار ملك الروم وبينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٣٩٥-٣٩٦، انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٤٨١-٤٨٢.

(٤١٧) الترمانيني، عبد السلام، **الرق ماضيه وحاضره**، سلسلة عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ط ١٩٧٩م، ص٨٧ وسيشار إليه لاحقاً: الترمانيني، الرق.

(٤١٨) السيوطي، **المستظرف من أخبار الجواري**، تحقيق: أحمد عبد الفتاح تمام، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ص٣ وسيشار إليه لاحقاً: السيوطي، المستظرف. ابن الساعي، تاج الدين أبي طالب علي بن منجب (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٧م) **نساء الخلفاء المسمي جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء**، تحقيق: مصطفي جواد، دار المعارف مصر، ط٢، ١٩٩٣م، ص١٩-٢٠، وسيشار إليه لاحقاً: ابن الساعي، جهات الأئمة.

لما يقمن به من أعمال وظائف داخل القصور، ومن جانب أخر تدنت مكانة المرأة الحرة والتي أحست بأن عواطف زوجها وغيرته توزعت بين عدة نساء إزاء تكاثر الجواري وشيوع التسري والإكثار من حفلات الغناء والسمر والخمر[٤١٩] في مجالس الموسيقي واشترى الخلفاء والوزراء والأعيان الجواري المغنيات من كل مكان[٤٢٠] حيث كانت تعمر قصور الخلفاء بأسراب من الجواري الحسان من مختلف الأمم والأجناس[٤٢١] لأن الإسلام أباح التسري واعترف بأبناء الجواري وتسمى الجواري بأمهات أولاد[٤٢٢] ودلالة على ذلك أن الكثير من الخلفاء أبناء أمهات أولاد، فالخليفة الظاهر أمه أم ولد تدعى رقية[٤٢٣] والخليفة المستنصر أمه جارية تحظاها الخليفة الظاهر وأنجبت له ابنه الخليفة المستنصر[٤٢٤].

أنواع الجواري:

الإماء والخدم وبالرغم أن الخادمة قد تكون حرة ولكنها تعمل بالخدمة بالتالي يطلق عليها الخادمة ومن الأعمال التي كانت تقوم بها الجواري نلتمس فيها التنوع لذا تفاوتت مكانتهن حسب ما يقمن به من الأعمال والوظائف داخل القصور منها:

المعلمة مقدمة المائدة الشريفة:

وكانت الجواري في القصور الفاطمية تسند لها الكثير من الوظائف الهامة التي لا يشغلها إلا الجواري وبذلك تختلف مكانتهن حسب ما يقمن به من أعمال مثل الإشراف على المائدة الشريفة الخاصة بالخليفة[٤٢٥] ولا توكل هذه المهمة للجواري فقط بل يكن تحت إشراف إحدى سيدات القصور نسبة لأن هذه المهمة تتعلق بالخليفة وسلامته وأن الجارية قد تتآمر عليه مع الأعداء، ويطلق عليها المعلمة مقدمة المائدة[٤٢٦].

صاحبة خزانة الكسوات:

---

(٤١٩) أيوب، **التاريخ الفاطمي**، ص٥٢.

(٤٢٠) الحويري، محمود محمد، **مصر في العصور الوسطي دراسة في الأوضاع السياسية والحضارية**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط ١٩٩٦م، ص١٧٢، وسيشار إليه لاحقاً: الحويري، مصر.

(٤٢١) عنان، **مصر الإسلامية**، ص٢٥٦.

(٤٢٢) الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم الفيروزابادي (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٦م)، **المهذب في فقه الشافعي**، كتاب عتق أمهات الأولاد، مجلد ٢، دار المعرفة، بيروت، ط ١٩٥٩م، ص٢٠، وسيشار إليه لاحقاً: الشيرازي، المهذب.

(٤٢٣) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٤.

(٤٢٤) **نفس المصدر**، ج٢، ص١٨٤-١٩٥.

(٤٢٥) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٢٢.

(٤٢٦)المقريزي، **المواعظ والاعتبار** ج١، ص٤١٠- ٤١٢.

وكذلك من المهام الخاصة التي كانت تسند إلى الجواري مهمة الإشراف على خزانة الكسوات أو الملابس الخاصة بالخليفة وكانت لها رتبة عظيمة[٤٢٧] وتعرف بخزانة الكسوة الباطنة وتتلقب من تتولي هذه المهمة "بزين الخزان" ويساعدها في ذلك ثلاثون جارية فلا يغير الخليفة ثيابه إلا عندها[٤٢٨] وليس في جهة من جهاته ثياب أصلاً ولا يلبس الخليفة إلا من هذه الخزانة[٤٢٩] يشير إلى أن للجواري في العصر الفاطمي مكانة عالية بالأخص صاحبة هذه المهمة التي تهتم بزي الخليفة وأنه ليس له ثياب عند زوجاته أو حظاياه.

خدمة خزانة الشراب:

وأيضاً من المهام التي تسند للجواري داخل القصور الأشراف على خزانة الشراب ويطلق على من يستخدمن في هذه الأعمال أرباب الصنائع والجواري اللائي يقمن بخدمة زوجات الخلفاء وحظاياهم ويطلق عليهن المستخدمات عند الجهات العالية[٤٣٠] دلالة على توليهن خدمة زوجات الخلفاء.

الخدمة في الإسطبلات:

وتنوعت مهام الجواري داخل القصور الفاطمية حتى شملت الخدمة في إسطبلات الخلفاء إذ كن يقمن بخدمة البغال والحمير في السراديب القصيرة في القصر وعلى الزلاقات أعلى المناظر والمساكن[٤٣١] ولم تكن هذه من المهام الخاصة بهن ولكن نجد أن الجواري في العصر الفاطمي قمن بهذه الخدمة وغيرها من الأعمال الشاقة وغيرها قد يكون ذلك لكثرة أعدادهن.

الخدمة في المطابخ:

كانت الدولة الفاطمية تتمتع بثراء اجتماعي واسع ذلك من خلال الاحتفالات العامة والمواكب والأسمطة في الأعياد والمناسبات، وقد تفننت الجواري في إعداد الأطعمة الشهية والمشارب، وقد أشار المقريزي إلى ذلك "في الديار المصرية جواري طباخات أصل تعليمهن من

---

(٤٢٧) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص١٢٩.

(٤٢٨) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٢٧.

(٤٢٩) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص١٢٩.

(٤٣٠) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٢٨-١٢٩.

(٤٣١) نفس المصدر، ج٢، ص٣٢٩.

قصور الخلفاء الفاطميين ولهن في الطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة[٤٣٢] ويلاحظ أن الثراء وكثرة المناسبات في الدولة انعكس على مهارات الجواري في صناعة الأطعمة.

وكانت صناعة الحلوى عند المستخدمين بالإيوان غير مما يصنع بالمطابخ الاَمرية حيث كانت تنتج من اثني عشر جام حلوى وعشرين رطلاً[٤٣٣] فستق وهي عبارة عن جامات ممتلئة بأنواع الحلوى الجافة والرطبة من الخشكنانج والبسندود[٤٣٤] وغيرها من أصناف السكريات والبندق واللوز والتمر وتفرق على الموالي والجهات بكميات مختلفة[٤٣٥] ومن هنا نجد اشارة إلى صناعة الحلوى في مطابخ القصور الفاطمية بالإيوان أو المطابخ الآمرية وقد يكون هذا الاختلاف ناتج عن الكمية التي تصنع، ولكن بالرغم من ذلك الازدهار والتفنن والتنوع في أشكال الأطعمة والأشربة الذي ساد مصر في عصر الدولة الفاطمية إلا أن الخليفة الحاكم منع الكثير من الأطعمة والأشربة في عهده مما أصاب الناس من تقلبات سياسة الحاكم في سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م قرئ سجل في الأطعمة[٤٣٦] بالمنع لبعض الأطعمة مثل أكل الملوخية المحببة لمعاوية، والبقلة المساه بالجرجير المنسوبة إلى عائشة رضي الله عنها، والمتوكلية نسبة إلى المتوكل وكذلك منع أكل الدلنيس[٤٣٧] وأن لا يباع الترمس[٤٣٨] ومنع شرب الفقاع وعمله لما عرف عن سيدنا علي رضي الله عنه كراهة شرب الفقاع[٤٣٩] وكذلك ونهي عن شرب النبيذ وتشدد في ذلك[٤٤٠].

الجواري المغنيات والراقصات:

امتازت الدولة الفاطمية منذ انتقالها إلى مصر ٣٥٨هـ/٩٦٢م بالكثير من مظاهر الثراء وان فانغماس الخلفاء في تيار الترف والبذخ، وقد صور الفاطميون العديد من مظاهر ما يدور في مجالسهم من الغناء والرقص على جدران قصورهم ورسموها على قطع الخزف التي كانوا

---

(٤٣٢) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٨٩.

(٤٣٣) الرطل: في زمن الفاطميين يزن ١٤٠ درهم، هنتس، **المكاييل**، ص٣٠.

(٤٣٤) الخشكنانج، أو الخشكنان، نوع من الحلوي مصنوع من رقائق العجين على شكل حلقات مجوفة ويملا وسطها بلوز والفستق، البستندود هو فارسي الأصل يصنع من الدقيق والبلح. المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٢٠-٤٢١.

(٤٣٥) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٦٨-١٦٩.

(٤٣٦) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٥٣.

(٤٣٧) الدلنيس، هو نوع من السمك الصغير ليس له قشر. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٥٣.

(٤٣٨) الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٢٧٩.

(٤٣٩) الفقاع، شراب من الرمان وسمي بالفقاع لما يرتفع في رأسه من الزبد، الفيروزبادي، **القاموس**، ج٣، ص٦٤، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٥٣، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤ ص٩.

(٤٤٠) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص١٦٦.

يستعملونها[٤٤١] وأحاطوا أنفسهم بالشعراء والمغنيين والمغنيات وانتشر الغناء والطرب وذلك لجزيل عطائهم لهم[٤٤٢] وكانت لهم عناية بتعليم الجواري للفنون الجميلة مثل الرقص والموسيقي والغناء تمشياً مع انتشار الاحتفالات وكثرتها في الدولة[٤٤٣].

وكان هذا سبباً لهجرة الشعراء من بلادهم إلى مصر، واتخذوها داراً لهم لما وجدوا فيها من ترحيب ومنهم الشاعر عمارة اليمني[٤٤٤] الذي أتي إلى القاهرة وعلمت سيدة القصور بقدومه فأرسلت إليه عبدها راجح ليدعوه إليها[٤٤٥] ولما وصل عمارة إلى قصر سيدة القصور ودهش عمارة لما شاهده فيه من البسط الفارسية والفرش والستائر وذهل لهذا الملك العظيم، بالجواري الذاهبات هنا وهناك من روميات[٤٤٦] وصقلبيات وتركيات وجركسيات، وقد زادتهن الملابس جمالاً[٤٤٧] وربما كانت الجواري في العصر الفاطمي تجلب من تلك المناطق لما تميزن فيها النساء بالجمال وذلك ما جاء في وصف الجواري الروميات بيض شقر سباط الشعور زرق العيون، التركيات ذكر في محاسنهن أنهن قد جمعن الحسن والبياض والنعومة[٤٤٨] وهذا يشير إلى الاهتمام باختيار أنواع مميزة من أنواع الجواري وفي جانب أخر يدل ذلك على كثرة أنواع الجواري التي كانت توجد في قصر سيدة القصور والتي نستدل منها أنهن من مناطق مختلفة كذلك قد تنوعت الأعمال التي يقمن بها وقد كانت الجواري تجيد العزف على آلات الطرب والأغاني[٤٤٩] وذلك لكثرة انتشار سماع الغناء والموسيقى في العصر الفاطمي، إذ لم يخلُ مجلس من مجالسهم الخاصة ومآدبهم من سماع الأغاني وجلست سيدة القصور إلى جانب جاريتها باسمة هي جارية جركسية بارعة الجمال[٤٥٠].

([٤٤١]) سلطان، **المجتمع المصري**، ص٢١٣ انظر، ملحق رقم (٩) ص ٢٠٩.

([٤٤٢]) كامل، محمد حسين، **في أدب مصر الفاطمية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١٩٦٣م، ص٢٧٦، وسيشار إليه لاحقاً: كامل، في أدب مصر.

([٤٤٣]) كامل، **في أدب مصر**، ص٢٧٦- ٢٧٧.

([٤٤٤]) عمارة اليمني، وفد إلى القاهرة بمهمة من قبل أمير مكة سنة ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م فرحب به الخليفة الفائز ووزيره طلائع بن رزيك وأصبح من المناصرين للمذهب الفاطمي وهو سني شافعي المذهب، ومدح الخلفاء في الكثير من القصائد. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٢٦. عمارة، **النكت العصرية**، ص٤ وما يليها.

([٤٤٥]) الجارم، علي، **سيدة القصور أخر أيام الفاطميين بمصر**، دار المعارف، بمصر، ط٢ ١٩٥٥م، ص٦٤، وسيشار إليه لاحقاً: الجارم، سيدة القصور.

([٤٤٦]) جبور، **الجواري**، ص٣١.

([٤٤٧]) الجارم، **سيدة القصور**، ص٦٦.

([٤٤٨]) جبور، **الجواري**، ص٣١، للمزيد عن أوصاف الجواري انظر: متز، **الحضارة الإسلامية**، ج١، ص٢١٣.

([٤٤٩]) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص١٦٨.

([٤٥٠]) الجارم، **سيدة القصور**، ص٧٨.

واقبل الخلفاء والوزراء ووجوه القوم على سماع المغنين والمغنيات[٤٥١] وكان معظم المغنيات من الجواري، وكانت مجالس الطرب والغناء واللهو تقام على شواطئ الخليج بالقاهرة، فقد ولع بعض الخلفاء بالغناء والموسيقى ووجد العديد من صور الرقصات على القطع الخزفية[٤٥٢] لراقصة ترتدي ثوباً طويل الأكمام وفي يديها منديل لإبراز حركتها في الرقص[٤٥٣] وكان الخلفاء الفاطميون وكبار رجال الدولة يقبلون على سماع الغناء والطرب وقد عرف عن الخليفة العزيز شغفه بالاستماع إلى الغناء ومشاهدة الألعاب والملاهي[٤٥٤] وكان له العديد من الجواري الحسناوات والراقصات اللاتي كن يلازمنه في بعض الأوقات ويقضي معهن وقتاً في سماع الأغاني ويغدق عليهن بسخاء فكان ينثر عليهن في نهاية مجلسه نفيس الجوهر والأحجار الكريمة[٤٥٥].

وكانت للأمير تميم ابن المعز جارية اشتريت له من بغداد وكانت رائعة الحسن والغناء فكانت تغني له ولجلسائه فتطربهم، وقال لها ذات مره تمني ما شئت فقالت أتمنى عافية الأمير وبقاه فتمنت أن تغني ما غنت ببغداد، فلم يجد الأمير بداً من الوفاء لها وأرسلها إلى بغداد فلما قاربتها أفلتت ممن أرسلت معهم وبقي الأمير بمصر يتحسر عليها[٤٥٦].

هنالك إشارة انفرد بها الدوداري في سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م تزوج الخليفة الحاكم جارية السيدة[٤٥٧] ولم توضح الإشارة أي من السيدات التي تزوج الخليفة الحاكم من جواريها.

وكانت الجواري المغنيات والراقصات من أعظم الهدايا التي تهدى إلى كبار رجال الدولة وعمال الولايات، فقد أهدى الخليفة الظافر عدداً من المغنيات إلى صقلية سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م[٤٥٨] وكذلك أهدى الخليفة الظاهر إلى المعز ابن بأديس وإلى المغرب سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م الحسان من الجواري والمغنيات والراقصات[٤٥٩] ويتضح أن هنالك تبادلاً الهدايا من الجواري بين الدول وقد يكون ذلك لتحسين العلاقات بين الدول المجاورة حيث وصلت من بلاد

---

(٤٥١) عبد العظيم، رمضان، **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور**، كتبها: سيده كاشف، جمال الدين سرور، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة المصرية للنشر، ط١٩٩٣، ص٣٢٩، وسيشار إليه لاحقاً: عبد العظيم، موسوعة تاريخ.

(٤٥٢) انظر ملحق رقم ٩، تمثال ضارب على الدف، من العصر الفاطمي، ص٢٠٩.

(٤٥٣) سلطان، **المجتمع المصري**، ص٢١٤.

(٤٥٤) **نفس المرجع**، ص٢١٦.

(٤٥٥) ابن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص١٤.

(٤٥٦) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص١٦٩.

(٤٥٧) الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٢٦٥.

(٤٥٨) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٣٦.

(٤٥٩) ابن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص٧٠.

النوبة هدايا وفيها عبيد وإماء وخشب أبنوس وفيلة وزرافات وغير ذلك[٤٦٠] وفي سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م أهدى أحد ملوك الأندلس إلى المستنصر بالله هدايا جليلة من فرش تلك البلاد وثيابها وخزها ورقيقها وخدمها ومما سوي ذلك نفاسه وأقدر [٤٦١].

تشدد الخليفة الحاكم في منع الغناء وشرب النبيذ ويروى أن الحاكم مرض وأشار عليه ابن أنسطاس بشرب النبيذ فجنح إلى مشورته ليتداوى به وأغفي عما كان قد منع الناس من شرب النبيذ والغناء، واستدعي المغنين وأصحاب الملاهي إلى مجلسه وشرب على غناهم وخلع العذار معهم وأحسن إليهم، وبعد أن مات ابن أنسطاس عاد الخليفة الحاكم إلى النهي عن الغناء و الخمر أشد من ذلك حتى منع بيع الزبيب والعسل وأحرق منها وأغرق في النيل منها الكثير ومنع من عملها[٤٦٢] وعندما أكثر الناس من شرب النبيذ، وسماع الموسيقي والأغاني، أدى ذلك إلى ظهور الفساد والانحلال الاجتماعي مما دفع الخليفة الحاكم إصدار قوانين منع فيها سماع الموسيقي ومن ثم حرم الغناء والملاهي التي تعد خطراً على الأخلاق العامة.

وكان الخليفة المستنصر يميل إلى سماع المغنيات وفي مرة سمع إحدى المغنيات تنشد تحت قصره بعض الأغاني فأعجب بغنائها وأجزل لها العطاء[٤٦٣] والخليفة المستنصر أشتهر بحبه و إسماعه للغناء وله مغنية خاصة اسمها "نسب الطبالة" وقيل أن اسمها "طرب" وكانت تقف تحت القصر وتسير في ركابه أيام الأعياد والمواكب وهي تضرب بالطبل وتنشد الأغاني[٤٦٤] فأنشدت له يوماً عندما خطب باسم المستنصر في بغداد عاصمة الخلافة العباسية سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م فقالت:

بابني العباس ردوا ملك الأمر معد

ملككم ملك معاروالعواري تسترد

فاستحسن منها الخليفة المستنصر ذلك فقال لها تمني فسألته الأرض المجاورة للمقس فمنحها لها وعرفت بأرض الطبالة[٤٦٥].

---

(٤٦٠) المسبحي، **أخبار مصر**، ص ٣٤.

(٤٦١) ابن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص٨١.

(٤٦٢) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص١٦٦.

(٤٦٣) عبد العظيم، **موسوعة تاريخ مصر**، ص٣٢٩.

(٤٦٤) ابن ميسر، **المنتقي**، ص ١٨.

(٤٦٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٥٤، المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٢٥، ابن مماتي، **قوانين**، ص٣٧١.

طرق جلب الجواري:

وإذا نظرنا إلى الطرق التي كانت تجلب بها الجواري إلى مصر نجد أن الرق والعبودية ظهر في مصر في العصر الفاطمي منذ النصف الأول للقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وظلت قائمة حتى منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر للميلاد، وغيرها من بلدان المشرق العربي[٤٦٦] ولقد كانت الحروب في فترات الفتوح من المصادر المهمة للرقيق وكان تجار الرقيق يقبلون على المنتصر في الحرب[٤٦٧] ويشترون منه الرجال والنساء والأولاد ويذهبون بهم إلى النخاسة[٤٦٨] ومما يتضح أن الحروب والتجارة هما المصدرين التقليديين لتزويد العالم بالعبيد والإماء، وكحصيلة للمعارك الحربية[٤٦٩] بين الفاطميين والبيزنطيين والصليبين حيث تمكنت الدولة الفاطمية من أسر أعداد كبيرة منهم وأرسلتهم كعبيد إلى مصر[٤٧٠] وبجانب ذلك كانت لهم طرقهم أيضا لجلب العبيد والجواري كما أشار إلى ذلك ابن الطوير[٤٧١] "فإذا اكتملت النفقة وتجهزت المراكب ركب الخليفة والوزير إلى الساحل وكان هناك على الشاطئ منظرة يجلس فيها الخليفة، وإذا جاء الأسطول يسالون فقط عن الرجال و النساء الصغار والسلاح، ومما سوى ذلك يكون للأسطول وهذا ما يأخذه المقدم والريس[٤٧٢] وأما النساء والصبيان فقد أدخلوهم القصر بعد أن حمل منهم الوزير نصيباً وافراً وأخذ للجهات والأقارب بقيتهن فاستخدموهن وعلموهن الصنائع ويتولي المعلمون تربية الصبيان وتعليمهم الخط والرماية"[٤٧٣].

وهنالك أسواق للرقيق[٤٧٤] في مصر في العصر الفاطمي وكان النخاسون يعرضون فيها أصنافاً مختلفة من أنواع الرقيق لها مراقبين يطلق عليهم "أمناء السوق" وذلك مما أنفرد به صاحب كتاب الانتصار ابن دقماق كمعلومة نستشف منها أن هنالك اهتماماً من قبل الدولة بتنظيم أسواق

---

(٤٦٦) سيمنوف، **حول الرق في عهد الدولة الفاطمية في مصر**، ترجمة: جليلة ناجي الهاشمي، **المجلة التاريخية** تصدرها الجمعية العراقية للتاريخ والآثار، ع٢، ط١٩٧٢م، ص ١٩٧، وسيشار إليه لاحقاً: سيمنوف، حول الرق.

(٤٦٧) حريتاني، **الجواري**، ص٣٣.

(٤٦٨) القوصي، **الحضارة الإسلامية**، ص٩٤.

(٤٦٩) عامر، توفيق، أحكام الرق في التشريع الإسلامي، **مجلة المؤرخ العربي**، التي تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العراق بغداد، ع١٦، ط ١٩٨١م، ص٢٠، وسيشار إليه لاحقاً: عامر أحكام الرق.

(٤٧٠) سيمنوف، **حول الرق**، ص١٩٨.

(٤٧١) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص٦٨.

(٤٧٢) **نفس المصدر**، ص٦٨.

(٤٧٣) سيمنوف، **حول الرق في عهد الدولة الفاطمية**، ص٢٠٠.

(٤٧٤) الترمانيني، **الرق ماضيه**، ص٨٧.

الرقيق ومنها مصطبة أمناء سوق الرقيق بالفسطاط[٤٧٥] ويبدو أنهم كانوا مساعدين للمحتسب كنواب عنه في سوق الرقيق يطوفون في الأسواق المختلفة ولكن هذه الإشارة لم توضح أن هؤلاء الأمناء وظيفتهم خاصة بسوق الرقيق أم هنالك أمناء على الأسواق الأخرى ويبدو أن الناس كانوا يزدحمون في سوق الرقيق في العصر الفاطمي ربما بغرض المشاهدة وليس الشراء مما دفع الخليفة الحاكم إلى إصدار قرار بمنع التزاحم في سوق الرقيق للفرجة ومن ثم خصص يوم لبيع الجواري ويوماً لبيع الغلمان واشترط على من يتواجد في سوق الرقيق أن يكون بائعاً أو مشترياً وهذا يدل على كثرة ازدحام الناس في سوق الرقيق في دلالة على كثرة الرقيق الذي يباع في أسواق مصر مما دفع الدولة إلى عملية تنظيم البيع وتعيين موظف لمراقبة أسواق الرقيق.

واشترى أحد التجار جارية من شمس الخلافة بسبعين ديناراً وقال له قلّبها[٤٧٦] ربما يقصد من ذلك أن ينظر إليها لمعرفة إذا بها عيب ووضح له لأن خلافاً دار بينه وبين زوجته بسبب تلك الجارية لذا أراد بيعها إرضاء لزوجته، وهذا ما يدل أنه على المشتري أن يتفحص العبد أو الآمة عندما يشتريها كما يتفحص أي سلعة يريد شراءها وربما يدل على كثرة الحيل والتدليس[٤٧٧] التي كان يستخدمها النخاسون لإخفاء عيوب الجواري عند الشراء، كما ورد في رسالة ابن عبدون[٤٧٨] عند شراء الرقيق"فكم من سمراء كده بيعت بصفراء مذهبة، وممسوح العجز بثقيل الروادف وكم من مرة جعلوا العين الزرقاء كحلاء، وحمروا الخدود المصفرة وسمنوا الوجوه، وكبسوا الشعور الشقر حالك السواد[٤٧٩]" وغير ذلك مما ورد في الرسالة التي كانت تدل على ما يفعله تجار الرقيق من تغير في أشكال الإماء من أجل بيعها بأثمان مرتفعة، ويقال النخاسين
كانوا يقولون أن ربع درهم حناء يزيد في ثمن الجارية مائة درهم[٤٨٠] ونجد أن هذه الأمور الجالبة للحسن والجمال عند المرأة ما كان يختص بها الجواري والقيان وحدهن بل لاشك أن الحرائر كن أيضاً يلجأن إليها ليزددن جمالاً وحسناً[٤٨١].

---

(٤٧٥) ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م) **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، طبعة بولاق، ج٤، ص٢٣، وسيشار إليه لاحقاً: ابن دقماق، الانتصار.

(٤٧٦) عمارة، **النكت العصرية**، ص١٤٤.

(٤٧٧) الترمانيني، **حول الرق في عهد الفاطمية**، ص٩٠.

(٤٧٨) ابن عبدون، هو أبو الحسن بن عبدون الطيب البغدادي النصراني (ت ٤٥٥هـ/١٠٦٣م) وللمزيد انظر: الترمانيني، **حول الرق في عهد الفاطمية**، ص٩١، متز، **الحضارة الإسلامية**، ج١، ص٢١٩.

(٤٧٩) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج١، ص٢١٨، الترمانيني، **حول الرق في عهد الفاطمية**، ص٩١.

(٤٨٠) المنجد، صلاح الدين، **جمال المرأة عند العرب**، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢ ١٩٦٩م، ص٧٢، وسيشار إليه لاحقاً: المنجد، جمال المرأة.

(٤٨١) المنجد، **جمال المرأة**، ص٧٣.

ولـم تكـن هنالـك أشـارات كافيـة حـول أسـعار الجـواري فـي العصـر الفـاطمي ربمـا لنـدرة المعلومات في هذا الجانب، ويتضح أن طريقة الشراء كانت مختلفة حيث يكون سعر الجارية حسب ما تجيد من صنائع وما تتمتع به من قدرات(٤٨٢) وبالتالي كل ما كثرت مواهبها زاد سعرها، وجرت العادة تعليم الجواري للفنون الجميلة مثل الرقص والموسيقي والغناء(٤٨٣) ومن خلال ذلك تتضح الطريقة التي كانت تباع وتجلب بها الجواري والعبيد إلى مصر في العصر الفاطمي، وهذا ربما يشير إلى كثرة ورواج أسواق الجواري في مصر ومما يتضح أن لكل دولة وعصر طريقته في جلب الجواري والعبيد، وكانت أيضاً الجواري تعتبر من أعظم الهدايا عند العرب(٤٨٤) ونجد أن هنالك عدة طرق كانت تجلب بها الجواري والعبيد لتغذية المجتمع بالرقيق(٤٨٥) وهذا ما ينطبق على الدولة الفاطمية مما نتج عن ذلك كثرة الجواري وتفشي ظاهرة التسري وهي اقتناء الجواري للتمتع بهن كما كان في غيرها من المجتمعات الإسلامية.

وتوسعت الدولة الفاطمية في جلب الجواري واقتنائهن وذلك للترف الذي ساد فيها حيث نجد ست مصر بنت الخليفة الحاكم بأمرالله تركت في قصرها ثمانية آلاف جارية(٤٨٦) وكان لابن الكلس وزير الخليفة العزيز الكثير من المماليك والعبيد والغلمان أربعة آلاف غلام وثمان مئة من الجواري والخدم(٤٨٧) وكان في مجلس الأفضل بن بدر الجمالي ثماني جواري متقابلات أربع منهن بيض وأربع سود عليهن أفخر الثياب وأثمن الحلي وبأيديهن أحسن الجواهر فإذا دخل من باب المجلس ووطئ العتبة نكسن رؤوسهن احتراماً له فإذا جلس في صدر المجلس استوين قائمات(٤٨٨) وبعد وفاته ترك ثمانمائة جارية ومنهن خمسون جارية لكل واحدة منهن حجرة خاصة بها(٤٨٩) وكذلك الخليفة العاضد أخر الخلفاء الفاطميين كان في قصره عدداً كبيراً من الجواري والعبيد(٤٩٠) وكذلك تحدث الرحالة الفارسي ناصر خسرو عن العبيد والجواري المستخدمين في قصور

---

(٤٨٢) القوصي، **الحضارة الإسلامية**، ص٩٤.

(٤٨٣) سيمنوف، **حول الرق**، ص٢٠٢.

(٤٨٤) فضل، فاطمة اليأس، **دور الجواري والقيان في العصر العباسي الأول**، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الخرطوم، ٢٠٠١م، ص٢٥، وسيشار إليه لاحقاً: فضل، دور الجواري.

(٤٨٥) حريتاني، **الجواري**، ص٣٣.

(٤٨٦) ابن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص٢٤١ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٣٠٣، المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٣، ص١٤٧.

(٤٨٧) الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٢٢٥.

(٤٨٨) ابن ميسر، **المنتقي**، ص٨٢.

(٤٨٩) ابن ميسر، **المنتقي**، ص٥٨.

(٤٩٠) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٣، ص١٦٦.

الخليفة المستنصر أثنا عشر ألف خادم عدا الجواري والتي لا يستطيع أحد تقدير أعدادهن[٤٩١].

أثر الجواري في المجتمع:

كان للجواري أثر كبير في المجتمع الفاطمي سواء في الحياة الاجتماعية والسياسية في الدولة مما نتج عن ذلك بعض الظواهر السلبية في المجتمع مما دفع الخليفة الحاكم إصدار الكثير من الأوامر التي قيدت حرية المرأة لفترةٍ من الزمن وهذا ينطبق على العامة من النساء والجواري، إذ حظر على المرأة دخول الحمامات وكان مصير من يخالفن الأوامر القتل[٤٩٢] وكذلك حظر عليهن كشف وجوههن وراء الجنائز وحتى البكاء والعويل وخروج النائحات بالطبل والزمر على الميت وزيارة القبور في الأعياد والمناسبات منعاً للسفور[٤٩٣] وبلغت محاربة الحاكم للنساء في سنة ٤٠٠هـ /١٠٠٩م أن غرق بعض جواريه وحظاياه في صناديق سمرت عليهن وأثقلت بالحجارة وألقيت في النيل منعاً منه للشهوة الجسدية[٤٩٤] وأشار المقريزي إلى ذلك أن في هذه السنة قتل عدد كثير من الخدام والفراشين وغيرهم[٤٩٥].

وبعد عهد الخليفة الحاكم ما لبثت هذه العادات إلى الظهور مجدداً، وإذا قلنا أن عهد الحاكم كان يمثل أسوا الفترات التي مرت على المرأة لكن نجد أن الحاكم لم يكن هو الوحيد الذي أصدر قرارات بحق المرأة أنما في عهد خلافة ابنه الظاهر وردت إشارة إلى أنه جمع عدداً كبيراً من الجواري وأغلق عليهن الأبواب حتى متن ثم أضرم النار فيهن[٤٩٦]ولكن لم يثبت أن الخليفة الظاهر سار على نهج والده الحاكم بأمرالله اتجاه المرأة.

كان الخليفة الآمر كان يهيم بعشق الجواري حتى بلغ به الأمر أن صارت له عيون بالبوادي فبلغه أن جارية بالصعيد من أكمل العرب وأظرفهم وشاعرة جميلة[٤٩٧] ويقال أن الخليفة الآمر تزيا بزي الأعراب وكان يتجول إلى أن انتهي لحيها وتحايل إلى أن عاينها ورجع لمقر دولته وأرسل من يخطبها من أهلها وتزوجها وبعد أن وصلت إلى القاهرة وأصبحت من نساء البلاط الفاطمي وكان

---

(٤٩١) خسرو، **سفر نامة**، ص١٢٩.

(٤٩٢) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٢٧٦، ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١، ص٣٥٢، السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢ ص١٥٠.

(٤٩٣) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص٢٣٣.

(٤٩٤) **نفس المرجع**، ج٢، ص١٣١.

(٤٩٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٨٣.

(٤٩٦) السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢، ص١٥٣.

(٤٩٧) عنان، **مصر الإسلامية**، ص٢٥٧.

اسمها العالية[٤٩٨] وبعد أن استقرت في القصور الباذخة أخذت تحن إلى حياة البادية وصعب عليها مفارقة ما اعتادت عليه من الحياة ونجد أن الخليفة الاَمر سعى إلى إرضائها بشتى الطرق فبني لها البناء المشهور والمعروف بالهودج[٤٩٩] شبيهاً بالهودج وهو خباء السفر في البادية[٥٠٠] على شاطئ النيل في جزيرة الفسطاط وحوله روضة فيها متنزهاً عظيماً ساحراً، من خلال ذلك غدت العالية سيدة القصر ولكن كل ذلك لم ينسها أهلها وهوى في نفسها لابن عم لها يدعي ابن مياح تربت معه في الحي وما لبثت في قصرها تتجه بخيالها إليه وفي ذات يوم هزها الشوق والحنين إلى أهلها ولابن عمها فأرسلت له آبيات شعر تعلمه بحالها* وتقول الرواية أن ابن عمها رد لها المراسلة ** ويقال أن الخليفة الآمر قد وقف على تلك المراسلة فقال لو لم يسئ في البيت الرابع لرددت الجارية إليه وزوجتها منه[٥٠١] ولبث الآمر مع العالية أعوما يطلق العنان لأهوائه ويتردد معها على منتزه الهودج، وكان يسخط عليه بعض من رجال الدولة بسبب تمكين النصارى من مناصب الثقة والنفوذ إلى أن قتل سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م هذه ما تشير إليه قصة الخليفة مع معشوقته التي قد يكون أهمل أمور الدولة لإرضائها إلى أن قتل.

ونجد أن للجواري بجانب الدور الاجتماعي قد كان لهن دور ليس بقليل في بعض الجوانب السياسية والمشاركة في الأحداث التي كانت تدور داخل القصور، مما مثلت وجه اَخر للجواري في

---

(٤٩٨) **نفس المرجع**، ص٢٥٧.

* وعندما اشتد عليها الشوق في ذات يوم بعثت إليه من قصر الخلافة أبيات شعر:

يا ابن مياح إليك المشتكي	مالك من بعدكم قد ملكا
كنت في حبي مطاع أمرا	نائلاً ما شئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر موصد	لا أري إ لا حبيباً ممسكا
كم تثنينا بأغصان الهوا	حيث لا نخشي علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحصي	حيثما شاء طليق سلكا

** ويقال ابن مياح رد لها بهذه الأبيات:

بنت عمي والتي غذيتها	بالهوى حتى علا واحتبكا
بحت بالشكوي وعندي ضعفها	لغد ينفع فيه المشتكي
مالك الأمر إليك المشتكي	هالك وهو الذي قد هلك
شأن داود غدا في عصرنا	مبدياً بالتيه ما قد ملكا

(٤٩٩) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٧٧.

(٥٠٠) عنان، **مصر الإسلامية**، ص٢٥٨.

(٥٠١) **نفس المرجع**، ص٢٥٩.

العصر الفاطمي وأن دور باسمة جارية (سيدة القصور) التي اشترتها من تاجر أتي بها من دمشق وهي جارية جركسية فائقة الجمال وسمتها باسمة وطلبت من الخدم والجواري أن يدعوها به[٥٠٢] في أواخر عهد الدولة الفاطمية قامت جارية سيدة القصور باسمة بالكثير من الأعمال التي توضح مكر الجواري وخبثهن وذلك عندما حاولت باسمة استمالة عمارة اليمني بشتى الطرق إليها وعندما فشلت في ذلك لجأت للكيد لعمارة عند مولاتها لتسجنه أو تقتله وبذلك تكون قد انتقمت منه ثم شرعت في تنفيذ مؤامرتها اتجاه عمارة اليمني ونقلت إلى سيدتها بأن عمارة يبغض المذهب الفاطمي بقلبه ويناصره بعقله ولسانه، حيث استدعاه ابن رزيك من مكة ليكون ألته في الكيد للدولة والقضاء عليها، واتهمته بالتأمر مع بعض الجند لقتل الخليفة وإجلاس ابن رزيك على عرش مصر[٥٠٣] وسرعان ما كشفت خيوط المؤامرة وطردت باسمة من القصر، وفرت باسمة إلى شاور الذي كانت له مطامع في مصر وأخبرته بأحوال القاهرة وبأن الخليفة العاضد صغير السن وأن المتحكم في الأمور سيدة القصور، وأخذت تحثه على دخول القاهرة حتى فعل وأساء إلى الناس مما أدى إلى ضعف الدولة وانهيارها[٥٠٤] وظلت باسمة تكيد إلى سيدة القصور حتى نهاية الدولة الفاطمية[٥٠٥].

وفي جانب أخر شاركت الجواري في بعض الأحداث في الدولة إذ كن الوسيلة المساعدة في تنفيذ بعض أنواع العقوبات بأمر من سيدات القصور وذلك عندما راسلت أخت الخليفة الظافر الفرنج وطلبت منهم المساعدة في القبض على عباس وابنه نصر الذي قتل الخليفة الظافر أن يرسلوا لها عباساً وابنه نصر سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م حيث قتلوا عباس وأرسلوا لها أبنه نصر في قفص حديد وقتل نصر على يد الجواري نخساً بالمسال وصفعاً بالنعال وقطعن لحمه وشوه وأطعمنه إياه[٥٠٦].

وعندما توفي الوزير ابن كلس وغدا الناس يذهبون إلى قبره شهر وكانت النساء من الخاصة والعامة يحضرن إلى قبره والجواري بأيديهن أقداح الفضة والبلور بالأشربة ولم تتأخر عن أمره نائحة[٥٠٧] وقد يكون هذا جانب من مشاركة الجواري في ما يصيب الدولة من فقد وزير أو خليفة.

وكان للخليفة الآمر جارية على درجة من كبيرة من العلم والثقافة وتجيد معرفة علوم الطب والنجوم والموسيقي وكانت تحب الخليفة الآمر وتحافظ عليه من المؤامرات التي كان يدبرها ضده

---

(٥٠٢) الجارم، **سيدة القصور**، ص٨٧.

(٥٠٣) **نفس المرجع**، ص٩٧.

(٥٠٤) **نفس المرجع**، ص١٢١.

(٥٠٥) **نفس المرجع**، ص١٤٩.

(٥٠٦) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٢٠-٢٢١.

(٥٠٧) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٣٧١.

وزيره الأفضل مثل دس السم له في الأكل لقتله، وكان لها دور كبير في مؤامرة اغتيال الأفضل وزوال خطره عن الخليفة[٥٠٨] ومن خلال ذلك يتضح الدور الذي لعبته جارية الخليفة الآمر لحمايته من المتربصين به ويعد دوراً مهماً في حماية الخليفة من الأعداء والتخلص منهم.

ثروات الجواري:

ونتيجة للثراء والبذخ فقد امتلكت الجواري ثروات كبيرة، وتمتّع بعض الجواري بمكانة كبيرة، وظهرن بمظهر النعمة، فيذكر (متز) أن جارية لأحد كبار العمال الأغنياء بمصر كانت تجلس في الشباك وحولها الجواري قائمات[٥٠٩] وهذا يدل على ما وصلت إليه الجواري من مكانة في الدولة الفاطمية، بالرغم من رواية (متز) لم تُشر لتحديد لتلك الفترة ولكن على الأرجح خلال العصر الفاطمي ومما يؤكد ذلك وما وصلت إلَيه جارية عبد الله بن الخليفة المعز والتي توفيت سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م وكانت من وجوه عجائز القصر والتي خلفت ثروة تقدر بحوالي أربعة آلاف دينار[٥١٠] كما امتلك بعض الجواري العقارات والدور والاقتطاعات وكل هذه الأملاك تؤجر لحسابهن ويذهب ريعها لهن[٥١١].

وكانت الرواتب تصرف للجواري في القصور كل شهر[٥١٢] وبالتالي سوف تكون هذه الرواتب تتفاوت حسب أعمالهن ومكانتهن عند زوجات الخلفاء.

ونخلص من ذلك أن الجواري في العصر الفاطمي كانت لها مشاركة في بعض الأحداث في الدولة وتمتعن بالثروات ومارسن الكثير من الوظائف داخل القصور.

---

(٥٠٨) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص٢١٨.

(٥٠٩) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج١، ص٢٢٢.

(٥١٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٧٢.

(٥١١) سلطان، **المجتمع المصري**، ص١١٦.

(٥١٢) الجارم، **سيدة القصور**، ص٩١.

الفصل الثاني
دور المرأة السياسي والإداري
في الدولة الفاطمية

المبحث الأول: دورها خلال عصر قوة الخلفاء.

المبحث الثاني: دورها خلال عصر ضعف الخلفاء ونفوذ الوزراء.

المبحث الثالث: دورها حتى أواخر الدولة الفاطمية.

الفصل الثاني:
دور المرأة السياسي والإداري في الدولة الفاطمية

المبحث الأول: دورها خلال عصر قوة الخلفاء:

دور ست الملك السياسي والإداري:

تميزت بعض النساء الفاطميات بقوة الشخصية والحزم وسداد الرأي، وكان يؤخذ برأيهن ويعمل به من قبل الخليفة أو رجال الدولة، وفي طليعة تلك النساء سلطانة ست الملك ابنة العزيز بالله(٥١٣) ووالدتها نصرانية من بلاد الشام ولدت في المغرب قبل سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م وتتفق الراويات بأن للعزيز امرأة رومية نصرانية من الطائفة الملكية(٥١٤) وقيل إنها ولدت له بنتاً وهي ست الملك وانها أم الخليفة الحاكم بأمر الله، وكانت أكبر منه سناً وانتقلت إلى القاهرة التي اتخذت مقرا للدولة الفاطمية سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م مع جدها الخليفة المعز لدين سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م(٥١٥) وكان أبوها يكن لها محبة شديدة لما يري فيها من وعي وإدراك وكانت موضع ثقتة فكان يستشيرها في أمور كثيرة وكانت تجيبه إجابة حزم وتعقل وروية(٥١٦) وهذا يدل أن لست الملك شأناً لدى أبيها الخليفة العزيز وقد عاشت تحف بها الجواري والخدم والحشم في جو بالغ الترف والرخاء(٥١٧).

وقد أشارت المصادر التاريخية إلى بعض صفاتها التي تدل على مدى ثقافتها وحنكتها السياسية والإدارية، ووصفها الدواداري: "بأنها كانت ذات أدب وعقل ودين وعقيدة حسنة في الإسلام وكانت كثيرة الصلاة والصوم وتلاوة القرآن والبر والصدقة على المساكين"(٥١٨) بينما يقول ابن ظافر"كانت كاملة العقل صحيحة التدبير"(٥١٩) وفي موقع أخر يصفها بقوله" وكانت امرأة

---

(٥١٣) ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٧٧، الموصلي، ياسين الخطيب العمري (١٢٣٢هـ/١٨١٦م) **الروضة الفيحاء في تواريخ النساء**، تحقيق: عماد علي حمزة، الدار العالمية، ص٤٦٣، وسيشار إليه لاحقاً: الموصلي، الروضة الفيحاء، العاملي، **الدرر المنثور**، ص١٢٠.

(٥١٤) عنان، **الحاكم بأمر الله**، ص٤١.

(٥١٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٩٠.

(٥١٦) جمعة، أحمد خليل، **نساء من التاريخ**، اليمامة للطباعة والنشر ط١٩٩٧م دمشق – بيروت، ص٣٨٠ وسيشار إليه لاحقاً: جمعة، نساء من التاريخ.

(٥١٧) البواب، سليم، **مئة أوائل من النساء**، دار الحكمة، دمشق، ط٢، ١٩٨٦م، ص٤١٠، وسيشار إليه لاحقاً: البواب، مئة أوائل من النساء.

(٥١٨) الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٣٠٠.

(٥١٩) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٨.

عظيمة القدر جليلة الرأي"[٥٢٠] ووصفها ابن تغرى بردي بأنها" كانت عارفة مدبرة غزيرة العقل"[٥٢١] أما النويري فوصفها بقوله "بأنها امرأة من الدهاة"[٥٢٢] وكان يشار إليها أنها سيدة جليلة ذات نفوذ وسلطان[٥٢٣] وكانت في غاية الحسن والكمال[٥٢٤].

وفي جانب آخر نستدل على الدور الذي نهضت به ست الملك في الدولة الفاطمية بدأ مبكراً منذ حياة والدها الخليفة العزيزبالله مما جعلها تسعى إلى التدخل في بعض شؤون الدولة بسبب شخصيتها القوية والحازمة[٥٢٥] مما أستدعي والدها الخليفة أن يحترم تدخلها في أمور الدولة لما تميزت به من سداد في الرأي والحنكة.

على ما يبدو أن والدها العزيز بالله كان لا يرفض لها طلباً وكان يقبل شفاعتها لرجال الدولة مما يدل على أن ست الملك حظيت بمكانة كبيرة عند أبيها الخليفة العزيز ويتضح ذلك عندما عزل الخليفة العزيز وزيره عيسي بن نسطورس[٥٢٦] فشفعت له وعفا عنه[٥٢٧] ولكن نجد أن الدور الحقيقي لست الملك في إدارة الدولة قد برز منذ تقلد شقيقها الحاكم بأمر الله الخلافة سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م وذلك لأن الخليفة الحاكم كان صغير السن، ولأنها كانت أسن منه وهذا مما يدل على نضوج فكرها وبعد نظرها في أمور السياسة ودفاعها عن الدولة، فتولت ست الملك تدبير أمور الدولة بالتعاون مع بعض رجالها المحنكين[٥٢٨] وكانت تسوس الدولة مع أخيها الخليفة الحاكم في بداية ولايته أحسن سياسة وتشير عليه بحكمة أحسن مشورة وكان الحاكم يأخذ ويتدبر بكثير من أرائها إلى إن تغيرت أحواله واختلت أمور الدولة في اخر عمره، وإن تدخلها في شؤون الدولة جلب لها العداء مع أخيها[٥٢٩] لأن الخليفة الحاكم تخلص من وصاية برجوان عليه سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م عندما قام بقلته[٥٣٠] أصبح يمتلك زمام الأمور في البلاد لذلك كان يرفض تدخل

---

(٥٢٠) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص ٥٨.

(٥٢١) ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٩٨.

(٥٢٢) النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٨، ص٢٠٥.

(٥٢٣) الحائري، الشيخ محمد بن حسين الأعلمي، **تراجم أعلام النساء**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان– بيروت، ص١٩٠، وسيشار ليه لاحقاً: الحائري، تراجم النساء.

(٥٢٤) الموصلي، **الروضة الفيحاء**، ص٤٦٣.

(٥٢٥) علي، **نفوذ النساء**، ص ٦٨.

(٥٢٦) عيسي بن نسطورس، هو شرف الملك تاج المعالي ذو الجدين صاعد بن عيسي بن نسطورس، تقلد الوزارة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله في سنة ٤٠٩هـ وتقلد سيف مرصع وزال أمره في نفس السنة من ذي الحجة وقتل فيها، ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٣٣.

(٥٢٧) علي، **نفوذ النساء**، ص٦٧.

(٥٢٨) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٢٦–٣٣

(٥٢٩) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٧ .

(٥٣٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٥.

أخته ست الملك في أمور الحكم

ولم تستطيع ست الملك أن تقف متفرجة على سوء سياسة الحاكم الذي كثر ظلمه وزاد تعسفه وكرهه الناس ومن شدة كراهيتهم له أنهم كانوا يدسون له القراطيس والرقاع فيها سبه والدعاء عليه وفي ذات مرة وضع أهالي الفسطاط في طريق الخليفة الحاكم صورة لامرأة وبيدها ورقة فلما رآها الحاكم ظن أنها تشتكي له فأمر بأخذ الرقعة منها ووجد فيها لعن وشتيمة قبيحة وذكر حرمه بما يكره فأمر بإحضار المرأة فقيل له إنها من القراطيس فأمر بإحراق الفسطاط سنة٤١٠هـ/١٠١٩م(٥٣١) ونهبها وقد أحرقت مصر ونهبت(٥٣٢) وتتبع المصريون الجند الذين سبوا نسائهم وأولادهم وابتاعوهم منهم(٥٣٣) ودار القتال بين العبيد وأهل مصر ومن ثم انضم الأتراك والمغاربة مع أهل مصر ضد العبيد(٥٣٤) وطلب أهالي الفسطاط من الخليفة الحاكم إنهاء عمليات السلب والحرق وكف العبيد عنهم ولكن الحاكم لم يستجيب لهم(٥٣٥) بل ورد في بعض الوثائق الفاطمية التي تدل على أن الخليفة الحاكم حرض العبيد والأتراك على إحراق الفسطاط، وأرسل للعبيد رسالة سرية يقول لهم"كونوا على أمركم"(٥٣٦) وذلك مما يدل على سوء سياسة الحاكم حتى سئم الناس منه ومن سياسيته التي أتسمت بالتناقض حيث كثر القتل والتنكيل برجال الدولة(٥٣٧) ولم ينج من سياسته المسلم والذمي على السواء ووصف ذلك المؤرخ المقريزي وقال: "عم القتل بين وزير وكاتب وقاضٍ وصاحب حرب وصاحب خبر ويهودي ونصراني، وقطع حتى أيدي الجواري في قصره"(٥٣٨) وكذلك يقول الذهبي" وكان المسلمون وأهل الذمة في ويل وبلاء شديد معه"(٥٣٩) وأن ست الملك لم تقف مكتوفة الأيدي اتجاه هذه الأحداث بل كانت مستنكرة هذه المفاسد من أخيها(٥٤٠) حرصاً منها على مصلحة الدولة، كانت تتدخل وتخاطب أخاها الخليفة

---

(٥٣١) **فؤاد، الدولة الفاطمية، ص١٧٥.**

(٥٣٢) العزام، **دور ست الملك**، ص٢٢٨.

(٥٣٣) العاملي، زينب بنت يوسف فواز، **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، مكتبة أبن قتيبة، تونس، ص٢٤٠، وسيشار إليه لاحقاً: العاملي، الدر المنثور.

(٥٣٤) ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ص٧٥-٩١، حمادة، **الوثائق السياسية**، ص١٤٤-١٤٥.

(٥٣٥) فؤاد، **الدولة الفاطمية**، ص١٧٥.

(٥٣٦)حمادة، **الوثائق السياسية**، ص١٤٥.

(٥٣٧) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص٢٩٧-٢٩٨، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٢٨-١٢٩، الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٣٠٧، ابن خلدون، **العبر**، ج٤، ص٧٣.

(٥٣٨) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٠-١٢١، لويس، **وزراء النصرانية**، ص٧٨.

(٥٣٩) الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج٢، ص٢٢٠.

(٥٤٠) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٧-٥٨.

بقولها"يا أخي احذر أن يكون خراب هذا البيت على يديك"[٥٤١].

ويبدو أن الخليفة الحاكم ضاق ذرعاً من تدخل أخته في سياسة الدولة ويذكر ذلك المؤرخ المقريزي بإن الخليفة "قد انفلق منها"[٥٤٢] وتغير رأيه فيها لذا لجأ إلى محاولة الحد من دورها في الإدارة وأخذ يطارد من يساندها من رجال الدولة بالقتل ففي سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م قتل قاضي القضاة الفارقي[٥٤٣] بعد أن أتهمه بموالاة أخته ست الملك[٥٤٤] ودفعت سوء سياسة الخليفة الحاكم رجال الدولة ووجهائها إلى اللجوء إلى أخته ست الملك لعلها تنقذ الدولة مما ألت إليه وهذا ما أورده ابن القلانسي" لما زاد أمر الحاكم في عسف الناس بما ارتكبه من سفك الدماء وإفاظة النفوس وأخذ الأموال وقتل العمال والكتّاب والفتك بالمقدمين من العمال وعدل عن حسن السياسة والسداد، وشكا المقدمون والوجوه إلى أخته ست الملك، هذه الأحوال فأنكرت ما أنكروه وكبرت ما أكبروه واعترفت بصحة ما شكوه ووعدتهم إحسان التدبير في كشف شره وإجمال النظر في أمورهم وأمره ولم تجد فيه حيلة إلا العمل على إهلاكه، وكف أذاه بعدمه وعملت الرأي في ذلك وأسرته في النفس إلى أن وجدت الفرصة ورتبت له من أغتاله"[٥٤٥] وبذلك نجد أن ست الملك أنكرت على أخيها كثرة فساده وظلمة للناس عندما تأكدت من صحة ماشكا منه كبار رجال الدولة ووعدتهم بالإحسان والتدبير وكمال النظر في أمورهم[٥٤٦].

بذلك أدركت ست الملك أن الحفاظ على كيان الدولة واستقرارها ليس بالأمر السهل وخصوصاً أن سياسة النصح لم تجد نفعاً، وبعد تطور الخلاف بين الخليفة وبين أخته بل وصل الأمر بالخليفة الحاكم إلى أن أتهم أخته بالفاحشة فرماها بالفجور[٥٤٧] وقال لها فقد بلغني أنك تدخلين إليك الرجال وقد زالت عذريتك[٥٤٨] وتهددها بالقتل ولذلك رأت ودبرت ست الملك بالتعاون

---

(٥٤١) ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٧٨-١٨٩.

(٥٤٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٠٧.

(٥٤٣) مالك بن سعيد الفارقي، قاضي القضاة تولي القضاة في عهد الخليفة الحاكم وفي يوم السبت سادس عشر ربيع الأخر سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م أمر الخليفة الحاكم بقتله لأنه أتهم بموالاة ست الملك، وكان مدة توليه القضاء ست سنين وتسعة أشهر، وكان ينظر في القضاء والمظالم والأحباس، والدعوة، ودار الضرب، وأمر الاضياف، وعلت منزلته وكان سخياً وجواداً. انظر المقريزي، **اتعاظ الحنفا** ج٢، ص١٠٦-١٠٧.

(٥٤٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٠٧.

(٥٤٥) ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ص١٢٧.

(٥٤٦) ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ص١٢٨، Brocklmann, History of the Islamic, London, 1980, p.160.

(٥٤٧) الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج٣، ص١٩٢-١٩٤.

(٥٤٨) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٧. انظر: ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص٢٩٨. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص١٢٩. الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٣٠١. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٥.

مع بعض رجال الدولة أمر التخلص من الخليفة[٥٤٩] وذلك لأن الجميع ضاق من سياسة الحاكم القاسية مما جعل الناس تستاء وتثور ومنهم أخته ست الملك وخاصة عندما هددها بالقتل وبذلك علمت أنها هالكة[٥٥٠].

واختلفت الروايات وتعددت[٥٥١] حول وفاة الخليفة الحاكم وأكثرها يؤكد دور ست الملك ومشاركتها في اغتيال الخليفة الحاكم[٥٥٢] أشارت بعض الروايات أن سبب قتله أن أخته ست الملك دار بينها وبينه يوماً حوار، ومن حينها شعرت ست الملك بأن أخيها قاتلها لامحاله[٥٥٣] ولتتمكن من التخلص من الخليفة لجأت إلى التحالف مع أحد كبار رجال الدولة ابن دواس مقدم كبار كتامة[٥٥٤] وكان ابن دواس يخشى من الخليفة على نفسه لأن الخليفة هدده بالقتل[٥٥٥] ولذلك أرسلت ست الملك إلى ابن دواس[٥٥٦] لتجتمع به "وقالت له إني أريد أن ألقاك إما تتنكر وتأتيني وإما أن آتي أنا إليك"[٥٥٧] وعندما اجتمعت به" قالت له أنت تعلم ما يقصده أخي فيك وأنه متى ما تمكن منك لم يبقي عليك[٥٥٨] ونحن في خطر عظيم منه وإني أخشى أن يثور المسلمون عليه فيقتلوه ويقتلونا معه وتنقضي هذه الدولة ورد عليها ابن دواس فما الرأي يا موالاتنا قالت له نقتله ونستريح منه، فإذا تم لنا ذلك أقمنا ولده موضعه وبذلنا الأموال وكنت أنت مدبر جيشه وأنا امرأة من وراء حجاب ليس غرضي إلا السلامة "[٥٥٩].

([٥٤٩]) ماجد، **الحاكم بأمر الله**، ص١٧٠.

([٥٥٠]) فرشوخ، **ست الملك**، ص٧٨.

([٥٥١]) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٥-١٢٤، ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٧-٦٨، ابن تغرى بري، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٨٥- ١٨٨، الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي**، ص٣٥٩-٣٦٣.

([٥٥٢]) ماجد، **الحاكم بأمر الله**، ص١٧٠.

([٥٥٣]) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٢، ص٤٤٧، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٥، ص١٧٩-١٨٠.

([٥٥٤]) كتامة قبيلة بربرية مغربية، كانت من أشد القبائل قوة وأطولهم باعاً في تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب سنة (٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) وكان لهم دور بارز في فتح مصر والشام وكانوا يمثلون معظم رجال الدولة. انظر: ابن خلدون، **العبر**، ج٢، ص١٤٨-١٥٢.

([٥٥٥]) ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٤، ص١٨٨.

([٥٥٦]) ابن دواس، هو سيف الدولة حسين بن دواس الكتامي من كبار رجال الدولة وينتمي إلى قبيلة كتامة أحد القبائل الكبيرة المغربية التي اعتمدت عليها الدولة الفاطمية، وتوعده الخليفة الحاكم بالقتل. انظر: ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٨٥. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٢٢، ص١٠. ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ص٩٧.

([٥٥٧]) حمادة، **الوثائق السياسية**، ص١٤٥.

([٥٥٨]) ماجد، **الحاكم بأمر الله**، ص ١٧٠.

([٥٥٩]) ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٨٨. ابن الجوزي **المنتظم**، ج٧، ص٢٩٨. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٢٩.

ومن خلال هذا الحوار بين ست الملك وابن دواس يتضح الاتفاق والتحالف الذي تم بينهما ولا غرابة لأن مصالحهما واحدة، فكلاهما كان الخليفة يتوعده بالقتل وإضافة إلى رغبة كلاً الطرفين في السيطرة على أمور الدولة، ولتنفيذ الأمر أحضر ابن دواس لست الملك عبدين من أوثق عبيده وحلفتهما على كتمان الأمر ودفعت لهما ألف دينار ووقعت لهما بثياب وإقطاعات وخيل وغيره من ذلك، ليقتلا الخليفة الحاكم[٥٦٠] فلما كانت تلك الليلة قال الحاكم لأمه علي الخروج هذه الليلة ودفع إليها خمسمائة ألف دينار ذخيرة لها[٥٦١] ويقول المؤرخ المقريزي "فلما كانت تلك الليلة قال الحاكم لوالدته علي في هذه الليلة وفي غد قطع عظيم والدليل عليه علامة تظهر في السماء فتسلمي هذا المفتاح فهو لهذه الخزانة وفيها صناديق تشتمل على خمسمائة ألف دينار خذيها وحوليها إلى قصرك تكون ذخيرة لك[٥٦٢] تتضح هذه الرواية أكثر عند مقارنتها مع رواية المؤرخ ابن تغرى بردي التي كانت فيها دلالة واضحة على أن الخليفة ربما شعر بدنو أجله وأن خروجه هذا حسب الطالع ربما الأخير وحينها أحست والدته ومنعته من الركوب ولكنه ركب حماره وخرج إلى باب القاهرة[٥٦٣].

وعندما وصل الخليفة إلى جبل المقطم وصعد إليه ودخل الشعب وقد صعد العبدان قبله إلى الجبل وضرباه حتى مات وحملاه إلى أخته فدفنته في القصر[٥٦٤] وقد تكون فعلت ست الملك ذلك خوفاً من ضياع الدولة وهيبتها، وأشار بعض المؤرخين إلى أن ست الملك كانت امرأة عظيمة القدر جليلة الرأي كثيرة النظر في العاقبة متخوفة على دولة أبيها أن يرميها الناس على قوس واحد، وأن يكون قاتل أخيها من الأجناد وتذهب حرمة البيت وتخرج عنهم الدولة[٥٦٥] وأن الأمر بوضوح يشير إلى تفكير عميق لدى ست الملك بأنه إذا ثار الجند وقتلوا الخليفة الحاكم فأنهم لن يولون أبنه ولا أحد من أهله خوفاً من مطالبتهم بالثأر، ولذلك أخذت ست الملك كل هذه الاعتبارات وفكرت في حيلة التخلص من الخليفة للمحافظة على دولة ابائها فدبرت قتله على هذا الوجه[٥٦٦] إضافة إلى ذلك يبدو أن ست الملك كانت تخشى من تنفيذ تهديد الخليفة لها بالقتل، فضلاً عن

---

(٥٦٠) السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢، ص٥٢٢. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص١٢٩. المقريزي **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٥.

(٥٦١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٦.

(٥٦٢) ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٨٧.

(٥٦٣) نفس المصدر، ج٤، ص١٨٨.

(٥٦٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٦.

(٥٦٥) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٧. انظر: ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص٢٩٨. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٢٩. الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٣٠١. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج ٢، ص١١٥.

(٥٦٦) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٨. ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٨٨.

رغبتها في الاستبداد بإدارة الدولة[٥٦٧] وأحضرت خطير الملك أبو الحسن عمار بن محمد[٥٦٨] وعرفته الحال واستحلفته على الطاعة والوفاء واستكتمته بسرها وأضطرب الناس لغياب الخليفة فأرسلت لهم ست الملك أنه أخبرني أنه يغيب سبعه أيام، وأنه يواصلني بأوامره[٥٦٩]ورتبت رسلاً يمضون عنها إلى الخليفة وفي هذه الفترة أخذت ست الملك في ترتيب أوضاعها وقويت شوكتها وفرقت ألف ألف دينار على الأولياء ورجال الدولة وأعيانها إلى جانب الهدايا والأموال[٥٧٠]حيث كف الناس عن الاستقصاء عن مسالة اختفاء الخليفة[٥٧١] وأخذوا يلتفون حولها.

واستمرت ست الملك تدبر أمور الدولة ولم تقلد خليفة للدولة منذ مقتل الخليفة الحاكم في السابع والعشرين من شهر شوال سنة٤١١هـ/١٠٢٠م حتى عيد الاضحي من تلك السنة وفي هذه الفترة أحكمت قبضتها على الجند وأمرائهم وكافة رجال الدولة واستحلفتهم للخليفة ابن الحاكم ثم أرسلت إلى ابن دواس وأمرته بأخذ البيعة للظاهر[٥٧٢] ابن الخليفة الحاكم وأخرجته في عيد الاضحي سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م وألبسته تاج جده المعز المرصع بالجواهر الفاخرة ويصف المؤرخ المقريزي مراسم تقليد الظاهر لإعزاز دين الله الخلافة بقوله " أخرجت ست الملك على ابن الحاكم وبين يديه الوزير خطير الملك وفي عدة من الأستاذين[٥٧٣] وقام ابن دواس فقال لمن حضر من رجال الدولة تقول لكم مولاتكم هذا مولالكم فسلموا عليه[٥٧٤] وقبل ابن دواس الأرض ومرغ خديه بين يديه فبايعه الناس، وضربت البوقات والطبول وعلا الصياح بالتكبير والتهليل ودخل الناس على العموم حتى

---

(٥٦٧) العزام، **دور ست الملك الإداري**، ص٢٢٩.

(٥٦٨) خطير الملك، الأمير الوزير رئيس الرؤساء أبو الحسن عمار بن محمد تولي ديوان الإنشاء ثم خلع عليه بالوساطة جمادي الأخير سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م، وبعد اغتيال الحاكم بأمر قام البيعة للخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، ثم خلع عليه بالوساطة وكتب له سجل بذلك سنة٤١٢هـ/ ١٠٢١م، وزال أمره في نفس السنة فكانت مدة وزارته سبعة أشهر وأياما وقتل في الحج. انظر: المقريزي، ج٢، ص١٢٨.

(٥٦٩) ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٨٩.

(٥٧٠) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص٣٠٠، ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٩٢.

(٥٧١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص١٦٦.

(٥٧٢) الظاهر، هو علي ابن الحاكم بأمر الله، وهو أبو الحسن علي بن منصور بن نزار بن معد، ولقب بالظاهر لإعزاز دين الله، ولد في القاهرة سنة٣٩٥هـ/١٠٠٤م، تقلد الخلافة سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م وعمره ستة عشر سنة وثلاثة أشهر، حتى وفاته سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م. انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٤-١٨٣، ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٦٣-٦٦، الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٣١٣- ٣٣٥.

(٥٧٣) الأستاذين، وهم الخدام والطواشية ومنهم أرباب الوظائف المختصون بشئون الخليفة واحتياجاته، وأعظمهم مكانة الأستاذون المحنكون الذين يديرون عمائمهم على أحنكاهم وهم أقرب الخدام إلى الخليفة، ومنهم من يحمل رسائل الخليفة إلى الوزير ومن يشرف على مجلس الخليفة. القلقشندى، **صبح الاعشي**، ج٣، ص ٤٧٧.

(٥٧٤) ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص٣١٩.

يسلموا ثم انصرفوا ومن ثم جمعوا في الغد وأخذت البيعة منهم(٥٧٥) وبعد أن وطدت ست الملك دعائم البيعة أخذت ترسي دعائم إدارة الدولة مع بعض رجالها ابن دواس والوزير عمارة بن محمد(٥٧٦) وخاصة أن الظاهر كان صغير السن(٥٧٧) ولكنها سرعان ما لجأت إلى التخلص منهما ومن غيرهم من رجال الدولة، إذ أنها أمرت بقتل ابن دواس بعد أن اتهمته بقتل الخليفة الحاكم فقتل سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م ولم يعترض في الأمر أحد وتفرق الناس(٥٧٨) ومن ذلك يتضح أن ست الملك لجأت إلى تصفية كل من شارك معها في عملية اغتيال الخليفة الحاكم خوفاً من أن يفتضح أمرها أمام الجند وعامة الناس(٥٧٩) وأشار إلى ذلك المقريزي بقوله "قتلت جماعة ممن اطلع على سرها في قتل الحاكم وعظمت هيبتها في نفوس الأقارب والأباعد"(٥٨٠) ويورد ابن ظافر في دلالة على أنها أحسنت في أعمالها للناس بعد مقتل الخليفة"ثم عملت أعمالا لم يتكلم فيها من الأمراء والأتراك على أخيها حتى مضوا على سيف وأحد ووافقت لها الحيلة عليهم وبلغت المراد منهم(٥٨١) وبعد مقتل ابن دواس والوزير خطير الملك اعتمدت ست الملك في تدبير الأمور على أبي القاسم الجرجرائي(٥٨٢).

ومن خلال هذه الروايات المختلفة نجد أن هنالك إشارة واضحة إلى مشاركة ست الملك في اغتيال الحاكم(٥٨٣) ولكن إذا أمعنا النظر في بعض هذه الروايات لتحليلها نجد بعضها ينفي التهمة عن ست الملك(٥٨٤) وبعضها يشير إلى دور ست الملك وتدبيرها مع رجال الدولة عملية اغتيال

---

(٥٧٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٥. انظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٣١. النويري، **نهاية الأرب**، ج ٨، ص٢٠٣. ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٩٢.

(٥٧٦) المناوي، **الوزراة والوزراء**، ص٢٥١.

(٥٧٧) الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٣١٤، الصنهاجي، **أخبار بني عبيد**، ص٦٨، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٤.

(٥٧٨) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص٣٠٠. النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٨، ص٢٠٤. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢ ص١٨٢-١٨٣، ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٩٣ -١٩٤.

(٥٧٩) العزام، **دور ست الملك**، ص٢٣١.

(٥٨٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٩، انظر ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤ ص١٩٤.

(٥٨١) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٦٠.

(٥٨٢) الجرجرائي، أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي، جاء من العراق إلى مصر وأستقر بها، ودخل في خدمة الدولة الفاطمية في عهد الحاكم بأمر الله وتولي ديوان النفقات سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م، ثم عين في نظر الدواوين سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م ثم وزيراً الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله إلى أن قتل سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م، الذهبي، **سير أعلام**، ج١٧، ص٥٨٢، ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٣٨.

(٥٨٣) الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي**، ص٣٥٩-٣٦٣، ابن الأثير، **الكامل التاريخ**، ج٩، ص٣١٩.

(٥٨٤) المقريزي، **الخطط**، ج٤، ص٧٤.

الخليفة الحاكم(٥٨٥) لأنه هددها بالقتل وذلك عندما اتهمها بالفجور وأن ما يرد في الرواية التي تشير إلى أن الحاكم اتهم ست الملك بالفجور والفاحشة(٥٨٦) وبعث لها القوابل للتحري في أمرها(٥٨٧) وللوقوف على هذه الرواية لابد من معرفة تاريخ ولادة ست الملك والتي نستدل منها على أن ست الملك لم تكن في ريعان شبابها وتقدر فترة تاريخ ولادة ست الملك سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م وتوفيت سنة ٤١٤-٤١٥هـ/١٠٢٤م(٥٨٨) ومن هذا يتضح أن ست الملك كانت في العقد الخامس من عمرها أي أن عمرها يناهز الخمسين أثناء اغتيال الحاكم أو أكثر من الثانية والخمسين فكيف يصح أن يتهمها الحاكم بالفجور وعمرها فوق الخمسين مما يحسب على أنها امرأة عاقلة من خلال سنها يتضح نضج فكرها فلما يتهمها بالفاحشة، ومن جانب آخر وفي الكثير من المصادر التاريخية عرف عن ست الملك أنها سيدة ذات احترام وهيبة وخلق وأنها تمتعت بالكثير من الصفات من أنها ذات عقل ودين وأدب(٥٨٩) وكذلك كانت كاملة العقل صحيحة التدبير (٥٩٠) وتمتعت بالعقل والحزم (٥٩١) وكانت في غاية الحسن والكمال ولها شجاعة الأبطال(٥٩٢) وهذا ما يدل على قوة شخصيتها مما مكنها من تكريس حياتها لخدمة مصلحة الدولة.

والعلاقة بين ست الملك وشقيقها الحاكم كانت تتميز بكثير من الاحترام والتقدير والدليل على ذلك الهدايا(٥٩٣) التي كانت تقدم من كلاهما للأخر والتي تدل على تبادل العاطفة بين الأخوين وليس ثمة دليل قاطع يؤيد رواية اشتراك ست الملك في عملية اغتيال الحاكم التي نجدها في معظم المصادر المشرقية(٥٩٤) وعلى ما يبدو أن الغموض الذي صاحب موت الحاكم أدى إلى

---

(٥٨٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٥-١٢٤، ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٧-٦٨، ابن تغرى بري، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٨٥- ١٨٨، الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي**، ص٣٥٩-٣٦٣.

(٥٨٦) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٧، ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص٢٩٨، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٢٩، الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص ٣٠١، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢ ص١١٥.

(٥٨٧) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٣٠٥، ابن خلدون، **العبر**، ج٤، ص٦١، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٥، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٨٥.

(٥٨٨) ابن ميسر، **المنتقي**، ص١٧٥، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٨٣.

(٥٨٩) الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٣٠٠.

(٥٩٠) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٨

(٥٩١) ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد (٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ٣ أجزاء، ط بولاق، د.ت، ج١، ص٢٠٩، وسيشار إليه لاحقاً: ابن إياس، بدائع الزهور.

(٥٩٢) العمري، ياسين بن خير الله، **مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء**، تحقيق رجاء السامرائي، دار الجمهورية، بغداد، ط ١٩٦٦م ص٢٨٠ ، وسيشار إليه لاحقاً: العمري، مهذب الروضة.

(٥٩٣) ابن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص٦٨.

(٥٩٤) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٤، ص٧٤.

ظهور كثير من الروايات المختلفة والتي أشار البعض منها إلى مشاركة ست الملك في حادثة اغتيال أخيها الحاكم وأن هذه الروايات ليست أكيدة أو يقينية وذلك حسب حال الرواية وما أصابها من غموض ولذلك نجد أن المقريزي في اتعاظ الحنفا يذكر اتهام ومشاركة ست الملك في اغتيال الحاكم[٥٩٥] ونجده في الخطط ينفي مشاركتها في حادثة اغتيال الحاكم[٥٩٦] ونجد أن معظم هذه الروايات ربما المتأخرة إذا ما قورنت بالروايات المعاصرة التي نفت التهمة عن ست الملك[٥٩٧] ومن الرواة من استند على أن الحاكم اتهمها بالفاحشة وأرسل لها القوابل[٥٩٨] للتأكد من براءتها، وأري أنه ربما أراد الحاكم أن يحد من تدخلها في الدولة وسلطاتها وأن الأمر الذي يضعف شان المرأة عندما تتهم في شرفها وهذا ما يقلل من مكانتها، وهذا ليس دليل قاطع على أنها وبناء على هذه التهمة شاركت في قتله لأنه سوف يتأكد من براءتها عندما يرسل لها القوابل ويتحرى في الأمر وليس هذا الدافع القوي لقتلها للخليفة أنما لابد أن تكون هنالك دوافع قوية ومنها المحافظة على أمن الدولة.

والجانب الأخر الذي يستند عليه الرواة في مشاركة ست الملك في اغتيال الحاكم هو أنها تخلصت من الذين اطلعوا على سرها[٥٩٩] وقد تكون ست الملك تخلصت ممن كانت تحوم حولهم الشبهات في اغتيال الحاكم[٦٠٠] ويعتبر هذا الجزء الذي يتمسك به من يقول أن ست الملك اتفقت مع ابن دواس لقتل الحاكم، وقد يكون أن ست الملك قتلتهم لشكها فيهم.

ومهما يكن أمر اتهامها بقتل أخيها الخليفة فإني أرى أنها أصلحت الدولة حتى لو قامت بتدبير أمر اغتياله فهذا للمحافظة على دولة أبائها، لأن سياسة الحاكم كانت ظالمة للرعية ومتناقضة وقتل الكثير من رجال الدولة.

إصلاحات ست الملك الإدارية السياسية:

ويمكن أن نشير إلى إصلاحات ست الملك السياسية والإدارية في الدولة ويستحق أن نطلق على ما قامت به ست الملك من أعمال في بداية عهد الخليفة الظاهر عندما شرعت في تدبير الدولة وسياسية الرعية[٦٠١] أن نطلق عليها إصلاحات والتي كانت دليلاً واضحاً على سعة عقلها وإدراكها لأمور الدولة ومشاكلها.

---

(٥٩٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٥.

(٥٩٦) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٤، ص٧٤.

(٥٩٧) **نفس المصدر**، ج٤، ص٧٤.

(٥٩٨) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٣٠٥، ابن خلدون، **العبر**، ج٤، ص٦١، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٥، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٨٥، ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٢، ص٤٤٧.

(٥٩٩) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٥–١٢٩، انظر ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤ ص١٩٤.

(٦٠٠) الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي**، ص٣٥٩– ٣٦٣.

(٦٠١) العمري، **مهذب الروضة**، ص٢٨١.

وبعد أن أقيمت المآتم على الحاكم في القصور لمدة ثلاثة أيام جمعت السيدة ست الملك عامة أهل مصر ووعدتهم بحسن السيرة والمعاملة، وأمرتهم بذكر حوائجهم ومصالحهم في كل وقت(٦٠٢) مما يدل على حنكتها الإدارية في معالجتها للأوضاع ولأحوال الناس.

ومن أعمالها أطلقت للنساء حرية الخروج من منازلهن والتصرف في أمورهن بعد أن منعن من الخروج في عهد الخليفة الحاكم سبع سنين وسبعة أشهر(٦٠٣) وأرجعت جواهر كان الخليفة الحاكم وهبها، وحلت إقطاعات أقطعها ورتبت الأمور ترتيباً أصلحها وهذبها(٦٠٤).

وكذلك قامت ست الملك ببعض الإصلاحات المالية ومنها مصادرة جميع الاقطاعات التي أقطعها الخليفة الحاكم لبعض رجال الدولة، وأعادت فرض المكوس(٦٠٥) التي أسقطها الخليفة الحاكم وقطعت الكثير من الأرزاق والرواتب وأبقت من له خدمة ضرورية للدولة،وهذه تعتبر من أهم الإصلاحات الإدارية التي تقود إلى حفظ الأمن والاستقرار في الدولة.

وحرصت ست الملك على إبقاء ولاية العهد في ابن شقيقها الحاكم شأنها في ذلك شأن غيرها من النساء في الدول الإسلامية وحتى لا تخرج الخلافة إلى غيرهم(٦٠٦) وكان هذا واضح عندما لجأت ست الملك إلى التخلص من عبد الرحيم ابن إلياس(٦٠٧) والذي كان في سنة ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م قرئ سجل من قبل الخليفة الحاكم بأن أبا القاسم عبد الرحيم بن إلياس والى عهد المسلمين والخليفة من بعد وفاته(٦٠٨) وخلع عليه وأمر الناس بالسلام عليه وأن يقولوا في سلامهم "السلام

---

(٦٠٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٦.

(٦٠٣) **نفس المصدر**، ص١٢٦، أيوب، **التاريخ الفاطمي**، ص٦٢.

(٦٠٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٦، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٣١.

(٦٠٥) المكوس، هي الضرائب التي تفرض على جميع البضائع سواء كانت منتجات صناعية والغلات الزراعية ونستدل من نصوص المقريزي أن المكوس كانت تفرض على الأسواق والقوافل التجارية الواردة من الريف إلى المدن خاصة مصر والقاهرة والمصائد ودور الضرب والذبائح حتى على مياه الشرب والمراعي. المقريزي **الخطط**، ج١، ص١٠٣-١٠٥.

(٦٠٦) تامر، عارف، **الحاكم بأمر الله خليفة، وإمام، ومصلح**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١٩٨٢م، ١١٢، وسيشار إليه لاحقا: تامر، الحاكم.

(٦٠٧) عبد الرحيم ابن إلياس أبي القاسم بن علي بن المهدي والذي جعله الحاكم والياً على دمشق وفي سنة ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م جمع الناس في القصر وقرئ عليهم سجل من الخليفة الحاكم وأخذ له ولاية العهد، وعند اختفاء الحاكم أمرت ست الملك الوزير خطير الملك أن يستدعيه من دمشق فلما قدم عبد الرحيم عدل به إلى تيس فقتل بها. انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٩٣-١٩٤، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٦-١١٧، وللمزيد، انظر: الشيال، **الوثائق الفاطمية**، ص٥٧-٦٠.

(٦٠٨) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٠٠-١٠١.

على ابن عم أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين"[٦٠٩] وضربت السكة باسمه وكان ينوب عن الخليفة في الصلاة، وفي سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م أمر الحاكم أن ترفع المظالم إلى عبد الرحيم وإلى القاضي[٦١٠] وهذا ما يشير إلى معلومات قد تكون جديدة عن ولاية العهد في العصر الفاطمي والتي كان منها أن ينوب ولي العهد عن الخليفة في الخطبة والصلاة والنحر والنظر في المظالم ويضرب أسمه علي السكة وينقش على البنود[٦١١] وأن يدعى له على المنابر في أعمال الدولة وولاياتها[٦١٢] ولذلك خشيت ست الملك أن يتولى عبد الرحيم ابن إلياس الخلافة بعد اختفاء الخليفة الحاكم بأمر الله ولأن ابنه كان صغير سن يناهز الحلم[٦١٣] في سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م بعثت إليه ست الملك تستدعيه من دمشق لأنه كان والياً عليها من قبل الخليفة الحاكم، وأخذت منه البيعة للخليفة الظاهر والسيف على رأسه، وهنالك أشارة إلى أنه وفي طريقه الى القاهرة من دمشق عدل به إلى تنيس وقتل بها[٦١٤] وكذلك يقال أن ست الملك دبرت أمر قتله بالسم[٦١٥] للمحافظة على ولاية العهد في نسل أبناء الخليفة الحاكم بأمر الله [٦١٦].

وأن جملة ما قامت به ست الملك من ترتيبات في الدولة أنها رأت أنه لابد من أن تصلح ما أفسده الخليفة الحاكم من جانب ولصغر سن الخليفة الجديد من جانب أخر[٦١٧] وسعت إلى ترتيب الأوضاع في الدولة وقامت بكل هذه الإصلاحات بمساعدة رجال الدولة، ولم تتوقف سياسة ست الملك عند إصلاحاتها الداخلية بل لجأت إلى بعض الإصلاحات الخارجية التي تدل على توسع سلطاتها إلى خارج حدود الدولة وعملت على تشديد قبضة الدولة على الولايات التي خرجت عن سلطانها وخاصة ولاية حلب فقد استمالت الأمير عزيز الملك فاتك الوحيدي[٦١٨] الذي كان الخليفة الحاكم قد قلده ولاية حلب ولكنه تمرد واستفحل أمره وعظم شانه ودعا لنفسه على

---

(٦٠٩) نفس المصدر ، ج٢، ص١٠١.

(٦١٠) الشيال، **الوثائق الفاطمية**، ص٥٨.

(٦١١) نفس المرجع، ص٦٠.

(٦١٢) الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي**، ص٣٠٦.

(٦١٣) العاملي، **الدر منثور**، ص٢٤٠.

(٦١٤) الشيال، **الوثائق الفاطمية**، ص٦٠.

(٦١٥) النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٨، ص٢٠٤ – المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢ ص١٨٢-١٨٣، ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٩٣-١٩٤، الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي**، ص٣٦٨.

(٦١٦) العزام، **دور ست الملك**، ص٢٣١.

(٦١٧) الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٣١٤. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٣٤.

(٦١٨) فاتك الوحيدي، يدعي بدر، كان يملك أمر عزيز الدولة صاحب حلب وبعد مقتل عزيز الدولة تقلد ولاية حلب سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م، ابن العديم، كمال الدين أبا القاسم عمر بن أحمد(ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م)، **زبده الحلب من تاريخ حلب**، ٣ أجزاء، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ج١،= =ص٢٢١،

المنابر، وضرب السكة باسمه[٦١٩] ولما توفي الحاكم واصلته ست الملك ولاطفته وأرسلت له الهدايا من خلع وخيول ومراكب إلى أن دبرت أمر قتله على يد أحد غلمانه وبذلك عادت إليها السلطة على حلب[٦٢٠] وكذلك عملت على إعادة العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية مع الدولة البيزنطية والتي ساءت العلاقات معها على أثر سوء سياسة الخليفة الحاكم مع أهل الذمة عندما أمر بهدم كنيسة القيامة في القدس سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م وساير البيع والكنائس في مصر والشام ومصادرة أملاكها[٦٢١] ولذلك بادرت ست الملك ووقعت الهدنة سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م مع إمبراطور الروم الأمبرطور باسيل الثاني لتعمل على إعادة العلاقات بين الدولتين[٦٢٢] وأرسلت له تخبره بإعادة الدولة بناء كنيسة القيامة وسائر البيع والكنائس ووعدته بحسن معاملة أهل الذمة، وقدمت ست الملك للامبرطور البيزنطي هدايا قيمة ثياب وآلات من الفضة كانت عندها من خالها ارسانيوس البطريك القدس[٦٢٣] وخطب للظاهر في بلاده وأعاد بناء جامع القسطنطينية[٦٢٤] حيث عملت على إعادة العلاقات بين البلدين.

وامتدت فترة ست الملك في تدبير شئون الدولة مدة أربع سنين إلى أن توفيت عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م وقامت بأعمال جليلة[٦٢٥] في الدولة نستدل منها على قدرتها في الإدارة والسياسة.

وكل ذلك يبين لنا أن سلطانة ست الملك إحدى نساء الدولة الفاطمية القويات وقد تمتعت بنفوذ كبير منذ خلافة والدها الخليفة العزيز ومن ثم امتدت إلى عهد شقيقها الخليفة الحاكم الذي كان في بداية عهده يثق برأيها إلى أن تحول عنها وذلك على ما يبدو لمزاجية الخليفة الحاكم المتقلبة وبسبب رفضه لتدخلاتها في الدولة، ولكن بالرغم من ذلك ظلت ست الملك تسهر على حماية ابن أخيها الخليفة الظاهر ودولة أبائها بفطنة وبراعة إلى أن توفيت.

وسيشار إليه لاحقاً: ابن العديم، زبده الحلب. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٩–١٣٠. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٩٦–١٩٨.

(٦١٩) الأنطاكي، **تاريخ الإنطاكي**، ص٣٧٦.

(٦٢٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٩–١٣٠.

(٦٢١) نفس المصدر، ج٢، ص١٢٩– ١٣٠.

(٦٢٢) علي، **نفوذ النساء**، ص٧٦.

(٦٢٣) الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي**، ص٢٣٧، سلطان، **المجتمع المصري**، ص١٠٣.

(٦٢٤) وللمزيد عن علاقات الفاطميين بالروم، انظر المناوي، **الوزارة والوزراء**، ص٢٢٠– ٢٢٤.

(٦٢٥) العمري، **مهذب الروضة**، ص ٢٨١.

دور السيدة رصد أم المستنصر السياسي والإداري:

نهضت المرأة بدور كبير في السياسة والحكم في الفترة الفاطمية وكان لها دور هام في التدخل في إدارة الدولة ويتضح هذا الدور في ما قامت أم الخليفة المستنصر من تدخل في شؤون الدولة وهي جارية سوداء تحظاها الخليفة الظاهر فولدت له المستنصر[٦٢٦] وكانت تدعى بالسيدة رصد[٦٢٧] وقد تولي المستنصر الخلافة وعمره سبع سنين، ومن ثم استطاعت والدته أن تستولي على مقاليد الأمور لصغر سن الخليفة[٦٢٨] من جهة ولقوة شخصيتها من جهة أخرى، فأحاطت نفسها بالكثير من المظاهر التي تدل على مكانتها في الدولة وأخذت لنفسها علامة التوقيع في الأوراق الرسمية وهي "الحمد لله ولي كل نعمة"[٦٢٩] وكانت تستخدمها في مراسلاتها الرسمية التي ترسلها إلى خارج البلاد ونلتمس ذلك في مراسلتها مع الملكة الحرة أروى الصليحية[٦٣٠] في اليمن ووردت صيغتها في السجلات المستنصرية" الحمد لله ولي كل نعمة، من السيدة الملكة والدة الإمام المستنصر بالله، أمير المؤمنين" وذلك عندما أرسلت لها في سنة٤٧١هـ/١٠٧٨م تعلمها بوصول كتابها الصادر من اليمن ويتضمن سلامتها[٦٣١].

وكذلك نجد فيه إشارة إلى ألقاب أم المستنصر التي تميزت بها، ربما لتطفي على نفسها مظاهر العظمة والأبهة في الدولة ومنها" الملكة، السيدة، مولاتنا"[٦٣٢] ونجد أن ست الملك لم تضف إلى نفسها ألقاباً رسمية، مثل أم المستنصر في مكاتبتها أو أن المصادر التاريخية لم تذكر أن ست الملك استخدمت توقيعاً لها ومراسلات رسمية وذلك ربما كانت ست الملك تمارس نشاطها السياسي والإداري في الخفاء خوفاً من الخليفة الحاكم أو أن تدخلها كان ينحصر في تقديم النصح والإرشاد إلى أخيها الخليفة وهذا يتضح في قولها "يا أخي أحذر أن يكون خراب هذا البيت على

---

(٦٢٦) المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور ولد سنة٤٢٠هـ/١٠٢٩م وكانت مدة خلافة ستين سنة. للمزيد انظر: ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٦٧-٨٢، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٨٤، الصنهاجي، أبو عبد الله محمد (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط ١٩٨٤، ص٧١، وسيشار إليه لاحقاً: الصنهاجي، أخبار بني عبيد.

(٦٢٧) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٨٤.

(٦٢٨) تامر، **المستنصر بالله**، ص٥.

(٦٢٩) **السجلات المستنصرية**، سجل رقم ٥١، انظر الملحق ص٢٠٠.

(٦٣٠) **نفس المصدر**، سجل رقم ٥١، انظر الملحق ص٢٠٠-٢٠١، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص١١٥، ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص٤١٢، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٢٢، وللمزيد انظر: السجلات المستنصرية.

(٦٣١) **السجلات المستنصرية**، سجل رقم ٥١-٥٢، انظر الملحق، ص٢٠٠-٢٠٣.

(٦٣٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ٣٠٤.

يديك"[٦٣٣] وليس بهدف أظهار السلطة والمكانة لذا لم تتخذ لنفسها ألقاباً رسمية وكذلك ربما لان تدخل ست الملك كان في فترة نفوذ الخلفاء الأقوياء واستبدادهم بالسلطة الذي لا يسمح بتدخل النساء وفقاً لقواعد المذهب الشيعي المذهب الرسمي للدولة الفاطمية وكذلك خوفاً من إثارة غضب العامة.

واستطاعت أم الخليفة المستنصر التحكم في شؤون الخلافة بعد وفاة الوزير الجرجرائي ٤٣٦هـ/١٠٤٤م[٦٣٤] والتي كانت إيذاناً بسيطرة السيدة أم الخليفة أو بالأصح يمكن أن نعتبر البداية الفعلية لظهور نفوذ أم المستنصر منذ أن تولى ابنها الخلافة، وفي عهد وزارة الأنباري[٦٣٥] الذي خلف الجر جرائي في الوزارة ثم وقع الخلاف بين الأنباري وأبي سعيد التستري[٦٣٦] وقتل الأنباري في خزانة البنود[٦٣٧] سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م ولأن السيدة أم الخليفة ناصرت التستري[٦٣٨] وذلك لفضله عليها وهو الذي باعها وهي جارية سوداء للخليفة الظاهر لإعزاز دين الله[٦٣٩].

وعندما سيطرت السيدة أم الخليفة على زمام الأمور في الدولة نجد أنها رعت هذا الجميل للتستري[٦٤٠] فولّت أبا سعيد التستري وزارتها[٦٤١] مما يدل على أن أم المستنصر كانت تحكم الدولة وتعين لها الوزراء وقدمته واختصت به في خدمتها[٦٤٢] وكانت تأخذ برأيه ومشورته في بعض

---

(٦٣٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٨٧–١٨٨.

(٦٣٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٨٣.

(٦٣٥) الأنباري، هو أبو علي الحسن بن علي الأنباري، تولي الوزارة بعد الجرجرائي سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م فضعف أمره بسبب تدخل التستري في الأمر، واستوزر بعده الفلاحي، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٩٠، ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٣٨.

(٦٣٦) الصنهاجي، **أخبار بني عبيد** ص٧١.

(٦٣٧) خزانة البنود، وتعرف أيضاً بدار البنود وهي مكان لحفظ الإشارات والأعلام وكذلك تحفظ فيها بعض الأسلحة، ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٧، المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٢٥، انظر سعد، **تاريخ مصر الاجتماعي**، ص٢٨٧.

(٦٣٨) التستري، هو أبا سعيد ويقال أبا سعد، سهل بن هارون التستري، وأخيه إبراهيم، كانا يهوديان واسلما وان أبا سعيد استخدمه الظاهر لبيوعه، فباع له جاريته رصد فتحظي بها الظاهر وولدت له المستنصر وعندما توسع نفوذها في الدولة خصت أبا سعيد بخدمتها وعظم شأنه إلى أن صار ناظر إلى جميع أمور الدولة المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٩٠–١٩١، ابن الصيرفي **الإشارة**، ص٣٨، الصنهاجي، **أخبار بني عبيد**، ص٧١، لويس، **وزراء النصرانية**، ص ١٦٦.

(٦٣٩) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٩٥، علي، **نفوذ النساء**، ص٧٧.

(٦٤٠) **نفس المصدر**، ج٢، ص١٤٩.

(٦٤١) **نفس المصدر**، ج٢، ص٣٣٢.

(٦٤٢) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٣٨.

الأمور ويتضح ذلك عندما أشار على المستنصر ووالدته بوزارة صدقة الفلاحي(٦٤٣) فاستوزره المستنصر(٦٤٤) ومن خلال ذلك يتضح تدخل التستري في اختيار بعض الوزراء وأن ترجيح رأيه من قبل الخليفة وأمه دلالة واضحة على مكانته في الدولة ومن جانب آخر نستدل به على أن أم المستنصر هي صاحبة الأمر والنهي في تعيين الوزراء(٦٤٥) وإقالتهم بعد مصادرتهم وقتلهم(٦٤٦) ونجد ذلك بوضوح فيما قامت به مع الوزير الفلاحي بعد أن استوزرته وحاول أن ينفرد بشؤون الإدارة دونها وسعى إلى تأليب الأتراك على عبيدها ورئيس ديوانها التستري والذي قتله الأتراك وسبب ذلك استوحشت أم الخليفة من الفلاحي بعد أن نجح في قتل التستري بواسطة جنود الأتراك وقام بتأليب الأتراك على جند السودان(٦٤٧) وهم من نفس جنس الملكة وعمدت أم الخليفة إلى زيادة رواتبهم وانتقاص عطاء الأتراك، وإن الخليفة المستنصر لم يستطع الظفر بقتلة التستري ليرضي أمه(٦٤٨) وان هذا الأمر لم يرضِ أم الخليفة لذلك حقدت عليه وما لبثت الملكة أن نجحت في قتل الفلاحي عندما أوعزت إلى ابنها الخليفة باستبعاده عن الوزارة إلى أن قبض عليه الخليفة وأودعه خزانة البنود ومن خلال ذلك يتضح أن خزانة البنود في عهد المستنصر استخدمت من قبل والدته سجناً خاصاً بالوزراء وأعداء الدولة وهذا يدل على شدة الصراع الداخلي بين الوزراء وتسلط والدة الخليفة عليهم، وتم قتل الفلاحي سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م وبموته تكون بداية أول حوادث الاغتيال للوزراء من تدبير أم المستنصر، في دلالة على سلطانها ونفوذها وأن الخليفة نفسه كان يسعى إلى إرضائها بالانتقام من قتلت التستري(٦٤٩).

وتولى الوزارة بعده أبو البركات الحسين بن عماد الدولة(٦٥٠) وما لبث أن اختلف مع سياسة أم المستنصر في إضعاف الأتراك فعزلته وولت رئيس ديوانها الجديد اليازوري(٦٥١) الذي

(٦٤٣) الفلاحي، هو الوزير الأجل تاج الرياسة فخر الملك مصطفي أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي، كان يهوديا واسلم، وكان موصوف بالبراعة في فنون الكتابة تولى الوزارة بعد وفاة الجرجرائي سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م أملي سجل بتقليده وخلع عليه، ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٣٧.

(٦٤٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٤٩.

(٦٤٥) العوفي، **العلاقات السياسية**، ص١٣٢.

(٦٤٦) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٣٥٥، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٩٥-٢٠٣.

(٦٤٧) العوفي، **العلاقات السياسية**، ص١٣٢.

(٦٤٨) علي، **نفوذ النساء**، ص٧٩.

(٦٤٩) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٠٢.

(٦٥٠) أبو البركات، سيد الوزراء ظهير الأئمة الخلصاء فخر الأمة أبو البركات الحسين بن عماد الدولة ولي الوزارة بعد الفلاحي في سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م وكثرة في أيامه الحبس والمصادرات وقبض عليه وصرف عن الوزارة سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م ، ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٣٩.

(٦٥١) اليازوري، الوزير الأجل سيد الوزراء قاضي القضاء وداعي الدعاة أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري كان أبوه من يازور من عمل الرملة، عمل بخدمة السيدة والدة المستنصر وتولي الوزارة= =والقضاء

نجح بقوة شخصيته في كسب ثقة أم المستنصر والحد من الصراع بين طوائف الجند[٦٥٢].

وكثر تعاقب الوزراء مما شكل بؤرة الصراع الإداري في الدولة إثر تحكم أم الخليفة في تعيينهم وعزلهم، ويظهر ذلك في محاباتها وارتفاع مكانة بعض الوزراء عندها، ونجد هذا بوضوح في المكانة التي حظي بها الوزير اليازوري لاتصاله بخدمة السيدة وحتى بلغ تقدير أم الخليفة له أن أصدرت الأوامر بأن لا يقوم اليازوري لأحد إذا دخل عليه مهما عظم قدره[٦٥٣] وتعددت مناصبه مما لم يجمع لأحد من قبله[٦٥٤] وعندما حضر بعض القواد ووثب لهم قائما فبلغ ذلك السيدة فقالت له لا تتحرك لأحد بالجملة[٦٥٥] وكان عندما يحضر إلى مجلس الخليفة ويتكلم فيما يجب أن يسأل الوزير عنه، وفي دلالة على محاباة السيدة له تخرج له رسولاً من وراء حجاب فيقول هو الصواب[٦٥٦] وهذه إشارة إلى أن اليازوري كان سياسة أم الخليفة يحكم باسمها مما جعل بعض رجال الدولة يكيدون له لإبعاده عن أم الخليفة وطلبوا من الخليفة أن يوليه القضاء في محاولة الهدف منها إبعاده عن خدمة أم الخليفة فإنه بهذا يقع في أمر كبير يشغله عن ملازمة السيدة، وتولى القضاء اليازوري ولكنه أدرك أن هذا الأمر مؤامرة لإبعاده عن خدمة السيدة، وأن هذا الأمر لم يغب عن فطنة السيدة أم الخليفة ولكنها رأت أن تعالج الأمر بحكمة وحنكة ولا تلغي قرار أبنها الخليفة، ومن جانب أخر رأت أن هنالك فائدة ترجى منه في إصلاح حال القضاء[٦٥٧] وحددت له يومان في الأسبوع ليفصل فيها على أحكام الناس وينوب عنه في خدمة ديوان والدة الخليفة ولداه، مما يدل على محاباة أم الخليفة لليازوري فوافقته على تولى القضاء، وأظهر سروره لذلك وقبل الأرض بين يدي السيدة وانصرف شاكراً[٦٥٨].

وأن تقبيل الأرض للسيدة يدل على تعظيمها من ناحية وتوسع نفوذها وسلطانها في الدولة من ناحية أخرى، وأن هذا التقبيل عرف لتعظيم مكانة الخلفاء.

وأن ثقة والدة الخليفة هي التي أكسبت اليازوري المكانة التي مكنته من جمع خدمة النظر في ديوان أم الخليفة[٦٥٩] والقضاء، وأشرك ولداه في خدمتها، وسهلت له الأمر حرصاً منها

وعظمت مكانة في الدولة، ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٥٠-٥٤، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٩٧، ص٢١٢-٢١٣، المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٢٣٩.

(٦٥٢) الصاوي، **مجاعات مصر**، ص٥١.

(٦٥٣) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٠٣.

(٦٥٤) **نفس المصدر**، ج٢، ص٣٣٢.

(٦٥٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٠٣، علي، **نفوذ النساء**، ص٨١.

(٦٥٦) نفس المصدر ج٢، ص٢٠٣.

(٦٥٧) ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ج٢، ص٢٠٦.

(٦٥٨) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٠٧، علي، **نفوذ نساء**، ص٨٢.

(٦٥٩) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢١٢.

علي تفويت الفرصة على أعدائه الذين سعوا لإبعاده عنها .

وبعد ذلك تواترت عدة أحداث أدت إلى قتل الوزير اليازوري[٦٦٠] فقد استنكرت السيدة أم الخليفة ما شيع من أن الخليفة أمر بقتله وكلمت الخليفة في ذلك الأمر[٦٦١].

والسؤال الذي يطرح لماذا تأخرت السيدة والدة الخليفة في العمل على إنقاذ اليازوري بالرغم مما كان يتمتع به من مكانة عندها وما أولته إياه من ثقة، كما أن اليازوري تفاني في خدمتها إلى أن نال رضاها؟.

ربما أن السيدة خشيت من تعاظم نفوذه[٦٦٢] أوأن يعمل على الحد من سلطتها إذا تدخلت لإنقاذه، وبوفاة اليازوري[٦٦٣] انتهت فترة الوزراء الأقوياء الذين كان لهم مكانة وبصمات واضحة في الدولة، وبعد وفاة اليازوري وظهر التدهور في سلطة الوزراء وعمت الفوضى في مصر[٦٦٤] وفسدت الأمور لافتقارها للإدارة الناجحة حيث لم تر الدولة إصلاحاً ولم يستقر لها وزير تحمد طريقته[٦٦٥] نتيجة لضعف الوزراء وتسلط أم الخليفة عليهم بالعزل والمصادرات والقتل حتى بلغ عددهم أكثر من خمسين وزيراً[٦٦٦] في وقت قصير في الفترة من سنة٤٥١-٤٦٥هـ/١٠٥٩-١٠٧٢م وكان يتم عزلهم بأمر من أم الخليفة ولابد من تساؤل آخر لماذا لا يتدخل الخليفة ليحد من استبداد والدته بشؤون الإدارة في الدولة ؟.

ويبدو أن السبب يعود لقوة شخصية والدة الخليفة المستنصر بحيث لم يستطع أن يحد من سلطانها وتمسكها بالتدخل في شؤون الدولة، وضعف شخصية الخليفة أمامها[٦٦٧].

أن أطماعها في الإدارة وحبها للسلطة، فإن المستنصر لم يستطع أن يمارس صلاحياته بسبب تحكم والدته والوزراء[٦٦٨] مثلما فعل جده الحاكم بأمر الله الذي حافظ بعض الشئ على سلطاته في الدولة رغم تدخل أخته ست الملك في شؤون البلاد، ويضاف إلى ذلك أن المستنصر لم يشارك وزراءه المسؤولية كما كان يفعل الخلفاء من قبله بل ترك هذه المهمة لأمه التي كانت تتحكم

---

(٦٦٠) الصاوي، مجاعات مصر، ص ٥٢.

(٦٦١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٤٢.

(٦٦٢) المناوي، **الوزارة والوزراء**، ص٧٤-٧٥.

(٦٦٣) العوفي **العلاقات السياسية**، ص١٨٥- ١٨٧.

(٦٦٤) الصنهاجي، **أخبار بني عبيد**، ص٧٢.

(٦٦٥) العزام، عيسي محمود، **الدولة الفاطمية في عهد الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧هـ/١٠٣٥م-٤٨٧هـ/١٠٩٤م)** رسالة دكتوارة غير منشورة الجامعة الأردنية ١٩٩٧م، ص١٦٢، وسيشار إليه لاحقا: العزام، **الدولة الفاطمية**.

(٦٦٦) ابن خلدون، **العبر**، ج٤، ص٧٥، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٠٦-١١٢، فؤاد، **الدولة الفاطمية**، ص١٢٩.

(٦٦٧) العوفي، **العلاقات السياسية**، ص١٣٢.

(٦٦٨) المناوي، **الوزارة والوزراء**، ص٧٤-٧٥.

في أمور الدولة، ويضاف إلى ذلك أن ظاهرة ضعف سلطة الخليفة أطلت برأسها منذ عهد الخليفة الظاهر لأنه كان عكس أبيه حيث كان ضعيف الشخصية مع رجال الدولة الذين تركزت في أيدهم سلطات إدارة البلاد مما أدي وإلى ظهور رجال الدولة الأقوياء اللذين كانوا يشاركون الخليفة في سلطاته، بينما أنهمك الخليفة الظاهر في لذاته حتى أشتهر بشغفه باللهو وحب الغناء[٦٦٩] ولذا أفضى تدهور سلطان الخليفة في عهد المستنصر إلى الشدة المستنصرية[٦٧٠] وهذا إلى جانب الصراعات التي نشأت بين طوائف الجند منذ عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[٦٧١] ويبدو أن توسع نفوذ والدة الخليفة والتي يتضح أن فترة نفوذها بدأت مع تولى ابنها الخلافة وكانت حجة تدخلها في إدارة الدولة صغر سن ابنها الخليفة[٦٧٢] وأن فترة تدخلها في الدولة مرت بمرحلتين وكلاهما كان له الأثر الواضح في تدهور أوضاع الدولة.

المرحلة الأولى: عندما ظهرت سلطتها ونفوذها على الوزراء بالتعيين والمصادرة والقتل ويكون أكثر دلالة على هذا كثرة الوزراء وتعاقبهم على الوزارة بأمر منها[٦٧٣].

والمرحلة الثانية: مرحلة تدخلها في شؤون الجند وأن هذا التدخل كان بمثابة الداء الذي ينخر في جسم الخلافة حيث أن انهيار الجيش يعني انهيار أمن الدولة ومركز قوتها بسبب انقسام فئات الجند التي كانت تضم إلى جانب المغاربة العرب، والأتراك والديلم والسودان[٦٧٤] بالإضافة إلى الأرمن حيث كان الصراع هو السمة الغالبة بين طوائف الجند، مما نتج عنه حدوث الفتنة[٦٧٥] التي أدت لحروب طويلة أفقرت اقتصاد الدولة، ونتجت عنها حدوث ما يعرف في التاريخ بالشدة العظمى أو(الشدة المستنصرية) والتي تعد أعظم كارثة حلت بالدولة الفاطمية في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ولم تكن اقتصادية فحسب، وإنما كانت شاملة اقتصادية واجتماعية وإدارية وسياسية وتمثلت في الفتن والغلاء والمجاعة والوباء، وحدثت في الفترة الواقعة بين عامي ٤٥٩هـ/١٠٦٦م–٤٦٥هـ/١٠٧٢م ولذلك ربطت الكثير من المصادر التاريخية أن سبب الشدة هي الصراعات بين طوائف الجند، لأن الصراع بينهم حدث في تلك الفترة[٦٧٦].

---

(٦٦٩) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٣٥٤.
(٦٧٠) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٢٣، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٤٢.
(٦٧١) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٢٢– ٢٣، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٦٢–٢٦٣.
(٦٧٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٠.
(٦٧٣) نفس المصدر، ج٢، ص١٠٧–١٠٨.
(٦٧٤) العوفي، **العلاقات السياسية**، ص١٣٢.
(٦٧٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٦٥.
(٦٧٦) العزام، **الدولة الفاطمية**، ص١٦١.

رغم مظاهر الغنى والاستقرار في النواحي الاقتصادية والاجتماعية في بداية عهد المستنصر وهو مايبدو بوصف الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار مصر بين سنتي (٤٣٨هـ/١٠٤٦م-٤٤٢هـ/١٠٥٠م) للنشاط الزراعي في مختلف المحاصيل المثمرة ودهش لما رأي من تنوع للخضر والفواكه حتى وصف أحوال الناس في مصر بأن "أهل مصر في غني عظيم"[٦٧٧] ولكن ما لبثت أن تعرضت الدولة إلى هزات عنيفة جراء سوء تدخل والدة الخليفة في شؤون الدولة وعدم استقرار أرائها في الموظفين والوزراء ولم يكن الخليفة على درجة من الحزم وقوة الشخصية ما يجعله قادراً على كبح جماح والدته والحد من سلطانها فاختلطت الأمور واختلت أحوال الدولة[٦٧٨] ومما كان له الأثر في انهيار الدولة وبجانب ذلك كانت الدولة تعاني من ضعف سلطة الخليفة حيال تدخل والدته وكذلك ضعفت سلطة الوزراء لكثرة عزلهم وتعاظم نفوذ الجند الأتراك وأمرائهم في الدولة.

ومن جانب أخر أخذت أم المستنصر تستكثر من شراء العبيد السود[٦٧٩] من بني جنسها حتى جعلتهم طائفة خاصة بها وزادت في أرزاقهم[٦٨٠] وبالمقابل كانت تنتقص من قيمة الأتراك وكانت لا تخفي كراهيتها لهم ويرجع سبب كراهية أم المستنصر إلى الأتراك إلى فترة وزارة التستري للفلاحي، ولم يدم الود بينهما فاستمال الفلاحي الأتراك وزاد في أرزاقهم حتى قتلوا التستري فغضبت لذلك أم المستنصر وأوعزت بقتله، ويتضح من خلال هذا أنه صراع على السلطة والنفوذ ومحاباة كل طرف بما يقوي جانبه من طوائف الجند في الدولة، وتوسعت في شراء العبيد وأكثرت منهم حتى بلغ عددهم نحو الخمسين ألفا مابين فارس وراجل قي القاهرة ونواحي مصر[٦٨١] وأخذوا يشكلون حرس الخليفة وأمه وصار العبد منهم يحكم حكم المولى وهذا ما كان من بداية للفتنة والخراب[٦٨٢].

وساءت الأحوال بين الجنود السودان والأتراك وتصاعدت الصراعات وسط فئات الجند وكانت لها أثار خطيرة على كيان الدولة، لم تقف أم المستنصر مكتوفة الأيدي اتجاه تعاظم نفوذ الأتراك وتراجع مكانة الجند السودان وأخذت تذكي نار الفتنة بينهم مما يدل على قلة خبرتها وعدم قدرتها على الإدارة الحكيمة وكانت تحث قواد السودان وتغريهم بالمال وأثمرت جهودها[٦٨٣] عن نشوب الفتنة بين الجند، وعندما اجتمعت قوات جند السودان على الأتراك بعد أن قامت السيدة

---

(٦٧٧) خسرو، **سفر نامة**، ص٣٥.

(٦٧٨) ابن ميسر، **المنتقي**، ص٥٨.

(٦٧٩) ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص١٧٣.

(٦٨٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٦٧.

(٦٨١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٧٣، ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص١٦٨.

(٦٨٢) ابن ميسر، **المنتقي**، ص١٣-١٤.

(٦٨٣) علي، **نفوذ النساء**، ص٨٨.

بمساعدتهم، ولم تكن غافلة عن تحركات الأتراك ثم أمرت مجموعة من السودان أن يقتحموا القصر على الأتراك المجتمعين لدى الخليفة ومباغتتهم على غفلة وأن يقتلوا جماعة منهم.

أن هذه الكراهية بين أفراد الجند أدت إلى اشتعال نار الفتنة التي من خلالها حلت الكوارث على الدولة وإن البداية الحقيقة لها كانت في بعض الروايات[٦٨٤] سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م يذكر أنه عندما خرج الخليفة بموكبه ليودع الحجاج تعثر أحد الأتراك عن فرسه فقام أحد الجند السودانيين فضربه وجرحه مما أدى إلى نشوب القتال بينهم[٦٨٥] ورواية أخري تقول كان من عادة الخليفة المستنصر في كل سنة أن يركب مع النساء والحشم للنزهة في موضع جب عميرة[٦٨٦] وجرد احد الأتراك سيفه في سكرة منه على بعض العبيد فاجتمع عليه طائفة منهم وقتلوه وأجتمع الأتراك إلى المستنصر وأنكر عليهم ذلك ثم اجتمع الأتراك على العبيد وقتلوا جماعة منهم وكانت أم المستنصر تزود العبيد بالأموال والسلاح[٦٨٧] فعرف الأتراك بالأمر ودخلوا علي المستنصر وأغلظوا له في القول وأخبر المستنصر والدته وأنكر عليها ذلك الأمر[٦٨٨].

كان لسوء سياسة أم المستنصر الأثر الأكبر في انحلال أمر الخلافة وذهاب هيبة الخليفة وسبباً أدى للكارثة التي حلت بالدولة، ربما أرادت الانفراد بالسلطة فأدركت أن هذا الأمر لأيتم لها إلا إذا عملت على الحد من نفوذ الأتراك وقادتهم في الدولة وهم أبرز عناصر الجند وأحد ركائز الجيش منذ نشأة الدولة الفاطمية، وكذلك لمحاباة الخليفة لهم[٦٨٩] ومن جانب اَخر ربما أرادت أم الخليفة أن تعادل كفة قواتها من العبيد مع كفة قوات الخليفة من الأتراك.

وبهذا نجد أن الخليفة وقع بين عقبتين هما والدته وطوائفها من العبيد، فرأى أنه لابد من التغلب على قواتها بهدف الحد من نفوذها، فتحالف مع الأتراك والمغاربة الذين استاؤوا من تعاظم نفوذ العبيد ومساندة أم المستنصر لهم، ولكن أم الخليفة تحالفت بجانب العبيد مع قبيلة لواتة المغربية[٦٩٠] وبذلك أنقسم الجيش إلى قسمين كلاهما يريد أن ينتصر على الأخر وهما الأتراك

---

(٦٨٤) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٣٩٨، ابن ميسر، **المنتقي**، ص٢٤، المقريزي، **اتعاظ الحنفا** ج٢، ص٢٦٥، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص١٩.

(٦٨٥) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٣٩٨.

(٦٨٦) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ض١٦٣-١٦٤، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٦٥.

(٦٨٧) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٦٧.

(٦٨٨) ابن ميسر، **المنتقي**، ص١٤٣، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٦٦.

(٦٨٩) علي، **نفوذ النساء**، ص٨٨، العزام، **الدولة الفاطمية**، ص١٦٧.

(٦٩٠) العزام، **الدولة الفاطمية**، ص١٦٩.

بزعامة ناصر الدولة بن حمدان[٦٩١] والعبيد واستحكم العداء بينهما[٦٩٢] وصارت الحروب بينهم مستمرة إلى أن اندلعت الفتنة سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م التي قادت الدولة إلى أزمات اقتصادية وسياسية تركت أثرها السيئ على أوضاع الدولة لاسيما المالية والإدارية، ووقعت الحرب الجنود من الأتراك والعبيد في موضع يعرف بكوم شريك[٦٩٣] وأسفرت عن هزيمة العبيد وحلفائهم وقتل عدد كبير منهم، ولعل انتصار الأتراك والمغاربة يعود والى أنهم كانوا أكثر تدريباً وتسليحاً من العبيد، فانهزموا إلى الصعيد المصري في منطقة دمنهور[٦٩٤] ومن ثم عملت السيدة على أمدادهم بالأموال والسلاح[٦٩٥] لاستعادة قوتهم حتى انتصروا على الأتراك في المعركة الثانية واتهم الأتراك الخليفة المستنصر بمساندة العبيد وأغلظوا في مخاطبته[٦٩٦] وضغطوا عليه حتى أجبروه أن يمدهم بالأموال عوضاً عما نهبه العبيد منهم وتجهز الأتراك لحرب العبيد إلى أن تمكنوا منهم فاهزموهم وقتلوا الكثير منهم ولم يبقَ منهم لا القليل[٦٩٧].

أدت هذه الحروب إلى استنزاف أموالاً طائلة زادت من نفقات الدولة[٦٩٨] حتى بلغت ثلاثين ألف ألف دينار[٦٩٩] وتعاظم نفوذ الأتراك وسطوتهم بعد هزيمة جند السودان بقيادة ناصر الدولة، فسطوا على ثروة أم الخليفة التي كانت تملك ثروات ضخمة، ومما ورد أن ميخائيل ملك الروم أهدى السيدة والدة المستنصر هدايا قيمة[٧٠٠] وقبض عليها ناصر الدولة واستصفى أموالها ولم يفك أسرها إلا بعد دفع فدية مالية[٧٠١] وقد أخرج الأتراك من خزائنها أربعة آلاف دينار فرقت على الجند وأخذوا من خزائنها أدوات فضية قيمتها ثلاثة آلاف درهم، وتدهورت سلطتها وعوقبت بشتى

---

(٦٩١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٧٣. ناصر الدولة، هو الحسن بن الحسين بن حمدان أبو محمد التغلبي الأمير ناصر الدولة ذو المجدين وهو من أسرة الحمدانين التي قضي الفاطميين على ملكهم في حلب وعاد إلى مصر في سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، وحكم ريف مصر، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص٢٠، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٩.

(٦٩٢) العزام، **الدولة الفاطمية**، ص١٦٩.

(٦٩٣) كوم شريك، هي موضع قرب الاسكندرية، الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص ٤٩١.

(٦٩٤) دمنهور، بلدة بينها وبين الاسنكدرية يوم واحد في طريق مصر متوسطة الحجم في الصغر والكبر، ياقوت **معجم البلدان**، ج٢، ص٥٣٦.

(٦٩٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٦٧.

(٦٩٦) ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص١٦٦.

(٦٩٧) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٧٦.

(٦٩٨) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٥٨.

(٦٩٩) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٧٥.

(٧٠٠) ابن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص٨١، للمزيد، انظر الفصل الخاص بثروات نساء الخاصة.

(٧٠١) ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص ١٧٨.

العقوبات ولم تجد أمامها إلا الفرار إلى بغداد، ويقال إلى بلاد الشام وهو أقرب للصواب لوجود عداوة بين الخلفاء العباسيين في بغداد والفاطميين في مصر لذا يستبعد هروبها إلى بغداد(٧٠٢) ولم تقم لها قائمة بعد ذلك وكانت نهايتها سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م .

بعد ذلك طمع الأتراك في الخليفة بعد أن تناقصت حرمته وقلت مهابته مما أدى إلى تسلط أمراء الأتراك عليه وأخذوا في مطالبته بالأموال(٧٠٣) وحلت بالدولة كارثة الشدة العظمي التي انعكست مظاهرها وأثارها على مجمل الأوضاع فانعدم الأمن والنظام وكثر الوباء والموت(٧٠٤) ولم تجد الأرض من يزرعها من كثرة الوفيات وخربت أعمال الدولة(٧٠٥) وفي هذه الفترة لا توجد إشارة إلى عدم وفاء النيل، وإنما كان اختلاف الكلمة والفتنة بين طوائف الجند، وكان النيل يطلع وينزل فلا يوجد من يزرع الأراضي(٧٠٦) مما يدل على وفاء النيل وأنه لم يكن السبب المباشر في الغلاء وإنما انشغال الناس بالفتن والحروب بحيث أهملوا الزراعة، ويشير إلى ذلك المقريزي"عدم من يزرع ما شمله الري"(٧٠٧) ومعنى ذلك أن النيل لم يكن من العوامل التي أدت إلى قيام الشدة العظمي بل أن الحروب الداخلية بين طوائف الجند مما اضطر بالفلاحين لعدم زراعة الأرض(٧٠٨) ويتضح من خلال ذلك أن الشدة لم تكن ناتجة عن قصور النيل في تلك الفترة النيل لم يقل عن خمسة عشر ذراعاً في عصر المستنصر باستثناء مرتين عام ٤٤٦هـ-١٠٥٣/٤٦٠هـ-١٠٦٧م وتعدى النيل خلالها خمسة عشر ذراعاً(٧٠٩) علماً بان الحد الأدنى المطلوب للزراعة يكون فوق أربعة عشر ذراعاً، وسنة الخصب تبدأ من ستة عشر ذراعا فإذا بلغ ستة عشر ذراعاً فقد وجب الخراج(٧١٠) وأثرت الحروب على الناس مما أدى إلى عجز الفلاحين عن زراعة الأرض وامتنعوا عن الحركة والنشاط وجاء النيل ووفى فلم يقدروا على الزراعة واشتد الحال بهم فتفاقم البلاء وعظم الجوع وفشا الموت فكان يموت الواحد من أهل البيت في القاهرة أو مصر فلا يمضي يوم أو ليلة حتى يموت سائر من في ذلك البيت حتى عجز الناس عن مواراة الأموات(٧١١).

---

(٧٠٢) ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص ١٥٨، علي، **نفوذ النساء**، ص٩٥.

(٧٠٣) العزام، **الدولة الفاطمية**، ص١٦٩، علي، **نفوذ النساء**، ص٩٠.

(٧٠٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٧٠٥) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٦.

(٧٠٦) ابن ميسر، **المنتقي**، ص٥٨، النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٨، ص٢٣٤.

(٧٠٧) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٢٣.

(٧٠٨) سعد، **تاريخ مصر الاجتماعي**، ص٢٦٤.

(٧٠٩) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٢٣.

(٧١٠) ابن مماتي، **قوانين**، ص ٧٦.

(٧١١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٣٠٣.

ولما كان الخليفة المستنصر عاجزاً عن قمع ثورات الجند بسبب ضعف وزراؤه ولذلك التجأ المستنصر إلى بدر الجمالي سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م يستدعيه من الشام[٧١٢] لينقذ عرش خلافته وبقايا دولته المتهالكة فأجاب بدر الجمالي دعوة الخليفة، ومنذ أن تولى بدر الجمالي الوزارة دخلت الدولة تحت سيطرة نفوذ الوزراء حيث فوض إليه الخليفة المستنصر جميع سلطاته[٧١٣] ومنحه إشرافاً عاماً على شؤون الدولة[٧١٤] بذلك بدا عصر جديد في تاريخ الدولة الفاطمية في مصر عصر تحكم فيه الوزراء أرباب السيوف وأصبحوا هم الحكام الفعليين للدولة[٧١٥] وتحول منصب الوزارة من منصب وقتي إلى منصب وراثي[٧١٦] وأصبح بدر الجمالي أول قائد عسكري يوليه الفاطميون الوزارة[٧١٧] حيث تحولت الوزارة إلى سلطة استبدادية[٧١٨] وكان المستنصر مع بدر الجمالي محجوراً عليه فلم يبقي له من الأمر إلا القيام برسوم الدولة والركوب في العيدين مثلما كان مع أمه[٧١٩] لأن في فترة خلافته الأولي سيطرت عليه أمه ووزراؤها[٧٢٠].

وأنعكست آثار الشدة العظمى والغلاء سلبياً على المجتمع وعلى فئات النساء خاصة ربما لأنهن أكثر من تضررن من جراء الجوع والوباء، وكذلك انعكست آثار الشدة على البلاد في النواحي الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية وخلت خزائن الدولة من الأموال[٧٢١] وضعف الجيش من كثرة الصراع بين طوائفه[٧٢٢] حتى أن الدولة بدأت تفقد نفوذها في الكثير من المناطق في أفريقية وبلاد الشام[٧٢٣] ولم تستطيع الخلافة أن تحرك ساكناً لانشغالها بالفتن الداخلية والغلاء[٧٢٤].

---

(٧١٢) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٥٥ – ٥٦، لويس، وزراء، **النصرانية**، ص١٤٠.

(٧١٣) ماجد، **نظم الفاطميين**، ج١، ص٨٣.

(٧١٤) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص٤٣.

(٧١٥) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص٣٩.

(٧١٦) بعد بدر الجمالي تولى الوزارة ابنه الأفضل، ثم أبو علي الأفضل، الصالح طلائع، ابن طلائع مجد الإسلام، شاور، ابنة الكامل، انظر ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص٤٠، حول وزارة بدر وأبنائه انظر، لويس، **وزراء النصرانية**، ١١٨، ١٤٠.

(٧١٧) ابن ميسر، **المنتقي**، ص٣٩-٤٠، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٢، ص٤٤٩، المقريزي، **المواعظ الاعتبار**، ج١، ص٤٤٠، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٣١١-٣١٤.

(٧١٨) ماجد، **نظم الفاطميين**، ج١، ص٨١.

(٧١٩) ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ص١٣٦، ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص١٩١.

(٧٢٠) ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص١٩٣.

(٧٢١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٧١ -١٧٩. النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٨، ص٢٢٦.

(٧٢٢) العوفي، **العلاقات السياسية**، ص١٣٢.

(٧٢٣) ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص٧٠.

(٧٢٤) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٣٨٤، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص٢٠.

ونخلص إلى أن بعض من النساء الفاطميات كان لهن دور فعال في أدارة الدولة الفاطمية وفي العصر الفاطمي الأول الذي تميز باستبداد الخلفاء بالسلطة ولكن رغم ذلك نجد بعض النساء تدخلن في هذه الفترة ومنهن ست الملك وأم الخليفة المستنصر، وإذا قمنا بمقارنة بين دور ست الملك السياسي الإداري في الدولة والسيدة رصد أم الخليفة المستنصر، خصوصاً أن الدراسات التي تناولت المرأة في العصر الفاطمي لم تقم بأجراء أي مقارنه بين دور كلاً من السيدتين وعلى ما يبدو أن هذه المقارنة لها أهميتها من حيث أنها تكشف الجوانب السلبية والايجابية لمشاركة المرأة في إدارة الدولة ومدى فعاليتها في إدارة مؤسساتها[٧٢٥].

فنجد أن ست الملك تميزت بالحكمة والحنكة الإدارية لأنها كانت ذات عقل ورأي صحيح[٧٢٦] لذا قامت بدور مهم في نهاية خلافة شقيقها الحاكم التي كانت تقدم له الكثير من النصح والإرشاد[٧٢٧] لأن سياسته أتسمت بالكثير من المتناقضات التي أدت إلى استياء الناس منه، مما دفع ست الملك إلى إنقاذ الدولة والمساهمة في إعادة هيبة الخلافة وتوازنها[٧٢٨] وأخذت البيعة إلى ابنه الظاهر وأرست له دعائم السلطة وبمشاركة رجال الدولة ونجد أن معاملة ست الملك لرجال الدولة لم تتسم بالمحاباة والتميز بينهم لذا تعاونوا معها في المحافظة على قوة الدولة وإعادة توازنها وذلك عندما قامت بتدبير الأمور بالتعاون مع بعض رجالها المحنكين حيث استندت إليهم في ترتيب أمور الإدارة ومنهم أمين الدولة الحسن بن عمار[٧٢٩] والأستاذ برجوان[٧٣٠] وقائد القواد الحسين بن جوهر[٧٣١] استطاعت بهم أن تعيد إلى دولة إبائها هيبتها وقوتها وأن تصلح ما أفسده

---

[٧٢٥] عبد الكريم، **المرأة في مصر**، ص١٩٥-٢٠٧.

[٧٢٦] الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٣٠٠. ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٨، ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٩٨. النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٨، ص٢٠٥.

[٧٢٧] ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٧٨-١٨٩، المقريزي، **اتعاظ الحنفا** ج٢، ص١٠٧.

[٧٢٨] المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٥، ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٨٥، ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٢٢، ص١٠، السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢، ص٥٢٢، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص١٢٩.

[٧٢٩] أمين الدولة أبو محمد الحسن بن عمار بن أبي الحسين، في سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، رد إليه الخليفة الحاكم تدبير الأمور لقبه بأمين الدولة، ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٢٦.

[٧٣٠] الأستاذ برجوان نظر في الأمور في الدولة سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م واستمر والى أن قتل في القصر سنة ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م، ابن الصيرفي، الإشارة، ص٢٦-٣٣.

[٧٣١] قائد القواد الحسين بن القائد جوهر والرئيس أبو العلاء فهد بن إبراهيم، رد لهم أمور الدولة بعد قتل برجوان وخلع عليهما وزال أمر أبو العلاء سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م حيث قتل واحرق وقام قائد القواد بتدبير الأمر ثم خاف وهرب ثم عاد وقتل، ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص ٢٨، وللمزيد عن من تولى الإدارة في عهد الخليفة الحاكم انظر، ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٢٦-٣٣، ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٤٣-٤٤، النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٨، ص١٧٤-١٧٥، الدوداري، **لكنز الدرر**، ج٦، ص٢٥٦ وما يليها.

الحاكم وأحسنت السيرة في أهل مصر إلى أن توفيت سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م[٧٣٢].

وأما السيدة رصد أم الخليفة المستنصر والتي دفعها صغر سن ابنها المستنصر إلى التدخل في شئون الدولة وكذلك دفعها حبها للسلطة الذي أوقعها في صراع مع بعض الوزراء الذين تعارضت مصالحهم معها، ومن خلال ذلك تتضح علاقة أم المستنصر مع رجال الدولة وتصادم المصالح بينهما مما يدل على أن كلا الطرفين يسعى إلى بسط نفوذه على الآخر، عكس علاقة ست الملك مع رجال الدولة اللذين تعاونوا معها على استعادة الأمن والاستقرار.

ونجد أن أم المستنصر كثر صراعها مع الوزراء حيث سعى الوزير الفلاحي إلى التفرد بشؤون الدولة دون أم المستنصر وعمل على قتل رئيس ديوانها التستري[٧٣٣] وقعت تحت نفوذ اليازوري وولته ديوانها الخاص وكان داهية ووجد أن خير ما يقربه إلى أهدافه الاتصال بالوسطاء الذين كانوا على صلة بأم المستنصر وفي سبيل ذلك أستخدم الرشوة بأن أهدى لكبار رجال الدولة أحمالاً من التفاح، وفي سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م عمل اليازوري في ديوان السيدة وكان يطمح في الوزارة وجمع بين سلطة الوزارة والقضاء[٧٣٤] أن سياسة أم المستنصر أوقعت الدولة في الفتن التي أدت إلى كارثة الشدة العظمي التي لم يشهد مثلها التاريخ الإسلامي في مصر و نستطيع أن نطلق على وتدخلها لم يكن ايجابياً على الدولة مؤسساتها أو على الخلافة لأنها لم تكن صاحبة سياسة وإدارة محنكة كست الملك التي أتسم دورها بالايجابية حيال الدولة وشؤونها.

بذلك ويمكن أن نشير إلى أن تدخل ست الملك في إدارة الدولة انصب في مصلحتها بل أسهم في إنقاذ الدولة من الضياع بالمحافظة على استقرارها وقوتها وحال دون وقوع الفتنة التي كانت ربما سوف تحدث إذا ثارت العامة وقتلت الحاكم، وهذا ما يدل على رجاحة عقلها وبعد نظرها للأمور[٧٣٥] واستمر دورها الريادي في الإدارة إلى أن أرست الدعائم الأولى لولى العهد الجديد الخليفة الظاهر، وذلك ربما يكون لنشأة ست الملك أثر على رجاحة عقلها وحنكتها الإدارية حيث تدربت على التدخل في شؤون الدولة منذ عهد والدها العزيز والذي كان يأخذ مشورتها في بعض الأمور[٧٣٦] مما كون لديها حصيلة ومقدرة على الإدارة والحكم لذلك حافظت على الدولة من الطامعين ولأنها وصفت بالعقل والحزم[٧٣٧].

---

(٧٣٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٨٣.

(٧٣٣) الصاوي، **مجاعات مصر**، ص٥١.

(٧٣٤) ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ص١٣٦، ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص١٩٣.

(٧٣٥) الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٣٠٠. ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٨، ابن تغرى بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٩٨ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٨، ص٢٠٥.

(٧٣٦) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٥٨.

(٧٣٧) ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص٢١.

أما وصاية أم المستنصر على ابنها فتحولت إلى رغبة جامحة للسيطرة على الحكم(٧٣٨) والتي كان يبدو من خلالها حبها السلطة والظهور وهذا ما يدل على عدم حنكتها الإدارية والسياسية ويتضح هذا بما أضفت علي نفسها من مظاهر العظمة الأبهة، علمت على الانفراد بالسلطة دون ابنها الخليفة (٧٣٩) وكانت استمرارية الموظفين تتوقف على رأيها(٧٤٠) وان الجانب الأكثر خطورة في تدخل أم المستنصر تمثل في تدخلها في الجند (٧٤١) مما كان له الأثر الأكبر في زرع بذور الفتنة بين طوائف الجند وسبباً مباشراً للكارثة التي حلت بالدولة وعجز الخليفة عن التصدي للفتنة وذلك لعدم قدرته على الوقوف أمام تسلط والدته، مما إلى نشوب الحروب بينهم بل كانت تمد العبيد بالمال والسلاح(٧٤٢) وربما خشيت من ضياع نفوذها ولذا لجأت إلى تعزيزه بواسطة الإكثار من العبيد من بني جنسها مما أدى إلى فتنة هوجاء بين الجنود كلفت الدولة الكثير من النفقات(٧٤٣) ثم أخذ الخليفة يدعم الأتراك كذلك بالمال والسلاح مما أدى إلى تردي الاقتصاد(٧٤٤) وأهمل الناس الزراعة لانشغالهم بالحرب وارتفعت الأسعار(٧٤٥) وعم الفساد في الدولة(٧٤٦) وأنعدم الأمن والنظام وكثر الوباء والموت وخربت أعمال الدولة(٧٤٧).

---

(٧٣٨) **نفس المرجع**، ص٢٠.

(٧٣٩) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٠٣، ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٥٠-٥٧.

(٧٤٠) **نفس المصدر**، ج٢، ص ٢٠٧، علي، **نفوذ نساء**، ص٨٢.

(٧٤١) ابن ميسر، **المنتقي**، ص٣٢، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٦٦-٢٧٣.

(٧٤٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٦٧.

(٧٤٣) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٥٨.

(٧٤٤) البراوي، راشد، **حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين**، مكتبة النهضة المصرية، ط١٩٤٨م، ص٩٠، وسيشار إليه لاحقاً البراوي، حالة مصر الاقتصادية، فؤاد، **الدولة الفاطمية**، ص١٣٤.

(٧٤٥) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٥٨.

(٧٤٦) الدوداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص٣٦٩.

(٧٤٧) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص٣٦.

المبحث الثاني: دورها خلال عصر ضعف الخلفاء ونفوذ الوزراء:

لعبت بعض نساء القصر في العصر الفاطمي الثاني دوراً سياسياً وإدارياً كان مؤثراً على مسار الأحداث، وكان لهن نصيب كبير في تغير بعض الظروف سياسياً واجتماعياً في الدولة، عن طريق تدبير المؤامرات للتخلص من الوزراء واغتيالهم وذلك بالاعتماد على أشخاص آخرين أقوى منهم .

ولذلك كان دورهن مختلفاً ضمن الظروف التي كانت تعيشها الدولة عن دور ست الملك وأم المستنصر اللائي كان لهن دور كبير مؤثر لأنهن تمتعن بنصيب وافر من النفوذ، ولكن نساء العصر الفاطمي الثاني كان يسيطر عليهنَّ الوزراء وذلك لصغر سن الخلفاء وضعفهم ولم يكن لهن من السلطة والنفوذ من يمكنهن من القيام بالكثير من الأعمال التي تحتاج إلى بعض السلطة لتنفيذها ولذلك كن كل ما يستطعن القيام به هو تدبير المؤامرات لاغتيال الوزراء للتخلص من سطوتهم على الخلفاء الصغار والدفاع عن الخلافة وإبقاء ولاية العهد في أبنائهن[٧٤٨] ومنهن من انحصر دورها في المحافظة على ولاية العهد في أبنائهن مخافة ضياع الخلافة منهن، كعادة النساء الفاطميات منذ عهد ولاية الظاهر والتي عملت ست الملك أخذ البيعة له[٧٤٩] عندما استبعدت ابن عمها عبد الرحيم ابن الياس الذي عهد إليه الخليفة الحاكم بولاية العهد[٧٥٠] وفي جانب أخر نجد أن تولية المستعلي للخلافة كانت تمثل انقلاباً سياسياً قام به الأفضل الجمالي[٧٥١] والذي كان له دور كبير في هذا الأمر كما جاء في بعض المصادر ويمكن أن نستدل على ذلك بما ورد عند المقريزي مما يوضح دور الأفضل في تولية المستعلي بدل نزار"ويقال إن المستنصر أشار بولاية العهد لنزار لأنه أكبر أولاده ويعتبر أحق بالخلافة من أخيه الصغير، فلما قربت وفاة والده أراد أن يأخذ له البيعة من رجال الدولة لأن الأفضل تقاعس عن ذلك إلى أن توفي المستنصر[٧٥٢] لعداوة بينه وبين نزار وذلك لعدة أمور منها أن نزار خرج ذات يوم من أحد أبواب القصر فوجد الأفضل قد دخل من أبواب القصر وهو راكب، فصاح به نزار"انزل يا أرمني يا نجس" فحقد عليه الأفضل

---

(٧٤٨) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٨٦–٨٧.

(٧٤٩) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص١١٠، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٢٤، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص٢٤٧.

(٧٥٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ١١٦، ابن تغري، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٩٤، الشيال، **الوثائق الفاطمية**، ص٥٧-٦٠.

(٧٥١) الأفضل، السيد الأجل أبو القاسم شاهنشاه ابن السيد الأجل أمير الجيوش بدر المستنصري، انتقل إليه النظر في الأحوال بعد أن اشتد المرض على والده سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م. وللمزيد انظر: ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٥٧- ٥٩، لويس، **وزراء النصرانية**، ص١١٨.

(٧٥٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١١.

وأظهر الكراهية له، ويقال أن الأفضل كان يغار من نزار في أمور في حياة أبيه بدر الجمالي ويرد شفاعته ويضع من قدره، ولا يرفع رأسا لأحد من غلمانه وحواشيه بل يحتقرهم ويقصدهم بالأذى والضرر، فلما عزم المستنصر على أخذ البيعة لنزار اجتمع الأفضل بالأمراء خوفهم من نزار وحذرهم من مبايعته وأشار عليهم بولاية المستعلي فإنه صغير لا يخاف منه يؤمن جانبه فرضوا بذلك"[٧٥٣].

وعندما توفي المستنصر بادر الأفضل إلى القصر سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وأجلس أحمد ابن المستنصر ولقبه بالمستعلي[٧٥٤] وحتى تكتمل الصورة لابد أن نقف على بعض الأدلة التي تشير إلى أن الخليفة المستنصر نفسه أشار بولاية العهد للمستعلي دون نزار ونستدل على ذلك بعدة أدلة منذ ولادة المستعلي عندما بشر المستنصر بميلاده وعندما جاء الخاصة للتهنئة بميلاده: فقال لهم قولوا "لنهنئك بالإمام"[٧٥٥] ولم يذكر ذلك مع أحد من أولاده وكذلك نجد أنه عندما زوج المستعلي من ابنة أمير الجيوش بدر الجمالي أجلس المستعلي على يمينه وسائر أخوته على يساره ونعته بولي العهد ولم ينعت ولديه الآخرين "عبد الله ونزار"[٧٥٦] وحينها قال نزار "ما يئست من الخلافة إلا في يومي هذا فإن مولانا المستنصر نعت أخي أحمد بولى العهد وأجلسه على يمينه وأقعدني وسائر أولاده على يساره"[٧٥٧] وكذلك هنالك دليل يشير إلى أن المستعلي كان على علم بان والده المستنصر قد عهد إليه بالخلافة من بعده وذلك من خلال نص الرسالتين التين أرسلهما المستعلي وأمه إلى ملكة اليمن السيدة الحرة يشرحان فيها تلميح الخليفة المستنصر بالإمامة إلى المستعلي الابن الأصغر دون نزار الابن الأكبر[٧٥٨] وهنالك دليل يعضد ذلك يرد عند المقريزي في رواية أخرى تدل على أحقية المستعلي في الخلافة من والده المستنصر، حيث سير أولاده[٧٥٩] إلى بعض الولايات ماعدا المستعلي لم يسمح بخروجه من القصر لما أهله له من الخلافة وذلك بما ذكرته السيدة ابنة الإمام شقيقة المستنصر في صحة إمامة المستعلي[٧٦٠] مما يظهر دور نساء العصر الفاطمي الثاني اللائي كن يدافعن عن إثبات ولاية العهد.

---

(٧٥٣) الشيال، **الوثائق الفاطمية**، ص٤٩.

(٧٥٤) وللمزيد انظر: الصنهاجي، **ملوك بني عبيد**، ص٧٢-٧٣، ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٦٠. المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٤٠، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١١.

(٧٥٥) الشيال، **الوثائق الفاطمية**، ص ٥٣.

(٧٥٦) **نفس المرجع**، ص٥٣.

(٧٥٧) **نفس المرجع** ، ص ٥٣.

(٧٥٨) ماجد، **نظم الفاطميين**، ج١، ص٥٨.

(٧٥٩) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٨٤.

(٧٦٠) نفس المصدر، ج٣، ص٨٥.

ولما توفي المستنصر حضر الأفضل ومعه الداعي وأمراء الأجناد ثم قال: يا مولاتنا من ارتضاه للخلافة ، فقالت هي أمانة قد عاهدني عليها وأوصاني أن الخليفة من بعده ولده أبو القاسم(٧٦١) ومن خلال ذلك نجد أن المستنصر أشهد شقيقته على بيعته للمستعلي ربما لمكانتها عنده أو لأنها شقيقته الوحيدة من أمه السودانية ونجد أن دورها ظهر بوضوح نهاية خلافة المستنصر وكانت لها مراسلاتها الخاصة التي تدل على أنها كانت ذات شخصية قوية وتوقيعها مشابه لتوقيع أم المستنصر "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ولي كل نعمة، من السيدة أخت الإمام عليه السلام" (٧٦٢) قد يكون هذا التوقيع ورثته عن أمها وهذا ما يؤكد أنها أخت المستنصر من أمه السودانية، ومن خلال ذلك نجد أن النساء لعبن دوراً مهماً في أثبات أحقية المستعلي في الخلافة وربما تفادياً للخصومات بين الإخوة وحقيقة أحقية المستعلي في الخلافة وهذا ما تؤكده بعض الوقائع التي من خلالها أثبتت أحقية المستعلي دون إخوته في الخلافة، ولما جاء أولاد المستنصر وشاهدوا أخاهم الأصغر قد جلس على تخت الخلافة حيث أمرهم الأفضل بتقبيل الأرض وقال لهم تقدموا إلى مولاكم المستعلي فهو الذي نص عليه المستنصر وبالرغم من أن النص هو من الشروط الهامة لصحة الإمامة عند الشيعة الإسماعيلية ويشترط في النص أن يكون من الإمام عند موته(٧٦٣) وامتنع نزار عن مبايعة المستعلي، ومما نتج عنه انقسام الشيعة الإسماعيلية إلى فرقتين المستعلية والنزارية(٧٦٤) وبالطبع هذا الأمر أدى إلى توسع الخلاف حيث كانت الفرقة النزارية تعمل على التشكيك في صحة إمامة المستعلي.

وتظهر بوضوح شخصية المرأة الفاطمية القوية في الدور الذي لعبته أخت نزار في إثبات أحقية المستعلي في الخلافة، والتي كانت تقيم في قاعة بجانب الإيوان من القصر ولما علمت اختلاف الإخوة على ولاية العهد وقال الآمر كشفت ما لا يقدر أحد على فعله(٧٦٥) وأما القصر فما لي حلية وأن أخت نزار وأولادها لا يمكنني كشف أمرهم فبلغ ذلك أخت نزار وجاءت لتشهد على

---

(٧٦١) أبو القاسم أحمد بن المستنصر أبي تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن ابن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور ولد سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م وبويع للخلافة سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م بعد وفاة المستنصر. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١١، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة** ج٥، ص١٤٢، المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٤٠.

(٧٦٢) السجلات المستنصرية، سجل رقم ٢٨، ص٩٦. انظر المحلق ص١٩٠.

(٧٦٣) الشيال، **الوثائق الفاطمية**، ص٤٨.

(٧٦٤) البطائحي، **نصوص من أخبار مصر**، ص٣٩-٤٠، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١١-١٢ وما يليها، النزارية نسبة إلى نزار الابن الأكبر للمستنصر الذي كان أحق بالإمامة وفقاً للعقيدة الإسماعيلية. وللمزيد انظر: ابن المأمون، ص٣٩، الشيال، **الوثائق الفاطمية**، ص٤٧.

(٧٦٥) الشيال، **الوثائق الفاطمية**، ص٤٨.

بيعة المستعلي ولتبري نفسها[٧٦٦] ووقفت بإزاء الستر أي أنها كانت مستترة فعرفت بها وبإخوتها وبني عمها وقالت "أشهدوا يا جماعة الحاضرين وبلغوا عني جماعة المسلمين بأن أخي وشقيقي نزار لم يكن له إمامة وإنني بريئة من إمامته[٧٦٧] وذلك لما علمته من والدي وسمعته من والدتي وكان ذلك لما أراد المستنصر أن يخبرها بولاية عهده وهي الجهة المعظمة[٧٦٨] فأستحسن الآمر ذلك منها، ونجد أن أخت نزار شهدت على أحقية المستعلي في الخلافة وذلك لما عرفت وسمعت من والدها والجهة المعظمة وهذا يدل على أن نساء العصر الفاطمي الثاني كن يتمعن بقوة الشخصية خشية من ضياع الخلافة وخصوصاً تميزت هذه الفترة بتسلط الوزراء وكان الخلفاء صغاراً في السن، وضعفهم أوقعهم تحت سيطرة الوزراء.

وكانت كل هذه الأحداث تدل على صحة خلافة المستعلي[٧٦٩] وليس كما شاع في الكثير من المصادر بأن الأفضل هو من حول أمر البيعة للمستعلي لأنه زوج أخته، وإنما المستنصر حسب الوقائع عهد بالخلافة للمستعلي وان أخت نزار من أشارت إلى ذلك عندما أسرَّ لها[٧٧٠] بولاية العهد للمستعلي ومن ثم خرج نزار إلى ناصر الدولة أفتكين بالإسكندرية لمساعدته لطلب الإمامة وادعاء حقه فيها[٧٧١] وفي هذا الجانب لابد أن نورد بعض الأدلة التي أستند عليها النزارية في أثبات أحقية نزار في الخلافة بأن المستنصر دعا نزار بولى عهد المسلمين[٧٧٢] ولكن هذا الدليل فند مقارنة بما حدث مع عبد الرحيم بن إلياس عندما عهد إليه الحاكم بولاية العهد ونعت بولى عهد المسلمين وبالرغم من ذلك لم يتولَّ الخلافة[٧٧٣] كل ذلك يشير أن المرأة الفاطمية كانت تحرص دائما على إبقاء الإمامة في مستحقيها وتقف ضد المتربصين خشية على ضياع هيبة الدولة، وخير مثال على ذلك ما قامت به ست الملك عند قتل الخليفة الحاكم عندما رتبت رسلاً يمضون عنها واليه[٧٧٤] دلالة على حنكتها الإدارية.

---

(٧٦٦) ابن ميسر، **المنتقي**، ص ٩٨.

(٧٦٧) **نفس المصدر**، ص ١٠٠.

(٧٦٨) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٨٦.

(٧٦٩) ماجد، **نظم الفاطميين**، ج١، ص٥٨.

(٧٧٠) ابن ميسر، **المنتقي**، ص٩٩- ١٠١، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٨٦.

(٧٧١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٨٧.

(٧٧٢) الشيال، **الوثائق الفاطمية**، ص٥٧.

(٧٧٣) **نفس المرجع**، ص٥٧، وللمزيد عن ولاية الحاكم لابن إلياس. انظر: **نفس المرجع**، ص٥٧-٦١.

(٧٧٤) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٨٩، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٦٦.

وكذلك لعبت أخت الخليفة الظافر(٧٧٥) الذي بويع بالخلافة بوصية من أبيه دوراً مهماً في الوقوف أمام سلطة الوزراء ويتضح هذا الدور في وزارة ابن مصال(٧٧٦) وكان الظافر يميل إليه فأخذ ينفرد بالحكم ويسيطر على مقاليد الأمور في الدولة وأصبح يتصرف وفق ما يشتهي(٧٧٧) وضاقت منه نساء القصر وللتخلص منه لجأت نساء القصر إلى الاستعانة بابن السلار(٧٧٨) الذي كان يحقد على ابن مصال ولم يرض بوزارته وخرج من الإسكندرية إلى ربيبه عباس(٧٧٩) بالغربية واتفقا على إزالة وزارة ابن المصال وشرع في تجهز عباس للخروج عليه(٧٨٠) ووقعت بينهم عدة وقائع انجلت عن قتل ابن مصال(٧٨١) وبعد أن تخلص ابن السلار من منافسه سعى لنيل الوزارة(٧٨٢) وما لبث أن عظم أمره بعد أن نال الوزارة وتحكم في الأمور وظهر منافس وذلك عندما اتضحت مطامع عباس ابن زوجته في الوزارة وبالتالي لابد من التخلص من منافسه ابن السلار الذي قتل سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م(٧٨٣) وكانت مدة وزارته ثلاث سنوات، وخلع الخليفة الظافر على عباس بالوزارة(٧٨٤) وكان الخليفة يخص ابن عباس بمجالسته ولكن عباس كره هذا التخصيص حتى

---

(٧٧٥) الظافر بأمر الله أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله ابن الأمير محمد أبي القاسم محمد ابن المستنصر بالله، ولد ٥٢٧هـ/ ١١٣٢م وبويع للخلافة بوصية من أبيه الخليفة الحافظ لدين الله ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م وعمره سبعة عشر سنة وأربعة أشهر، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٩٣. ابن منقذ، مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيرزي، **كتاب الاعتبار**، حرره، فيليب حتى، د.ف، مكتبة الثقافة الدينية، ط١٩٣٠، ص١٥-٥٥، وسيشار إليه لاحقاً: ابن منقذ، الاعتبار.

(٧٧٦) ابن مصال، الأمير نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال وخلع عليه بخلع الوزارة ونعت بالسيد الأجل الأفضل، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٩٣،ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ص٧.

(٧٧٧) الألوسي، جمال الدين، **أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية**، مطبعة أسعد بغداد ط١٩٦٧م، ص٤١، وسيشار إليه لاحقاً: الالوسي، أسامة بن منقذ.

(٧٧٨) ابن السلار، الأمير المظفر سيف الدين معد الملك ليث الدولة علي بن إسحاق بن السلار كان والياً على البحيرة والإسكندرية زمن خلافة الظافر. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٩٦.

(٧٧٩) عباس ابن زوجة ابن السلار ابن السيدة بلارة من زوجها أبي الفتوح بن يحي بن تميم بن المعز بن باديس، وعندما قدم ابن السلار وابن باديس ومعهم عباس وكان صغيراً من مدينة المهدية بالمغرب، فمات أبي الفتوح بن باديس بالإسكندرية، تزوجت أرملته من السلار فتربي عباس في رعايته، كان والى الغربية واتفقا على الخروج على وزارة ابن مصال. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٩٦، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص٢٩٢، النويري، **نهاية الأرب**، ص٢٨.

(٧٨٠) الالوسي، **أسامة بن منقذ**، ص ٤٢.

(٧٨١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٩٧، ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص ٤٨.

(٧٨٢) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص٤٨، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٩٩.

(٧٨٣) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٧٨٤) خلع عليه الخليفة الظاهر بالوزارة يوم الجمعة سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م ونعت الأفضل ركن الإسلام، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٠٦، الأصفهاني، **خريدة القصر**، ج١، ص١٧٣.

دبر قتل الخليفة الظافر، وقتل أبناء الحافظ بعد أن اتهمهم بقتل الخليفة الظافر وحقدت عليه نساء القصر وأضمرن له البغضاء وكاتب من في القصر[٧٨٥] من بنات الحافظ وعمة الخليفة الفائز[٧٨٦] طلائع بن رزيك[٧٨٧] الذي كان والياً على الأشمونيين والبهنسا[٧٨٨] وأرسلن له الكتب وفي طيها شعور النساء يستصرخن به على الوزير عباس الصنهاجي الذي تحكم على مقاليد الأمور في الدولة لذا لجأن للاستنجاد بطلائع للتخلص من عباس[٧٨٩] ودخل طلائع بن رزيك إلى القاهرة وهو لابس السواد وأعلامه وبنوده كلها سود وشعور النساء التي أرسلت له من القصر على رءوس الرماح[٧٩٠] وتولى الوزارة ولقب بالملك الصالح[٧٩١] وفر عباس متجهاً إلى بلاد الشام فأرسلت أخت الظافر إلى الفرنج بعسقلان وبذلت لهم الأموال وطلبت منهم القبض على عباس وأبنه[٧٩٢] وأنتهي الأمر بمقتل عباس وأرسل لها ابنه في قفص سنة ٥٥٠هـ/١١٥٤م وقتلته الجواري نخساً بالمسال وصفعاً بالنعال وقطعوا لحمه وأطعموه إياه حتى مات ثم اخرج وصلب على باب زويلة[٧٩٣] مما يدل على قوة شخصية المرأة الفاطمية التي ربما تتحالف مع الأعداء للتخلص من عدو الدولة والخلافة ونجد في التحالف مع الأعداء يمثل خطورة على الدولة ربما تمكن الأعداء من الاستيلاء عليها بسبب هذا التحالف.

---

(٧٨٥) الألوسي، **أسامة بن منقذ**، ص٤٥.

(٧٨٦) الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسي بن الظافر بأمر الله أبي المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله، أمه ست الكمال، ولد سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م، بويع له بالخلافة سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م وعمره خمس سنين وعشرين يوم، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢١٢-٢١٣.

(٧٨٧) طلائع بن رزيك الأرمني من ولاة الفاطميين على منية خصب في الصعيد، الأصفهاني، ابن العماد الأصفهاني، **خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء مصر**، نشر، أحمد أمين، شوقي ضيف، إحسان عباس، ج١، ط١٩٥١م، ص ١٧٣ ، وسيشار إليه لاحقاً: الأصفهاني، خريدة القصر. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٧٧.

(٧٨٨) ولاية الاشمونين بالوجه القبلي جنوب ولاية البهنسا وقاعدة الولاية هي مدينة الاشمونين وتقع على الشاطئ الغربي للنيل، والبهنسا تلي ولاية الجيزة من الجنوب وتليها ولاية الاشمونين بالبر الغربي للنيل، القلقشندي، **صبح الاعشي**، ج٣، ص٣٧٨-٣٩٥، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٣، ص١٩٦.

(٧٨٩) ابن ميسر، **المنتقى**، ص٩٤، الأصفهاني، **خريدة القصر**، ج١، ص١٧٣.

(٧٩٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢١٧.

(٧٩١) الالوسي، **أسامة بن منقذ**، ص٤٥، الأصفهاني، **خريدة القصر**، ج١، ص١٨٣.

(٧٩٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٩٦-١٩٧.

(٧٩٣) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص٣٩٦، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٢٠-٢٢١.

المبحث الثالث: دور المرأة حتى أواخر الدولة الفاطمية:

إن ضعف شخصية الخلفاء وتحكم الوزراء فيهم انعكس على مكانة المرأة فلم يبرز لها في العصر الفاطمي الثاني دور هام قياساً بالفترة الأولي واستكمالا لدور المرأة الفاطمية الذي امتدت إلى فترة سقوط الدولة والذي من خلاله ظهر منحى اخر لما قامت به المرأة الفاطمية من تضحية وربما يرجع ذلك إلى محدودية سلطتها ونفوذها ولكن بالرغم من ذلك نجد أن الدور الذي لعبته سيدة القصور يتسم بقوة الشخصية وحرصها على سلامة الدولة وأمنها ومن معها من نساء القصور وأن الدراسات السابقة عن المرأة في العصر الفاطمي لم تقف على دور سيدة القصور حتى نهاية الدولة الفاطمية والذي يتضح أنه دور ليس بالقليل ويتسم بالقوة رغم حالة التفكك والانهيار التي كانت تعيشها الدولة حتى سقوطها .

وقامت النساء داخل القصر بتدبير مؤامرة للتخلص من طلائع بن رزيك(٧٩٤) عندما توسع نفوذه وكثرت مضايقته لنساء القصر(٧٩٥) وثقلت وطأته على الخليفة الذي لم يكن له من السلطة إلا الاسم وكانت السلطة الفعلية يملكها طلائع ابن رزيك(٧٩٦) الذي تسلط على الدولة والخليفة وضاقت منه نساء القصر ولم يقبلن زواج ابنته من الخليفة العاضد بسهولة لأن طلائع أجبر الخليفة على الزواج من ابنته، وذكر صاحب كتاب النكت العصرية عمارة اليمني" زفاف شقيقة طلائع بن رزيك ذكر وكان زفاف أخت ابن رزيك على الخليفة العاضد في فترة وزارته(٧٩٧) وكذلك في موضع أخر يذكر أنها "أبنه الصالح رزيك" وعندما مدحها بقصيدة في يوم زفافها(٧٩٨) وعلى الأرجح هي ابنة الصالح ابن رزيك ليست أخته، وعندما أمتنع حبسه وكان هدف طلائع بن رزيك من هذا الزواج أن ترزق ابنته ولداً فيجتمع لأبن رزيك الوزارة مع الخلافة(٧٩٩) وأخذت السيدة العمة الكبرى وهي عمة الخليفة العاضد(٨٠٠) والتي شرعت في تدبير أمر قتله وبذلت في سبيل ذلك مالاً يقارب

---

(٧٩٤) الأصفهاني، **خريدة القصر**، ج١، ص١٧٤

(٧٩٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٤٦.

(٧٩٦) نفس المصدر، ج٣، ص٢٤٤.

(٧٩٧) عمارة، **النكت العصرية**، ص٥٣.

(٧٩٨) نفس المصدر ، ص١٩٦، زارت قصورك بنت قصر لم تزل *** رحب الفناء لصادر أو وارد

(٧٩٩) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٤٦، الخرابشة، سليمان، أسرة بني رزيك ودورهم في تاريخ الدولة الفاطمية ٥٤٩–٥٥٨هـ/١١٥٤–١١٦٣م، جامعة اليرموك–الأردن، ٢٠٠٣م، ص٣٣، وسيشار إليه لاحقاً: خرابشة، أسرة بني زريك.

(٨٠٠) العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن الأمير يوسف ابن الحافظ لدين الله لدين ولد سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م، بويع للخلافة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م وعمره تسع سنين وستة أشهر، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٤٣، وللمزيد، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص٣٣٤–٣٣٨. النويري، **نهاية الأرب**، ص٢٨، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج١، ص٢٦٩–٢٧٠.

خمسين ألف دينار ولكن طلائع علم بأمرها فنجا منها وقبض عليها وقتلها سراً[٨٠١].

ثم انتقلت كفالة الخليفة العاضد إلى العمة الصغرى[٨٠٢] أخت الخليفة الظافر الصغرى[٨٠٣] وهي السيدة الشريفة بنت الإمام الحافظ[٨٠٤] وكانت تعرف بسيدة القصور أو بست القصور وكانت ذات خلق وكرم وأشار عمارة اليمني إلى ذلك عندما ذكر "فأوسعني إكرامها توقيراً وإنعامها توفيراً"[٨٠٥] عندما أطلقت له خمس مائة دينار عطاء له[٨٠٦] وكانت تتطلع على أحوال الدولة من خلال الصحف التي يرسلها جواسيسها كل يوم[٨٠٧] وقد يكون هذا بعض من النفوذ التي كانت تتمتع به سيدة القصور وتستطيع من خلال العيون التي تستخدمها أن تطلع على أحوال الدولة وأحداثها.

واتخذت نفس الطريق في العمل للتخلص من طلائع[٨٠٨] وفي سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م[٨٠٩] اجتمعت برجال الدولة وقوادها ودبرت السيدة ست القصور مع الجنود السودان أمر مقتل طلائع وأخبرتهم أنه يزور القصر في كل ليلة أن يتربصوا له في باب السرداب[٨١٠] الذي يدخل منه ابن رزيك وينقض عليه الجنود، وقالت لهم سيدة القصور أنه من السهل أن ندعي أننا لا نعرف من قتله من الجنود السود فقالوا لها نعم الرأي يا مولاتي[٨١١] حيث تمكن الجنود جرحه ثم أمرت سيدة القصور الغلمان والجواري بأن يبكوا عليه ونظرت سيدة القصور من القصر فرأته راكباً قالت "رحنا والله"[٨١٢] ومات سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م[٨١٣] وفشوا بين الناس أن جماعة نقبوا سور القصر

---

(٨٠١) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٢، ص٥٢٨.

(٨٠٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٤٦، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص٣١٤.

(٨٠٣) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٤٦.

(٨٠٤) عمارة، **النكت العصرية**، ص٣٤.

(٨٠٥) **نفس المرجع**، ص٣٧.

(٨٠٦) **نفس المرجع**، ص٣٤.

(٨٠٧) الجارم، **سيدة القصور**، ص٩٦.

(٨٠٨) الألوسي، **أسامة بن منقذ**، ص٤٥.

(٨٠٩) الأصفهاني، **خريدة القصر**، ج١، ص١٧٤.

(٨١٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٤٦، الأصفهاني، **خريدة القصر**، ج١، ص١٧٤.

(٨١١) الجارم، **سيدة القصور**، ص ١٠٨.

(٨١٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٤٨.

(٨١٣) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج١١، ص٢٧٤، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٤٦–٢٤٨.

واغتالوا ابن رزيك وأرسلت سيدة القصور إلى ابنه مجد الإسلام[٨١٤] وأوهمته بأن شاور[٨١٥] ابن مجير الدين والي قوص هو المنافس للصالح ابن زريك في الوزارة وهو الذي دبر أمر قتله[٨١٦].

وبعد مقتل ابن رزيك كثر الإرجاف بمسير شاور[٨١٧] إلى قرب القاهرة وتآمرت باسمة جارية سيدة القصور التي فرت من القصر واجتمعت مع شاور ووضحت له أوضاع الدولة واستبداد سيدة القصور بالأمور وتحكم الأستاذين والجنود من السودان في الدولة[٨١٨] وضعف الخليفة ودخل شاور القاهرة بعدد من الجنود[٨١٩] بعد أن أنتصر على العادل ابن رزيك علمت سيدة القصور بعدم جدوى العداء مع شاور[٨٢٠] عندما دخل بجيوشه إلى القاهرة فاستقبلته بما يقابل به الفاتح العظيم[٨٢١] وخلعت عليه بالألقاب وولاه العاضد شؤون الوزارة سنة ٥٥٨هـ /١١٦٢م وتلقب بأمير الجيوش بعد أن قتل الناصر ابن رزيك وجلس للوزارة على ساحل الذهب بشط الخليج[٨٢٢] وأصبح لباسمة جارية سيدة القصور التي تحالفت مع شاور مكانة كبيرة في قصره[٨٢٣].

اتسمت وزارة شاور[٨٢٤] بالظلم حيث كان جشعاً وسفاكاً للدماء فأغضب العامة والخاصة[٨٢٥] وضج أهل القاهرة من ظلم شاور وعسفه الناس، فاجتمع عامة الناس عند باب زويلة وكانت النساء تطل من النوافذ لتشجيعهم بالدعاء والزغاريد واجتمعت سيدة القصور وبعض رجال الدولة وشكت لهم ما أصاب الناس من سوء سياسة شاور التي اتسمت بالظلم والفساد[٨٢٦] وعندما كثر استبداد شاور في الوزارة أرسل ضرغام[٨٢٧] إلى العاضد يخبره بأمر شاور فسادة وظلمة للناس،

---

(٨١٤) مجد الإسلام أبو شجاع رزيك بن الصالح طلائع ابن رزيك وعندما قتل والده استدعته سيدة القصور وخلع عليه بالوزارة لان والده أوصي بها له، ونعت بالسيد الأجل مجد الإسلام الملك العادل الناصر أمير الجيوش، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٥٣.

(٨١٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٥٦.

(٨١٦) عمارة، **النكت العصرية**، ص٤٩، الجارم، **سيدة القصور**، ص١٠٩.

(٨١٧) الأصفهاني، **خريدة القصر**، ج١، ص١٧٤.

(٨١٨) الجارم، **سيدة القصور**، ص١١٩.

(٨١٩) وكان العادل ابن رزيك تجهز لحرب شاور فانهزم جيشه عند لقاء جيش شاور، للمزيد، انظر المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٥٧-٢٧٨.

(٨٢٠) الأصفهاني، **خريدة القصر**، ج١، ص١٧٤-١٧٥.

(٨٢١) الجارم، **سيدة القصور**، ص١٢٢.

(٨٢٢) عمارة، **النكت العصرية**، ص. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٥٩.

(٨٢٣) الجارم، **سيدة القصور**، ص١٢٣.

(٨٢٤) عمارة اليمني، **النكت العصرية**، ص٦٦-٦٧، ٢١٦.

(٨٢٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٥٩-٢٦١، عمارة، **النكت العصرية**، ص٦٦-٦٩.

(٨٢٦) الجارم، **سيدة القصور**، ص١٢٥.

(٨٢٧) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٦٠-٢٦١، عمارة، **النكت العصرية**، ص٧٣-٧٤.

واستدعي الخليفة العاضد ضرغام إلى القصر بعد أن أخبره بأمر شاور وسوء سياسيته في الدولة، خلع على ضرغام بالوزارة وتلقب بالملك المنصور، وكانت تحمد سيرته في الناس[٨٢٨] وتوجه شاور إلى الشام مستجيراً بنور الدين زنكي[٨٢٩] وتعكس هذه الصراعات على الوزارة مدى ضعف شخصية الخليفة العاضد، وكانت سيدة القصور تسيطر على أمور الدولة[٨٣٠] وتخشي أن تعلم الفرنج مما تعاني منه الدولة من ضعف سلطة الخليفة واستبداد الوزراء، وكانت النساء في بيوتهن يرتجفن من أن يهجم عليهم الفرنج[٨٣١] وقوى شاور عزم نور الدين زنكي الذي عمل على تجهيز جيشه تحت قيادة شيركوه[٨٣٢] وعندما علم الوزير ضرغام بقدوم شاور ومعه شيركوه قائد نور الدين زنكي أرسل إلى الفرنج يستنجد بهم مما زاد أوضاع الدولة سوءاً على ما كانت عليه من تفكك من جراء الصراع على الوزارة.

ومن ناحية أخرى عندما دب الخلاف بين شاور وشيركوه تحالف شاور مع الفرنج لاستعادة سلطته في الوزارة[٨٣٣] وأكثر من سفك دماء الناس[٨٣٤] وأرسل إلى أهالي الفسطاط بأن يرحل سكانها عنها وأن لا يقيم فيها امرأة ولا طفل لأنه عزم على إحراق المدينة[٨٣٥] ورأت سيدة القصور لابد أنه من أن تتخذ موقفاً لتنقذ به بقايا الدولة التي تهالكت وتكالب الفرنج عليها من وعولت على الاستنجاد بنور الدين زنكي وأنه خير من شاور والفرنج[٨٣٦] ودعت سيدة القصور خادمتها التي تدعى تغريد وأمرتها أن تحضر مقص وقصت سيدة القصور شعرها وأمرت أن تقص جميع نساء القصر من شريفات وجواري شعورهن وأن ترسل هذه الشعور مع رسالة على لسانها إلى نور الدين زنكي وتستصرخ بشهامته ورجولته وإسلامه[٨٣٧] ونجد أن نفس الأمر يتكرر مثل ما فعلت أختها الكبرى عندما استنجدت العمة الكبرى بطلائع بن رزيك لتنقذ الدولة، وقامت بدور كبير

---

(٨٢٨) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٦١.

(٨٢٩) نور الدين زنكي، هو السلطان الملك العادل نور الدين محمود زنكي ملك الشام، وولى أيوب حاكماً على دمشق، ويشركوه والياً على حمص، واستنجد به الخليفة العاضد عندما تفاقم الصراع بين الوزراء في الدولة المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٦٤. ابن ظافر، أخبار الدول، ص٧٨.

(٨٣٠) الجارم، **سيدة القصور**، ص١٢٧.

(٨٣١) **نفس المرجع**، ص١٣٦.

(٨٣٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٦٥.

(٨٣٣) عمارة، **النكت العصرية**، ص٨٨.

(٨٣٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٨٧.

(٨٣٥) الجارم، **سيدة القصور**، ص١٣٧.

(٨٣٦) **نفس المصدر**، ص١٣٩.

(٨٣٧) الجارم، **سيدة القصور**، ص١٤٠، وعند المقريزي ترد هذه الإشارة أن الخليفة العاضد وجماعة من الأعيان أرسلوا إلى نور الدين زنكي بحلب، انظر: المقريزي، ج٣، ص٢٩١-٢٩٦.

وقدمت من خلاله نفسها فداء للدولة ولا نجد هذه التضحية من غيرها من النساء الفاطميات في العصر الفاطمي الأول بالرغم مما كان لهن من نفوذ يفوق نفوذ نساء العصر الفاطمي الثاني، وهذا ما يؤكد عظم الدور الذي لعبته المرأة في العصر الثاني بالرغم من أنها كانت محدودة النفوذ والسلطة من وطأة الوزراء.

واستجاب نور الدين زنكي إلى استنجاد سيدة القصور والخليفة العاضد وأرسل لهم جيشاً تحت قيادة أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين[٨٣٨] وبعد وفاة شيركوه تولى صلاح الدين الوزارة، كان صلاح الدين شديد الحذر من سيدة القصور لا يؤمن لها جانب وعمل على إضعاف سلطتها في الدولة وعين لها حرساً على باب القصر فما كانت تخرج إلا بإذنه[٨٣٩] وضاقت سيدة القصور بهذا الحال وأدركت أن صلاح الدين كارثة على الدولة الفاطمية[٨٤٠] وعرفت أن جاريتها الخائنة باسمة اتصلت بحاشية صلاح الدين وأخبرته بأسرار دولتهم ومخابئ القصور[٨٤١] وأن سيدة القصور أرادت أن تهاجم صلاح الدين بعدد من الجنود السودان إلا انه علم بمؤامرتها ووثب بجنده على السودان وفرقهم، وبعد ذلك زاد تمكن صلاح الدين في الدولة وتحكم بالخليفة فاستولى على الذخائر والكنوز واستولى على قصور الخلافة واخرج أبناء الخلفاء وبناتهم منها وتصرف في العبيد والخدم ومنع الخليفة من مغادرة القصر وعزل قضاة الشيعة وأزال لبس السواد شعار الفاطميين وأبطل الأذان (بحي على خير العمل) فبكت سيدة القصور لما رأت دولة ابائها تنهار والخليفة العاضد داهمه الغم وأحرقته الحمى[٨٤٢] هربت سيدة القصور من القصر في هيئة الخدم بثيابها خرجت من دهاليز القصر كشفت وجهها وعرف الناس أنها سيدة القصور[٨٤٣].

وسجن صلاح عمارة اليمني الذي مدح الفاطميين وعدد مآثرهم وأخلص لهم الولاء وحكم عليه بالصلب وأمر بصلبه في القاهرة[٨٤٤] وعندما كان عمارة على خشبة الموت مرت من أمامه جنازة وكان يمشي خلفها فقراء القاهرة وعامتهم باكين فسأل من صاحب الجنازة فقيل لهم هذه سيدة

---

(٨٣٨) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٢٩٤-٢٩٥.

(٨٣٩) الجارم، **سيدة القصور**، ص١٤٣.

(٨٤٠) **نفس المرجع**، ص١٤٥.

(٨٤١) **نفس المرجع**، ص١٤٦.

(٨٤٢) الجارم، **سيدة القصور**، ص١٤٨.

(٨٤٣) الجارم، **سيدة القصور**، ص١٥٢.

(٨٤٤) عمارة، **النكت العصرية**، ص٣٩٥، واختلفت الراويات حول التهمة التي من أجلها صلب عمارة اليمني واتهم هو مع جماعة نسب إليهم التدبير على صلاح الدين مع الفرنج لإجلاس ابن العاضد للخلافة بعد وفاة أبيه العاضد وللمزيد، عمارة اليمني، **النكت العصرية**، ص٣٩٥-٣٩٦.

القصور سدت أمامها المنافذ فتجرعت سماً وماتت لساعتها[٨٤٥] فصاح عمارة اليمني بالجند عجلوا بي فسيقول الناس غداً في هذا الثاني عشر من رمضان سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م[٨٤٦] يوم الشهداء ماتت فيه شهيدة العزة والإباء ومات شهيد الكرامة والوفاء[٨٤٧] يعني سيدة القصور وعمارة اليمني.

دلالة على أن سيدة القصور كانت تدافع عن الخلافة مقدراتها إلى أخر حياتها ولكن كانت الظروف ومقاومة الأعداء لدولتها أكبر من أن تقف أمامهم وكان الخليفة العاضد أضعف من أن يشد أزرها ليعينها علي نوائب الزمان.

وكان ذلك من خلال ما ورد في رواية علي الجارم عن دور سيدة القصور في نهاية الدولة الفاطمية وربما تكن هذه الإحداث عبارة عن نسج من خيال أديب ولا يوجد في المصادر ما يدعمها.

---

(٨٤٥) الجارم، **سيدة القصور**، ص ١٥٥.

(٨٤٦) عمارة، **النكت العصرية**، ص ٣٩٦.

(٨٤٧) الجارم، **سيدة القصور**، ص ١٥٥.

الفصل الثالث
دور المرأة الاقتصادي في الدولة الفاطمية

المبحث الأول: مظاهر ثراء المرأة في العصر الفاطمي.

المبحث الثاني: المنشآت العمرانية الخاصة بالنساء.

المبحث الثالث: سوء الأوضاع الاقتصادية وانعكاسها على المرأة.

المقالة أ. الفصل الثالث: دور المرأة الاقتصادي في الدولة الفاطمية:

أصبحت مصر في العصر الفاطمي مركزاً لدولة وخلافة فاقت في الأبهة والعظمة والحضارة جميع الدول التي سبقتها كالدولة الطولونية والإخشيدية، إذا أنشأ الفاطميون مدينة القاهرة[٨٤٨] وأرادوا بها أن تكون عاصمة تبعث من أرجائها طاقات جديدة يستعيد بها الإسلام[٨٤٩] قوته بعد الوهن والفتور الذي أصاب الخلافة العباسية في بغداد.

ومن الناحية الاقتصادية نجد أن الدولة الفاطمية عاشت حياة الترف والبذخ داخل قصور الخلفاء بالرغم من أن تاريخ مصر الاقتصادي ارتبط بنهر النيل[٨٥٠] لأن مصر بلد زراعي وتتوقف كل مظاهر الحياة على طبيعة النيل الفيضية الموسمية ولذا حظيت مصر بالكثير من المجاعات بسبب قصور فيضان النيل[٨٥١]وأن حدوث المجاعات المتكرره في مصر كان ينعكس أثرها على السكان بالنقص بسبب الموت نتيجة لتفشي الأوبئة والهجرة ومما ينتج عنه من قلة الأيدي العاملة فلا تجد الأرض من يزرعها[٨٥٢] وكان النصيب الأكبر من هذه المجاعات في العصر الفاطمي.

ومما يكون أكثر إشارة إلى ثراء الدولة الفاطمية في مصر ما كانت تمتلكه سيدات القصور من ثروات ربما يشعر المطلع على ما ذكر منها بشي من المبالغة لعظمها.

وبجانب نساء الخاصة نهضت المرأة في مصر في عصر الدولة الفاطمية بدور كبير في الحياة العامة رغم القيود الاجتماعية التي فرضت عليها وأن نساء الخاصة ربما لم تفرض عليهن هذه القيود نظراً لتميز أوضاعهن الاجتماعية.

وهذا مما يكون له بالغ الأثر على المرأة من الطبقة العامة التي تكون في الغالب حياتهم الاقتصادية تعتمد على الزراعة[٨٥٣] وفي بعض الأحيان نجد أن المجاعات لم تستمر طويلاً وقد تلعب الدولة دوراً في الحد من أضرارها وتضع بعض التدابير لتجاوزها وكان ينادى بزيادة منسوب النيل[٨٥٤] للإعلان عن الزيادة واستعداداً للزراعة، وكإجراءات يتخذها الخلفاء وقد أظهر الفاطميون

---

(٨٤٨) ريمون، **القاهرة**، ص٣٣-٣٤، للمزيد انظر: شرف الدين، عبد الفتاح، **الأوراق الندية في تاريخ مصر الإسلامية من قبيل الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأيوبية**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٢٠٠٣م، ص٩١-٩٢، وسيشار إليه لاحقاً: شرف الدين، الأوراق الندية.

(٨٤٩) فؤاد، **التطور العمراني**، ص١.

(٨٥٠) البغدادي، **الإفادة والاعتبار**، ص١٥- ١٨.

(٨٥١) الصاوي، **مجاعات مصر**، ص١٤-٢١.

(٨٥٢) البرواي، **حالة مصر الاقتصادية**، ص ٨٢.

(٨٥٣) الصاوي، **مجاعات مصر**، ص٣٢.

(٨٥٤) خسرو، **سفر نامة**، ص٤٢.

منذ استقرار الخليفة المعز سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م اهتماماً خاصاً بالنيل ويراقبون الزيادة بالقياس حيث أن الخليفة المعز منع النداء بزيادة النيل وان لا يكتب ذلك إلا إليه ولجوهر حتى يتم وفاءه أي يبلغ ست عشرة ذراعاً ثم يعلن للناس[٨٥٥] وكان كتمان أمر إعلان الزيادة النيل عن الناس ربما قصد منه الخليفة المعز الحد من مشاعر القلق لدى الناس، وعندما يتم وفاء النيل كانت تقام الاحتفالات على النيل بفتح الخليج وكان الخلفاء يشاركون في هذه الاحتفالات منذ قدوم الخليفة المعز إلى مصر حيث ركب في أول عام لقدومه لفتح الخليج في موكب عظيم يضم كبار رجال الدولة والأعيان[٨٥٦] ثم سار الخلفاء من بعده على هذا النهج [٨٥٧] وكانت في عهد الفاطميين مراقبة النيل موكلة إلى جماعة من النصارى[٨٥٨].

---

(٨٥٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص١٣٨.

(٨٥٦) **نفس المصدر**، ج١، ص١٣٩.

(٨٥٧) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٢١٤، الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص١٧٥.

(٨٥٨) سلطان، **المجتمع الفاطمي**، ص١٨٣.

المقالة II. المبحث الأول: مظاهر ثراء المرأة في العصر الفاطمي:

المقالة III. ثروات نساء الخاصة:

تميزت الدولة الفاطمية بمصر بالكثير من مظاهر الثراء والترف وأحاط الخلفاء أنفسهم وزوجاتهم بوسائل الترف والبذخ التي قل ما نجدها في عصر من عصور مصر الإسلامية وتمثل ذلك في الكثير من جوانب حياتهم من بناء القصور التي اتخذوها مساكن لهم ولأسرهم(٨٥٩) مما انطبق على بعض رجال الدولة من وزراء وكبار القواد.

أشارت الكثير من المصادر إلى ثروات نساء الخاصة في الدولة الفاطمية ومما يتضح أنهن امتلكن ثروات كثيرة من التحف والحلي والمجوهرات الثمينة منذ انتقلن لمصر وفي هذا المجال يشار إلى بنات الخليفة المعز الأميرات عبده وراشدة وهما عمتا الخليفة الحاكم بأمر الله ولدتا برقادة بالمغرب(٨٦٠) وانتقلتا مع والدهما الخليفة المعز إلى مصر سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م وعاشت عبده وأختها راشدة في مصر وسط مظاهر ترف وبذخ عظيمين فحازتا ثراء كبيراً أثار دهشة المؤرخين، وماتتا في عهد خلافة المستنصر سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م وبين الواحدة والأخرى ثلاثة أيام وكان عمر الواحدة منهن تسعين سنة.

فعندما توفيت عبده سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م وجد في حوزتها ما لا يحصي من كثرته(٨٦١) من خزائن الحلي، كما وجدت لها خمسة أكياس زمرد في صناديق(٨٦٢) وكذلك وجد لها سعود ومفدى وصفوان وألف وثلاث مئة مينا فضة محرقة وزن كل مينا عشر آلاف وأربع مئة سيف محلي بالذهب وثلاث ألف شقة صقلية ومن الجواهر مالا يحد والزمرد كيله إردب(٨٦٣) وأحد وعاشت طول عمرها تأكل لا الثريد(٨٦٤) وقد بلغ الشمع الذي استخدم في الختم على ثروتها أربعين رطلاً(٨٦٥)

---

(٨٥٩) عبد العظيم، **موسوعة تاريخ مصر**، ص ٣٢٦، أندريه، **القاهرة**، ص٥٢.

(٨٦٠) ابن الزبير، القاضي الرشيد (ت في القرن الخامس) كتاب **الذخائر والتحف**، حققه: محمد حميدالله، قدم له: صلاح الدين المنجد، المطبعة الحكومية، الكويت، ط١٩٨٤م، ص٢٤٠، وسيشار إليه لاحقاً: ابن الزبير، الذخائر والتحف. رقادة، تقع على أربعة أميال من القيروان، ويقال بناها إبراهيم بن أحمد الاغلبى وكانت دار لمملكته ومسكنه، الحميري، **الروض المعطار**، ص٢٧١.

(٨٦١) ابن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص٢٤٠.

(٨٦٢) ربيس، **إلمامة عن أحوال القاهرة**، ص٥٨٣.

(٨٦٣) إردب، مكيال مصري للحنطة يتألف من ٦ ويبات وكل ويبة ٨ أقداح، هنتس، فالثر، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، نقله إلى العربية: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ط١٩٧٠م، ص١٢، وسيشار إليه لاحقاً: هنتس، المكاييل.

(٨٦٤) ابن الزبير، **التحف والذخائر**، ص٢٤٢.

(٨٦٥) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج ١، ص٤١٥، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٤، ص١٩٣.

بالمصري وأن بطائق المتاع الموجود كتبت في ثلاثين رزمة من الورق[٨٦٦].

وخلفت راشدة بنت المعز حين ماتت ما قيمته ألف ألف وسبع مئة ألف دينار، كذلك وجد في خزائن كسوتها ثلاثون ألف ثوب خز مقطوع، واثنا عشر ألفا من الثياب المصمتة ألوانها، ومائة قطرميز كافور[٨٦٧] وأكثر من مليون ونصف من العملة الذهبية[٨٦٨] وأيضاً من جملة ثروتها وجد لها طشتاً وأبريقاً من البلور فلما رآهما الوزير اليازوري ولفرط استحسانه لهما وعظيم قدرهما عنده طلبهما من الخليفة المستنصر فوهبهما له[٨٦٩] وكان ذلك في عهد الخليفة المستنصر سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م[٨٧٠].

وكانت السيدة راشدة بالرغم مما تمتعت به من ثراء تأكل من غزلها ولا تتعرض لشئ من السلطان[٨٧١] وقد يكون المؤرخ يعني بذلك مال الدولة أو مما يصرف على القصور من مال الدولة، وتنوعت ثروات الأميرة راشدة بنت الخليفة المعز والتي تركت منها أشياء متعددة تدل على ما كانت تتمتع به هي وأختها من الترف ومن جملة ذلك وجد لها مدهن ياقوت أحمر وزنه سبعة وعشرون مثقالاً[٨٧٢] أخذه الوزير اليازوري في خلافة المستنصر بالسر دون علم الخليفة وعندما قبض عليه سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م استعاده المستنصر، وكذلك أخرج من تركة السيدة عبدة ابنة المعز أيام الفتنة وبداية الشدة المستنصرية، وعندما نهب الجند الأتراك بقيادة ناصر الدولة القصور الفاطمية أخرجوا منها التحف والكثير من الثروات[٨٧٣] والتي كان فيها من جملة ذلك تسعون طستاً وإبريقاً من صافي البلور وجيده[٨٧٤] وهال الجنود مما رأوا من كثرة هذه الثروات والتي ربما يكون مبالغ فيها، إشارة إلى ضخامة ثروات الأميرات الفاطميات.

أهدت السيدة الشريفة ست الملوك[٨٧٥] أخت الخليفة الحاكم بأمر الله إلى أخيها الحاكم سنة

---

(٨٦٦) ابن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص٢٤٢.

(٨٦٧) **نفس المصدر**، ص٢٤١.

(٨٦٨) ربيس، **إلمامة عن أحوال القاهرة**، ص٥٨٣.

(٨٦٩) **نفس المصدر**، ص٢٤٢، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٢١٥.

(٨٧٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٠٣-٢١٢.

(٨٧١) ابن الزبير، **التحف والذخائر**، ص٢٤٢.

(٨٧٢) المثقال، هو وحدة من وحدات الوزن، يساوي وزنه الفعلي أربعة وعشرين قيراطاً،هنتس، **المكاييل**، ص١٢.

(٨٧٣) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٦٥، وما يليها ص٢٩٧.

(٨٧٤) ابن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص٢٤٣.

(٨٧٥) وهي ست الملك، ولكن يرد اسمها بعدة ألقاب. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٥. **الواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٣٠٠. وللمزيد انظر الفصل الخاص بألقاب نساء الخاصة.

٣٨٧هـ/ ٩٩٧ م ثلاثين فرساً مسرجة أحدهما مرصع بالبلور وبقيتها مرصع بالذهب وعشرين بغلة مسرجة ملجمة وخمسين خادماً منهم عشرة صقالبة ومائة تخت[٨٧٦] ثياب وتاجاً مرصعاً وشاشية[٨٧٧] مرصعة واسفاط كثيرة من الطيب وبستان مزروع من أنواع الشجر[٨٧٨].

وتركت السيدة ست مصر بنت الحاكم بأمر الله والتي يصفها ابن الزبير صاحب كتاب الذخائر التحف" كانت سمحة ونبيلة وكريمة الأخلاق والفعل"[٨٧٩] عندما توفيت ثروات كثيرة ومتنوعة ومنها ثمانية ألاف جارية، وكانت غلة إقطاعها في كل سنة خمسين ألف دينار وكان من ضمن ما وجد ثلاثين زيراً صينياً كانت جميعها مملوءة مسكاً مسحوقاً وكذلك وجد لها جوهر نفيس ومن جملته قطعة ياقوت فيها عشرة مثاقيل[٨٨٠].

وذلك ما يعكس حياة الترف التي كانت تعيشها النساء وبنات الخلفاء داخل القصور الفاطمية ويتضح هذا من خلال ثروات بنات المعز عبدة وراشدة اللتين كانتا تمتلكان أمولاً وتحفاً كثيرة ورثها الخليفة المستنصر بعد موتهما[٨٨١].

وعندما قدم رسول من ملك الروم باسيل الثاني سنة ٤٠٥هـ /١٠١٤م إلى القاهرة أمر الخليفة الحاكم أن يفرش إيوان القصر بفرش جديد، حيث أمر بتفتيش خزائن الفرش فوجدوا واحداً وعشرين من أنواع الفرش وكانت حملت من القيروان في المغرب وأن السيدة راشدة[٨٨٢] كانت تشرف على ما حمل من الفرش القادم من المغرب إلى مصر مع والدها الخليفة المعز سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢ م ثم فرش منه الإيوان وسترت جميع حيطانه وكانت ذهباً يتلألأ وعلقت في صدر الإيوان العسجدة وهي ورقة من ذهب مكلله بفاخر قطع الجوهر من كل أصنافه يضئ لها ما حولها إذا وقعت عليها الشمس[٨٨٣].

كانت تمتلك السيدة رصد والدة الخليفة المستنصر ثروات طائلة وكانت تأتي إليها بعض الهدايا من ملوك الدول الأخرى وقد يكون هذا لخلق نوع من تحسين العلاقات بين تلك الدول وتبادل المصالح بينهما، ومما ورد أن ميخائيل ملك الروم أهدى السيدة والدة المستنصر خمسة

---

(٨٧٦) التخت، وعاء تصان وتحفظ فيه الثياب. المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢ ص٣٠٠.

(٨٧٧) شاشية، مايلبس على الرأس دون العمامة، أو ما يدار حول العمامة من قماش الشاش المعروف. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٥.

(٨٧٨) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٥.

(٨٧٩) ابن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص٢٤٠.

(٨٨٠) ابن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص٢٤١.

(٨٨١) ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص١٧٠.

(٨٨٢) **نفس المصدر**، ص١٥٠.

(٨٨٣) ابن الزبير، **التحف والذخائر**، ص١٥١، المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤١٥، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص١٩٢.

دسوت حلياً مجرى بزجاج من خمسة ألوان أحمر قان، وابيض ناصع وأسود حالك، وازرق صاف، كأحسن ما يكون من الصياغة والنقش، فيما جرى أحسن ما يكون من الصنعة[٨٨٤] وأن أم المستنصر ورثت ثروات ضخمة بعد موت الخليفة الظاهر كان لها خزائن مثل خزائن الخلفاء[٨٨٥].

ويورد المقريزي في كثرة الأموال والتحف التي كانت في القصور الفاطمية عند سقوطها في مصر وكان مما اخرج منها ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وملبوس وأثاث وقماش وسلاح مالا يفي به لا ملك الأكاسرة[٨٨٦] ولا تتصوره الخواطر ولا يقدر على حسابه إلا من يقدر على حساب الخلق[٨٨٧] وقد تكون هنالك مبالغة في هذه الثروات لان الدولة الفاطمية في مصر وفي أواخر عصرها منيت بنصيب كبير من المجاعات التي قد تكون قد أثرت على اقتصادها بالتدني ومما يكون له أثر على تلك الثروات الخاصة.

ولما مات الخليفة العاضد سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م كانت الأموال والنفائس في القصور عظيمة الوصف وكشف حاصل الخزائن الخاصة ومما وجد مائة صندوق كسوة فاخرة من موشح ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغيرها[٨٨٨].

المقالة IV.

المقالة V. أحوال نساء القصور:

تختلف أحوال نساء القصور الخاصة عن أحوال نساء العامة، لما ترتب لنساء الخاصة من وسائل الراحة وتوفر لهن من يقوم بخدمتهن بدقة وهو زمام القصور[٨٨٩] ويكون من الأستاذين المحنكين[٨٩٠] وهو الذي يختص بالخدمة والإشراف على القصور والسيدات والجهات والمستخدمات والحواشي والأصحاب الكبار والصبيان الخاص فيشرف على ما ينفق على المطابخ بما فيها الأعياد وشهر رمضان وركوب الخليفة كل سبت وثلاثاء[٨٩١] وبجانب زمام القصور الذي يشرف على نساء القصر قد تكون مهمته تختص بتسجيل ما يصرف من رواتب على خدمة السيدات ومصروفات القصور، فنجد صاحب الدفتر وهو من الأستاذين المحنكين يتولي كذلك الإشراف على

---

(٨٨٤) ابن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص٨١.

(٨٨٥) ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص١٧٠.

(٨٨٦) ابن ظافر، **أخبار الدول**، ص٦٤.

(٨٨٧) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٣٩٦.

(٨٨٨) **نفس المصدر**، ج٢، ص٣٩٥.

(٨٨٩) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص٣٤، وهو المشرف على القصر ويكون من الأستاذين المحنكين. ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٢١، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص٤٨١.

(٨٩٠) ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٢٠.

(٨٩١) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٢٤١.

الإنعامات والأعطيات ومنح الكسوات وتسجيل ما يرد من التحف والهدايا وضبط ما ينفق[٨٩٢] وكانت جميع البزز والثياب توجد في دار الكسوة التي أنشأها الخليفة المعز ويكسو منها جميع الناس على اختلاف أصنافهم، مع أولادهم ونسائهم كسوة الصيف والشتاء[٨٩٣] توارثه الخلفاء من بعده.

وهنالك مشرف على خزانة الكسوات الخاصة بالقصور وفيها مما يدل على كثرة نعم الله كما يشير المقريزي وفيها من الملابس الخاصة من الديبقي والملون رجالية ونسائية والديباج الملون والسقلاطون[٨٩٤] وإذا كانت التفرقة الصيفية أو الشتوية توزع على كلاً من أولاد الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرتب والرسوم من كل صنف وعلى ترتيب مفروض لهم من شقق[٨٩٥] الديباج الملون[٨٩٦] والسقلاطون والشروب[٨٩٧] وتستخرج لهن المنصرفات مع ركوب الخليفة في كل أربع جمع للحمام في كل جمعة مائة دينار مما يجري على القصور أو ما يطلق من بيت المال من الخدمات لهن وهي أربعمائة دينار في كل جمعة مائة دينار برسم الأخوة والأخوات والسيدة الملكة وقد تكون زوجة الخليفة والسيدات ومن يكون بقية زوجات الخليفة و الحظايا والموالي و الجواري والمستخدمات في أعمال القصور ومما استجد ألفان وتسعمائة وثلاث وأربعون دينار[٨٩٨] وخزائن دار أفتكين[٨٩٩] والتي تحتوي على جميع الأشياء المأكولة من الفستق والأعسال والسكر وغيرها[٩٠٠] ويخرج منها بيد حاميها أو المشرف عليها راتب المطابخ أو ما يصرف على المطابخ

---

(٨٩٢) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص٥٩.

(٨٩٣) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٥٧.

(٨٩٤) السقلاطون، نوع من قماش الحرير المغشي بخيوط الذهب وهو من المنسوجات التي اشتهرت في بلاد الروم وأنتشر في مصر في زمن الخليفة العزيز بالله بعد الصلح الذي عقد مع الروم سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م ولذا توسع التبادل التجاري بين البلدين. المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٥٤.

(٨٩٥) شقق: وهي شقة من القماش ومن الكتان، المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٥٦.

(٨٩٦) الديباج نسيج مقصب بالحرير والذهب، المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٥٦.

(٨٩٧) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٥٦.

(٨٩٨) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٦٣.

(٨٩٩) دار أفتكين، وهي الدار التي كانت برسم التخزين وتحتوي على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الإسكندرية، وجميع المأكولات من الفستق وغيره من الأعسال على اختلاف أصنافها وحاميها الأستاذين المميزين أما مشارفها من المعدلين وهما اللذان يخرجان راتب المطابخ خاصاً وعاماً للأيام، وعرفت بدار أفتكين لأنه كان يسكنها نصر الدولة افتكين الذي رافق المستنصر بالإسكندرية، ابن مأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٨١، المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٢٢.

(٩٠٠) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٦١.

في القصور من خاص وعام من صرفها وبما يتفق عليه المستخدمون وأرباب التوقيعات من الجهات ويخرج ما يحتاجون إليه من اللحم والخضروات[٩٠١].

وأيضاً هنالك العديد من المنصرفات على ما تحتاجه النساء داخل القصور من السيدات والجهات المعظمة يكون هذا الصرف مستقراً بأسمائهم في كل شهر من العطور منه ند مثلث[٩٠٢] خمسة وثلاثون مثقالاً[٩٠٣] ومن العود بما يعادل مائة عشرون درهما[٩٠٤] وزعفران شعر خمسون درهماً، وعنبر خام عشرون مثقالاً، وكافور قديم عشرون درهماً، ومسك خمسة عشر مثقالاً وماء ورد أربعون رطلاً[٩٠٥] ودار التعبئة والتي يوجد بها موظفو البساتين السلطانية وتشتمل على النرجس الأصفر والأحمر والنحل الموقوف برسم خاص وما يصل من ثغر الإسكندرية وذلك من جملة تعبئة القصور للجهات والخاص والسيدات وتعبئة الحمامات[٩٠٦].

أما يختص بالصرف على المطابخ والصناع فيها من الحلوى والمستخدمين وما يصنع فيها أثنيا عشر عاماً من الحلوى وبما يفرق على الموالي والجهات على أوضاع مختلفة من الجامات[٩٠٧] وهذا غير ما يصرف على المطابخ الآمرية وكذلك ما يصرف على ما يصنع بالإيوان الشريف على حسب ترتيب الموالد الشريفة الأربعة النبوي والعلوي والفاطمي والآمري[٩٠٨] وفي سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٠ م كان الاحتفال بالمولد الآمري وكان راتب ما يعمل أربعون صينية خشكنانج[٩٠٩] والحلوى والكعك ويطلق برسم المشاهد ولكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق ويوزع على القراء والفقراء[٩١٠] ومن ذلك ما يفرق على الجهات بالقصور الزاهرة

---

(٩٠١) **نفس المصدر**، ج٢، ص١٦٢.

(٩٠٢) ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٩٢.

(٩٠٣) المثقال: يساوي وزنه الفعلي أربعة وعشرين قيراطاً،هنتس، **المكاييل**، ص١٢.

(٩٠٤) الدرهم: هنا كوحدة وزن حسب النسبة الشرعية٧:١٠ يكون وزن درهم الفضة القديم ٩٧ر٢ غم أو ٨٣٣ر٤٥ حبة، هنتس، **المكاييل**، ص١٠.

(٩٠٥) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٢٧٨.

(٩٠٦) **نفس المصدر**، ج٢، ص١٦٢.

(٩٠٧) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٦٧.

(٩٠٨) الموالد الأربعة، والمعروف عند الفاطميين الجلوس للموالد الستة وهي مولد النبي ﷺ ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومولد السيدة فاطمة الزهراء، ومولد الحسن ومولد الحسين، ومولد الخليفة وجلوسه في المنظرة. ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٦٢.

(٩٠٩) الخشكنانج: نوع من الحلوى مصنوع من الرقاق على شكل حلقة مجوفة يملأ وسطها باللوز والفستق وتعرف أيضا بالخشتنان. ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٣٥.

(٩١٠) ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٣٦.

والدار المأمونية[٩١١] والخاص والموالي والفقراء والمساكين ويكون مقداره عشرين رطلاً فستقاً كل يوم مولد[٩١٢].

وكذلك نجد ما درجت عليه العادة في تفريق الفطرة[٩١٣] والتي تفرق على كل من يخص الخليفة من الجهات، والسيدات والمستخدمات والأستاذين وكانت الفطرة عادة تعمل بالإيوان[٩١٤] ونجد أيضاً في ليلة التاسع والعشرين من شهر رمضان تخرج الأوامر بأضعاف ما هو مستقر أي أكثر ما اعتادت عليه الدولة من استخراجه في الأيام العادية ويكون هذا للمقرئين والمؤذنين في كل ليلة برسم السحور وتكون ليلة ختم الشهر ويحمل لهم من عند الجهات والسيدات من أهل القصور من القطائف والحلوى[٩١٥] وبلغت كسوة العيد في أخر شهر رمضان من سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٠م عشرين ألف دينار لأن هذا العيد الكبير ويسمي بعيد الحلل لأن الحلل تضم للأعيان والخاصة[٩١٦] وقبل ليلة العيد يفرق الذهب والثياب على نساء القصور[٩١٧] وقد يكون هذا محصوراً بنساء الخليفة دون غيرهن من نساء القصر.

ولنساء القصور من الجهات والسيدات اللائي ربما كن من العمات والأخوات وبنات أخوة الخلفاء لهن الأطباء اللذين يشرفون على صحتهن ومعالجة المريضات منهن داخل القصور ويعطي للأطباء ثلاثين ديناراً[٩١٨] ولم يتضح ما يمثله هذا المبلغ هل هو راتب شهريٌّ أم يعطى للطبيب على حسب زياراته إلى القصر، وكل ذلك يشير إلى ما كانت تتمتع به نساء الخاصة حتى في حياتهم اليومية حيث كانت تتوفر فيها كل سبل الراحة التي تدل على مقدار الثراء الذي

---

(٩١١) الدار المأمونية: هي كا نت دار لقوام الدولة جددها المأمون البطائحي واتخذها سكناً له لذا سميت باسمه وبعد سقوط الدولة الفاطمية تحولت إلى مدرسة للحنفية تعرف بالمدرسة السيوفية لان سوق السيوفية كان على بابها، ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٢٦.

(٩١٢) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٦٩.

(٩١٣) الفطرة، وهي الفطرة التي تعمل في العيد، وأنشأ لها دار عرفت بدار الفطرة، وأول من رتبها الخليفة العزيز بالله وكانت الفطرة تعمل بإيوان القصر وتفرق منه، إلى أن تحول الوزير الأفضل من القاهرة إلى مصر وسكن بها وعمل للفطرة دار جديدة وعملت بها الفطرة مدة، وما يخص الخليفة وجهاته وخواصه كان يعمل بالإيوان، ولما توفي الأفضل وتولى المأمون الوزارة بني داراً للفطرة خارج القصر قبالة باب الديلم ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٢٦.

(٩١٤) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٧١.

(٩١٥) نفس المصدر، ج٢، ص٢١٧.

(٩١٦) ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٣٨.

(٩١٧) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٧٥.

(٩١٨) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٦٠، الدينار كوحدة وزن يساوي مثقالاً واحداً وكوزن سبيكة ذهبية ٣٣٣و٤ غم، هنتس، **المكاييل**، ص٢٩.

كانت تتمتع فئات الخاصة في المجتمع الفاطمي.

وكذلك تمتع الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بالثراء في حياته فأتخذ دار الملك التي بناها سنة ٥٠١هـ/١١٢١م وجعل فيها الأسمطة واتخذ بها مجلساً للعطايا(٩١٩) وقد وجد بعد وفاته في هذه الدار ما لا يحصي من الأدوات والثياب والبسط والستور، وبالرغم ما تمتع به وزراء الفاطميين من ثراء نجد أن المصادر لم تورد لنساء الوزراء أية إشارة لمعرفة أحوالهن ولكن على ما يبدو تمتعن بالثراء الذي عاش به أزواجهن الوزراء.

---

(٩١٩) ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص١٥.

المقالة VI. المبحث الثاني: المنشآت العمرانية لنساء الخاصة:

ازدانت مصر في العصر الفاطمي بأنوار الحضارة الإسلامية حيث تبارى الخلفاء في إنشاء المساجد والقصور والمناظر والبساتين وتبارت النساء كذلك في إنشاء الكثير من المساجد والربط مما عكس مظاهر الثراء عند الفاطميين في الكثير من الجوانب في حياتهم الخاصة حيث كانت قصورهم التي أدخلت فيها الكثير من أساليب الزخرفة مما نقل إليها من فن أساليب العمارة في المغرب(٩٢٠) ومنها قصر الشوك وأحيانا يطلق عليه قصر الشوق عند العامة وقصر الزمرد وقصر النسيم، وقصر الحريم (٩٢١) والقصر الشرقي والذي توجد فيه قاعة الذهب وهي دار الملك للخليفة(٩٢٢) والمناظر التي ينزلون بها والجوامع(٩٢٣) وكانوا ينزلون بها هم ووزرائهم وحاشيتهم إلى أن انتهت دولتهم على يد صلاح الدين الأيوبي وأخرج أهل القصور منها(٩٢٤) وكذلك تمتعت المرأة الفاطمية بالقدرة المادية والوعي وعملت على نشر المذهب الشيعي وذلك بمشاركتها في إنشاء الكثير من المنشآت الدينية من الجوامع والربط والمكتبات العلمية في القصور والمنتزهات للترفيه والمتعة.

المقالة VII.

المقالة VIII. منازل العز:

أنشأتها السيدة تغريد زوجة الخليفة المعز ووالدة الخليفة العزيز بالله والتي توفيت سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م أي قبل وفاة ابنها العزيز بعام، ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مطلة على النيل ومازال الخلفاء يتنزهون فيها ويتداولونها من بعد الخليفة المعز حيث كانت معدة لنزهاتهم(٩٢٥) وبعد نهاية الدولة الفاطمية حولها صلاح الدين الأيوبي إلى مدرسة لفقهاء الشافعية(٩٢٦) حيث كانت هذه من أخطر الخطوات التي قام بها صلاح الدين لطمس معالم المذهب الشيعي في مصر وهي بناء المدارس السنية والتي كانت بمثابة الانقلاب الفكري على المذهب الشيعي(٩٢٧) وحول الكثير

---

(٩٢٠) عبد الوهاب، حسن، **تاريخ المساجد الأثرية**، الهيئة المصرية للكتاب، ط٢، ١٩٩٤م ص١٧، وسيشار إليه لاحقاً: عبد الوهاب، تاريخ المساجد.

(٩٢١) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٦٥.

(٩٢٢) **موسوعة تاريخ مصر**، لمجموعة من المؤلفين، ص٣٢٦.

(٩٢٣) أيوب، **التاريخ الفاطمي**، ص١٠٩.

(٩٢٤) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٦٦.

(٩٢٥) نفس المصدر، ج٢، ص٣٧٦.

(٩٢٦) بدوي، عبد المجيد أبو الفتوح، **التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد**، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط ١٩٨٨م، ص٢٣٠، وسيشار إليه لاحقاً: بدوي التاريخ السياسي.

(٩٢٧) بدوي، **التاريخ السياسي**، ص٢٣٠.

من القصور والمنشآت إلى أشياء أكثر نفعاً لخدمة المذهب السني والدولة وعمل على وقف ممتلكات الفاطميين حتى أملاك الوزراء والأمراء(٩٢٨) ربما لانه كان في حاجة إلى المال لتثبيت أقدا دولته، وأن يمسح أثار الفاطميين ومذهبهم(٩٢٩) ومن ثم أتبعها بعدة خطوات أدت إلى سقوط الدولة الفاطمية في مصر ومسح أثار المذهب الشيعي.

المقالة IX.

المقالة X. جامع القرافة:

بنته السيدة تغريد زوجة الخليفة المعز وأم الخليفة العزيز وفي سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م(٩٣٠) ويعد جامع القرافة أو ما يعرف بجامع الأولياء(٩٣١) ثاني جامع في الدولة أقامه الفاطميون في مصر بعد الجامع الأزهر وبني على هيئته(٩٣٢) ويتكون من مسجد وقصر وحمام، وقام تحت إشراف الحسين ابن عبد العزيز الفارسي المحتسب، هذا يدل على أن هنالك وظائف أخرى للمحتسب والتي لم تذكرها المصادر قد تكون ليست واردة كثيراً وهي الإشراف على البناء، وبه بستان كان متنزهاً وفي غربيه صهريج(٩٣٣) ومدخل بابه ذو المصاطب الكبيرة وفي الوسط مصفح وتتكون المقصورة من عدة أبواب وعددها أربعة عشر باباً وأمام كل باب قنطرة على عمودي رخام ومزوقة بأنواع الأصباغ الملونة كلها، وكان من أحسن الآثار في إتقان بنيانه وصحة أركانه(٩٣٤) وله منظرة كبيرة مطلة على قبو وتحته حوض لسقي الدواب، وكان جامع القرافة يؤدى دوره كسائر الجوامع في مصر، وكانت ترسل له الأسمطه وكل ما يختص به من مختلف الأعياد والمناسبات التي تقام في الدولة وذلك بالرسم الخاص بالقراء والوعاظ(٩٣٥) بالمساجد والمشاهد الشريفة(٩٣٦) ويفرق على

---

(٩٢٨) أمين، محمد، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر(٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م) دراسة تاريخية وثائقية**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ١٩٨٠م، ص٦٧، وسيشار إليه لاحقاً: أمين، الأوقاف.

(٩٢٩) أمين، **الأوقاف**، ص٦٧- ٦٨.

(٩٣٠) ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٦٣.

(٩٣١) **تاريخ المساجد**، ص١٢.

(٩٣٢) ابن مأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٦٣.

(٩٣٣) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٢١٠، ٢١١.

(٩٣٤) **نفس المصدر**، ج٢ ص٣٧٩.

(٩٣٥) ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص ٣٥.

(٩٣٦) المشاهد الشريفة وهي مشاهد أقيمت على عدد من آل البيت مثل مشهد السيدة سكينة، ومشهد السيدة عاتكة ومشهد السيدة رقية، بالإضافة إلى المشاهد التي أنشئت في عهد الدولة الفاطمية التي أنشاها الخليفة= =الحاكم وللمزيد عن المشاهد. انظر، ابن مأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٣٥، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٩. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٨١.

المساكين بالمسجد الأزهر والمسجد العتيق بمصر ومسجد القرافة خمسة قناطير[٩٣٧] من الحلوى وألف رطل سكر[٩٣٨] وذلك برسمها السنوي.

وتعرض مسجد القرافة للخراب عند حريق مدينة الفسطاط سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م[٩٣٩] مثل ما تعرضت الكثير من المنشآت العمرانية للخراب بسبب الحريق، وفي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م جدده الخليفة الآمر باحكام الله[٩٤٠].

المقالة XI.

المقالة XII. الدار القطبية:

وهي قاعة للسيدة ست الملك ابنة الخليفة العزيز وأخت الخليفة الحاكم وقد حظيت بمكانة عالية عند والدها العزيز الذي أحاطها بالكثير من أسباب الترف والثراء وأفرد لها سكن خاص في القصر الغربي الصغير[٩٤١] لتعيش فيها بمفردها وهي ما عرفت بالدار القطبية مقابلة للقصر الشرقي[٩٤٢] اتجاه قاعة الذهب[٩٤٣] وجعل لها طائفة برسمها كانوا يسمون بالقصرية[٩٤٤] وكان هذا القصر يشتمل على عدة أماكن ومنها الميدان الغربي وإصطبل القطبية[٩٤٥] الذي قد يكون سمي على اسم الدار.

المقالة XIII.

المقالة XIV. مسجد السيدة رقية:

أنشأته السيدة علم الاَمرية زوجة الخليفة الآمر بأحكام الله والتي ينسب لها عدة مساجد، وأقامت هذا المسجد سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م ويوجد فيه تابوت خشبي عليه نقوش كتابية مكتوب عليها هذا مسجد السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه[٩٤٦] وكذلك مسجد النارنج ينسب إلى السيدة علم الاَمرية بنته سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م.

---

(٩٣٧) قنطار، القنطار الواحد يساوي ١٠٠رطل. هنتس، **المكاييل**، ص٤٠.

(٩٣٨) ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٦٠.

(٩٣٩) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٣٢٦.

(٩٤٠) **نفس المصدر**، ج٢، ص٣٧٩.

(٩٤١) ريمون، **القاهرة**، ص٥٢.

(٩٤٢) ابن المأمون، **نصوص من أخبار**، ص٢٠.

(٩٤٣) قاعة الذهب، وتعرف أيضاً بقصر الذهب وهي أحد قاعات القصر الكبير من مباني الخليفة العزيز وكان يدخل إليها من باب الذهب ومن باب البحر الذي يقع اتجاه المدرسة الكاملية، وكان يعمل بها سماط رمضان وسماط العيدين وبها سرير الملك ابن المأمون، نصوص من أخبار، ص٩٩.

(٩٤٤) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢ ص٢٩٨.

(٩٤٥) **نفس المصدر**، ج٢ ص٢٩٨.

(٩٤٦) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢ ص٦٥٢.

ولم يوجد لدينا ما يشير إلى ما أوقف على تلك المنشات من الأموال علماً بأن للحباس[٩٤٧] رتبة عظمية في الدولة، وأن ندرة المعلومات لا تعني عدم وجود أوقاف للمرأة في العصر الفاطمي.

أمتلكن نساء الخاصة اقطاعات كبيرة فكان لست الملك عبرة[٩٤٨] سنة ٣٨٩هـ/٩٨٩م الخراجية قد يمثل هذا خراجها السنوي، مبلغ مائة ألف دينار ومنها ضياع في الصعيد وضياع في أسفل الأرض ثمانية وستون ألفاً وأربعمائة وخمسون ديناراً ومنها بمنطقة بوبيج[٩٤٩] ستة آلاف وسبعمائة وخمسون ديناراً وصهرجت[٩٥٠] سبعة عشر ألف دينار، ودمنهور[٩٥١] خمسة آلاف دينار والباقي من ذلك واحد وثلاثون ألف دينار وخمسمائة وخمسون دينار من دور وبساتين[٩٥٢] وهذا ما يدل على ضخامة ثروات نساء الطبقة الخاصة.

---

(٩٤٧) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص١٠٠ – ١٠١، وكانت الأحباس من مهمة قاض القضاة واليه أمر الجوامع والمشاهد والرباع، انظر نفس المصدر.

(٩٤٨) العبرة، وهي كلمة اصطلاحية معناها المقدار المربوط من الخراج أو الأموال على كل إقطاع من الأراضي وما يتحصل من قرية من عين وغلة وصنف، ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، حاشية، ص١٠.

(٩٤٩) بوتيج: من أعمال السيوطية وهي الآن أبوتيج. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٣٣.

(٩٥٠) صهرجت الحالية وهي اثنتان صهرجت الكبرى وصرجهت الصغرى، الأولي بمركز ميت غمر على الشاطئ الشرقي لترعة الساحل وفي الجنوب الشرقي لمنية العز بنحو أربعة كيلو مترات، والثانية بمركز منية سمنود في الجنوب الشرقي لناجية بشلا بنحو ألف قصبة، في الشمال الشرقي. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٣٣.

(٩٥١) دمنهور: بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد في طريق مصر متوسطة الحجم في الصغر والكبر، ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص٥٣٦.

(٩٥٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٣٣.

المبحث الثالث: سوء الأوضاع الاقتصادية وانعكاسها على المرأة

هنالك بعض الإشارات التي تشير إلى أن الدولة حرصت قدر استطاعتها على إرضاء رعاياها في مصر وجذب أفئدتهم وعقولهم لتأييدها، وكان لهم في ذلك وسائل متعددة، لعل أهمها إشباع بطون الناس لكسب قلوبهم(٩٥٣) حيث كان الخلفاء يغدقون بسخاء على الفقراء والمحتاجين وخاصة في المواسم والأعياد حيث توزع الهبات والصدقات على الذين يقفون في طريق موكب الخلفاء(٩٥٤) غير أن هذه الهبات والصدقات لا تمثل حلولاً جذرية لمعاناة العامة الذين يعيشون حياة الكفاف، ويروي المسبحي أن رجلاً سرق قنديلاً من الفضة من جامع عمرو بن العاص فرفع الأمر إلى الخليفة الحاكم فقال الحاكم للرجل"ويلك سرقت فضة الجامع، فقال الرجل سرقت مال ربي وأني فقير ولي بنات جياع والإنفاق عليهن أفضل من تعليقه على الجامع" وحزن الحاكم وأمر بإحضار بناته وأن يجهزن بثلاثة آلاف دينار ويزوجن وأعاد القنديل إلى الجامع"(٩٥٥) وتعطي هذه الرواية مؤشراً على سوء أوضاع العامة المعشية.

وكانت الدولة تسعى إلى تخفيف معاناتهم وتتبع أحوالهم في بعض الفترات وذلك عندما قام الوزير المأمون البطائحي بعملية مسح ربما تشبه العملية الإحصائية للسكان والتي تقوم بها الدول الآن، وقدمت له الأوراق التي تحمل أسماء أهل مصر والقاهرة ومساكنهم وأحوالهم ومعايشهم وكل ساكن من سكان الحارات من الغرباء وأما من لم يستطيع الوصول إليه من النساء فإنه سير من قبله نساء يدخلن المساكن ويتعرفن أحوال سكانها، وكانت جميع أحوال مصر والقاهرة لا يخفي عليه منها شيء(٩٥٦).

ونجد أن أوضاع الفئات الخاصة تختلف عن أوضاع العامة لارتباط أوضاعهم المعيشية بمقدار دخلهم وما يسود في الدولة من ظروف تؤثر سلباً عليهم بصورة أكثر من تأثيرها على فئات الخاصة، وكانت أوضاعهم تتأرجح وتتقلب حسب أوضاع الدولة السياسية و الإدارية والاقتصادية والاجتماعية ولما كان لها من إيجاد فوارق بينهم في المجتمع الواحد، وكانت الطبقة العامة الأكثر تضرراً من قلة الأقوات وانتشار الأمراض إلى جانب احتكار الغلات وتلاعب المحتكرين من التجار عندما يحتكرون المواد الغذائية ومن ثم بيعها إلى الناس بأثمان مرتفعة(٩٥٧) إلى جانب تدني الأجور، لأن الرواتب في الدولة تختلف حسب الوظائف التي يشغلها الموظف فرواتب الفئات العليا

---

(٩٥٣) سلطان **المجتمع المصري**، ص٧٩.

(٩٥٤) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص١٦٠ وللمزيد عن موكب الخلفاء انظر، نفس المرجع، ص١٦١- ٢٠٣.

(٩٥٥)الكندي، أبو عمار بن يوسف (٣٥٠هـ/٩٦١م)، **ذيل كتاب القضاة والولاة**، دار الكتاب العلمية بيروت، ط ١٩٠٨م، ص٦٠٧، وسيشار إليه لاحقاً: الكندي، ذيل كتاب القضاة.

(٩٥٦) ابن ميسر، **المنتقي**، ص٩٨.

(٩٥٧) أيوب، **المجتمع الفاطمي**، ص٦٥.

تختلف من بقية الفئات في الدولة فقد فرض الخلفاء رواتب حتى لإخوة الوزراء وأولادهم وحاشيتهم بالإضافة إلى الاقطاعات والخلع والهدايا في الأعياد وقد يصل راتب الوزير في السنة مائة ألف دينار(٩٥٨) وراتب قاضي القضاة ومائتي ألف دينار وإلى جانب ما يقدم لهم من الهدايا والخلع، وهذا ينطبق على رواتب بقيَة الفئات مثل صاحب الباب وديوان الإنشاء وغيرها من وظائف الدولة على اختلاف مراتبهم(٩٥٩) أما رواتب الفئات الأقل شاناً من أرباب الوظائف الصغيرة في الدولة مثل الفراشين والمؤذنين والخياطين فتكاد لا تقيهم الجوع وذلك لتقلبات الأسعار.

وثمة علاقة وثيقة بين الرواتب والأجور والأسعار وقد استخدمت الدنانير المغشوشة في الشراء مما أدى إلى تدني قيمة العملة المتداولة وكانت الدولة في هذه الحالات تلجا إلى إنذار الناس بأن استبدال العملة القديمة بالعملة الجديدة التي تطرحها ضمن مدة معينة(٩٦٠) وتفشت الرشوة في المعاملات وتضخمت ثروات الوزراء على حساب العامة فثروة الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ظل الكتاب يحصون فيها في دار الملك(٩٦١) ودار الوزارة(٩٦٢) لمدة أربعين يوماً(٩٦٣) مما يدل على عظم ثروات الوزراء، بالإضافة إلى الفساد الإداري الذي ظهر في العصر الفاطمي الثاني وتمثل بظهور الرشاوى وتحكم الوزراء في شؤون الدولة وتغلبهم على سلطة الخلفاء مما كان له الأثر البالغ في تدني أوضاع العامة.

لابد أن نقف على المجاعات التي اجتاحت مصر في العصر الفاطمي، منذ قدوم جوهر الصقلي لمصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م(٩٦٤) كانت مصر تعاني من قحط ووباء بدا منذ عام ٣٥١هـ/

---

(٩٥٨) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٠١.

(٩٥٩) أيوب، **تاريخ**، ص٦٩.

(٩٦٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٦٩، وبلغ كل درهم من الجديد أربعة دراهم، وحملت الدراهم القديمة إلى دار الضرب، للمزيد انظر نفس المصدر.

(٩٦١) دار الملك: بدأ في بنائها الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م ولما أكتمل بنائها انتقل إليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها وحول إليها الدواوين من القصر وجعل فيها الأسمطة واتخذ بها مجلساً سماه "مجلس العطايا" وكان يجلس فيها، وبعد مقتل الأفضل سنة ٥١٥هـ/١١٢١م صارت دار الملك من جملة منتزهات الخلفاء فقد كان بها بستان عظيم. ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، حاشية ص١٥، وللمزيد انظر: **نفس المصدر**، ص١٠١.

(٩٦٢) **دار الوزارة:** كانت تعرف بدار القباب وكانت تجاه القصر الشرقي من جهته البحرية، ويفصل بينهما رحبة باب العيد، جددها الأفضل شاهنشاه وسماها دار الوزارة الكبرى. ابن المأمون، **نصوص من أخبار**، ص٢٤.

(٩٦٣) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٦٩.

(٩٦٤) الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج٣، ص٢٦.

٩٦٢م مما أفضى إلى ارتفاع الأسعار حتى بلغ سعر القمح تسعة أقداح بدينار [٩٦٥] ومات الكثير من الناس من انتشار مرض الطاعون وكثرت أعمال السلب والنهب ولم تضع المجاعة أوزارها إلا عام ٣٦١هـ/٩٧٢م حيث انخفضت الأسعار وأخصبت الأرض[٩٦٦] من خلال المجاعة التي واجهت دخول الفاطميين إلى مصر ما جعلهم يهتمون بأمر النيل[٩٦٧] زيادة ونقصاناً تمثل ذلك بالمناداة اليومية[٩٦٨] التي توضح للناس مقدار الزيادة استعداداً للزراعة[٩٦٩].

عبرت العامة عن استيائها كانت أحيانا تستاء من تدني أوضاعها بإيصال صوتها إلى كبار رجال الدولة، فكانوا يعرضون مظالمهم على الخلفاء والمسؤلين ويطالبون بالإصلاح، وكان الخليفة العزيز قريباً من الناس[٩٧٠] يأخذ الرقاع من المتظلمين وكانت شكاواهم تتركز في غلاء الأسعار [٩٧١].

عندما حدث الغلاء سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م ارتفع سعر الخبز إلى أربعة أرطال بدرهم[٩٧٢] ونلاحظ أن المجاعات في عهد الخليفة الحاكم ظهرت منذ العام التالي لخلافته وكان الخليفة يبذل جهده في تخفيف تأثير تلك المجاعات على الناس، وشهد عهد الخليفة الحاكم سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م سلسلة من المجاعات، وكان احتكار التجار للغلال وتلاعبهم بالأسعار في كثير من الأحيان هو السبب الرئيسي وراء المجاعات[٩٧٣] إلى أن وضعت الدولة تدابير حاسمة مع التجار، إذ ضرب الخليفة الحاكم مجموعة منهم وشهرهم وأمر أن لا يباع القمح لا للطحانين بالسعر الرسمي[٩٧٤] الذي تحدده لهم الدولة، وفي عام ٣٩٧هـ/١٠٠٦م نودي أن يكون سعر الخبز كل أثني عشر رطل بدرهم حيث كان كل ثلاث أرطال بدرهم، وسعر اللحم رطلين بدرهم وسعرت الكثير

([٩٦٥]) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص١١٨، أقداح، قدح مكيال مصري له حجمان"القدح الصغير"وكان كل ١٦ويبة منه تساوي ويبة وكل ٩٦ تساوي إردبا، "القدح الكبير"وكان كل٨ منه تساوي ويبة وكل ٤٨ تساوي إردبا، هنتس، **المكاييل**، ص ٦٥.

([٩٦٦]) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص١٣.

([٩٦٧]) ماجد، عبد المنعم، امرأة مصرية تتزعم مظاهرة في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، **المجلة التاريخية المصرية**، تصدرها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الرابع والعشرين، ع ١٩٧٧م، ص٣٣، وسيشار إليه لاحقاً: ماجد، امرأة تتزعم مظاهرة.

([٩٦٨]) خسرو، **سفر نامة**، ص٤٢.

([٩٦٩]) الصاوي، **مجاعات مصر**، ص٣٢.

([٩٧٠]) النويري **نهاية الأرب**، ج٢٦، ص٤٩.

([٩٧١]) سلطان، **المجتمع المصري**، ص٨١.

([٩٧٢]) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٨.

([٩٧٣]) ماجد، **امرأة مصرية تتزعم مظاهرة**، ص٣٤.

([٩٧٤]) ماجد، **الحاكم بأمر الله**، ص٦٤.

من الأشياء[٩٧٥] واستمرت عدم زيادة النيل حتى استسقي الناس مرتين في عام ٣٩٨هـ/١٠٠٧م ولم يزيد عن الخمسة عشر ذراعاً[٩٧٦] وعمل الحاكم كمحتسب وكان يدور في الأسواق لمراقبة الناس[٩٧٧] وقد يكون الخليفة الحاكم أراد معرفة أحوال الأسواق في وقت الغلاء لما يكون فيها من استغلال للعامة من قبل التجار، وأجبر التجار على تنفيذ القرارات التي اتخذتها الدولة لتسعير الخبز والمواد الغذائية[٩٧٨] فضرب جماعة من الطحانين والخبازين[٩٧٩] بالسياط وشهروا لبيعهم الخبز مبلولاً ليزيد وزنه[٩٨٠] وهذا يكشف لنا تلاعب التجار والطحانين واستغلالهم لظروف الناس السيئة مما يزيد الأحوال سوءاً، وفي سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م وأيضاً في عهد الخليفة الحاكم أشتد ارتفاع الأسعار ووصل سعر الدقيق رطل بدرهم واللحم أربع أواق[٩٨١] بدرهم ومات كثير من الناس بالجوع وبلغ عدد من مات مائتي ألف وسبعين ألفا سوي الغرباء[٩٨٢].

وقد لا تمثل هذه الأرقام الأعداد الحقيقية للموتى بسبب اشتداد الغلاء، غير أنها تعطي مؤشراً على الأثر السلبي الذي تركته تلك المجاعات على سكان مصر في العصر الفاطمي وأن الأوضاع السيئة دفعت بعض الخلفاء لاتخاذ إجراءات[٩٨٣] عاجلة لمساعدة العامة خاصة في فترت المجاعات ونجد في سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م عندما ارتفعت الأسعار وازدحم الناس على الخبز فقام الخليفة الحاكم بتفريق الأموال على الفقراء[٩٨٤] كإجراء قصد منه التخفيف من وطأة هذه المجاعات على السكان.

وفي عهد الخليفة الظاهر بالرغم من قصر مدة خلافته (٤١١هـ-٤٢٧هـ/١٠٢٠م-١٠٣٥ م) فإن البلاد شهدت في عهده مجاعات مخيفة خصوصاً وأن شخصية الظاهر كانت ضعيفة و يسيطر عليه رجال الدولة مما أدى إلى تضخم دور رجال الدولة، ومارسوا تجارة الغلال وتمادوا في الاحتكار والتحكم في أسعار البيع[٩٨٥] وكانت معدلات النيل تتأرجح بين الانخفاض

(٩٧٥) المقريزي، **اتعاظ الحنفا** ، ج٢، ص٦٩.

(٩٧٦) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٩٧٧) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٤، ص١٨٤، السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢، ص٢١٣.

(٩٧٨) سلطان، **الأسواق**، ص٨٧.

(٩٧٩) ماجد، **امرأة مصرية تتزعم مظاهرة**، ص٣٥.

(٩٨٠) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص١٦. **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٧١.

(٩٨١) الوقية تساوي في الأصل واحد على اثني عشر من الرطل (١/١٢) هنتس، **المكاييل**، ص١٩.

(٩٨٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١١٥.

(٩٨٣) ماجد، **امرأة مصرية تتزعم مظاهرة**، ص ٣٥.

(٩٨٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٩٣.

(٩٨٥) الصاوي، **مجاعات مصر**، ص٤١-٤٢.

والارتفاع وفي سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م كان الأكثر نقصاناً ومما أدى إلى ارتفاع الأسعار[٩٨٦] وحدثت في سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م

مجاعة كانت بسبب تكاثر الفئران حيث أكلت الزرع وانتشر الوباء بين السكان تبعاً لذلك[٩٨٧].

وقد تباينت الحياة الاقتصادية في عهد الخليفة المستنصر وتميزت في صدر خلافته بالرخاء فقد نشطت الزراعة والتجارة والصناعة[٩٨٨] ونعمت الدولة بالاستقرار، إلا أن الأوضاع الاقتصادية للدولة بدأت في الاضطراب منذ عام ٤٤٤هـ/١٠٥٢م إلى أن بلغت ذروتها[٩٨٩] فيما يعرف بالشدة العظمى والتي بدأت بحدوث غلاء شديد بسبب تلاعب التجار بالأسعار واحتكارهم المواد الغذائية مما يدل على أن المجتمع الفاطمي لم يعرف استقرار في أسعار السلع الغذائية، وقد يكون ذلك بسبب قصور النيل وتلاعب التجار بالأسعار[٩٩٠] وثمة عامل أخر له أثر بالغ وهو نشوب الفتن بين طوائف السكان، ويمكن أن يكون هذا عامل مهم أفضى بالدولة في عهد المستنصر إلى الشدة العظمى وذلك لانشغال الناس بالفتن حيث تركوا الزراعة لانعدام الأمن وتزايد ظلم العمال والقواد وتشددوا في تحصيل الضرائب بسبب حاجة الدولة المتزايدة للأموال[٩٩١] وكل ذلك أدى بالبلاد إلى الشدة التي طالت كل مؤسسات الدولة بالخراب وانعكست على مجمل أوضاعها بالفساد وكثر الوباء وأكلت الناس الجيف وقد هلك فيها ما لا يحصي من الناس[٩٩٢].

وانعكست هذه الأوضاع الاقتصادية السيئة بلاشك على المرأة من العامة بأسوأ الأحوال وذلك لأن كل النساء لم تتمكن من الهجرة بالتالي واجهن الجوع والموت، في زمن الشدة المستنصرية والتي امتدت على كل البلاد وطبقاتها العامة والخاصة حيث خرجت نساء القصور ناشرات شعورهن يصحن الجوع- الجوع يردن المسير إلى العراق فيسقطن ويمتن جوعاً[٩٩٣].

وهناك رواية انفرد بها المقريزي وذلك" أن امرأة من أرباب البيوت(الطبقة الخاصة) أخذت عقداً لها قيمته ألف دينار وعرضته على جماعة ليعطوها به دقيقاً وكانت المرأة تسكن بالقاهرة فلما

---

(٩٨٦) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٨٠.

(٩٨٧) **نفس المصدر**، ج٢، ص١٨٢.

(٩٨٨) خسرو، **سفر نامة**، ص١٠٧.

(٩٨٩) العزام، **الدولة الفاطمية**، ص١٣٨.

(٩٩٠) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٤٩، ماجد، **امرأة مصرية تتزعم مظاهرة**، ص٣٥.

(٩٩١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص٣١٣.

(٩٩٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٧٩.

(٩٩٣) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٦٠، انظر: ماجد، **امرأة مصرية**، ص٣٧.

أخذت الدقيق أعطته لمن يحميها من النهابة في الطريق فلما وصلت إلى باب زويلة[٩٩٤] تسلمته من الحماة ومشت به قليلاً فتكاثر الناس عليها وتناهبوه نهباً منها فأخذت هي مع الناس من الدقيق ملء يديها ثم عجنته وشوته فلما صارت قرصة أخذتها معها ووصلت إلى أحد أبواب القصر ووقفت على مكان مرتفع ورفعت القرصة على يديها بحيث يراها الناس ونادت بأعلى صوتها" يا أهل القاهرة ادعوا لمولانا المستنصر الذي أسعد الناس بأيامه وعاد عليهم بركات حسن نظره حتى حصلت على هذه القرصة بألف دينار"[٩٩٥].

وفي رواية أخرى لابن ميسر ذكر أن امرأة كانت ميسورة الحال فباعت من عندها ما يساوي ألف دينار بثلاثمائة دينار واشترت به حنطة فنهبت منها في الطريق فنهبت هي مع من نهب فكان الذي نابها من النهب قدر ما جاء رغيفاً[٩٩٦] وأن كلا الروايتين تشيران إلى الآثار السلبية للشدة المستنصرية على البلاد في النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وخلت خزائن الدولة من الأموال[٩٩٧] حتى اعتاد الناس على أكل لحوم البشر.

ويذكر المقريزي امرأة خطفها الخطافون وكانت بدينة فادخلوها بيتاً فيه السكاكين وأثار الدماء وزفرة القتلى وأوثقوها وأخذوا يشرحون من أفخاذها ويشون ويأكلون منها حتى شبعوا وسكروا، ففرت منهم واستغاثت بالوالي الذي كبس على الدار وضربت أعناقهم[٩٩٨] ربما يمثل هذا جانب من معاناة نساء العامة في فترت الشدة المستنصرية، ما آلت إليه أحولهن في تلك الفترة التي لاشك كان لها أثر كبير وبالغ عليهن.

---

(٩٩٤) زويلة: أحد أبواب القاهرة التي أنشاها جوهر الصقلي عرف بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة زويلة وهي من قبائل البربر الذين قدموا مع جوهر الصقلي من المغرب وقد سكنوا بحارة عرفت باسمهم حارة زويلة عند= المدخل الجنوبي لمدينة القاهرة. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٩٤، المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٧٩-١٧٠، القلقسندي، **صبح الاعشي**، ج٣، ص٣٤٠.

(٩٩٥) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٦١.

(٩٩٦) ابن ميسر، **المنتقي**، ص٥٧.

(٩٩٧) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٧١-١٧٩. النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٨، ص٢٢٦.

(٩٩٨) **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٣٣٧.

الفصل الرابـع
مظاهر الحياة الاجتماعية للمرأة
في العصر الفاطمي

المبحث الأول: عادات وتقاليد الزواج في العصر الفاطمي.

المبحث الثاني: المرأة والاحتفالات العائلية والرسمية.

المبحث الثالث: دور المرأة العلمي والثقافي في العصر الفاطمي.

المبحث الرابـع: ملابس النساء في العصر الفاطمي وأدوات الزينة.

الفصل الرابع

المقالة XV. مظاهر الحياة الاجتماعية للمرأة في العصر الفاطمي

أحدث قدوم الفاطميين إلى مصر واتخاذها مقراً لحكمهم في أواسط القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي تأثيرا هاماً في الحياة الاجتماعية أهمها المساكن فندما أسس الفاطميون مدينة القاهرة ٣٥٨هـ/٩٦٢م [٩٩٩] لتكون داراً للخلافة الفاطمية ولرجال الدولة وموظفيها ولم يكن مسموحاً للعامة بالإقامة فيها[١٠٠٠] ثم أباح بدر الجمالي للعامة في فترة الشدة المستنصرية لكل من له القدرة على البناء أن يعمر ما شاء في القاهرة[١٠٠١] ولما كانت العامة في معظمهم ليست لديهم القدرة على التعمير ظلت القاهرة حتى أواخر العصر الفاطمي سكناً لأصحاب المستوى الاقتصادي المرتفع من الفئات الخاصة وغيرهم[١٠٠٢] إلا أن هذا لا يمنع من دخول العامة إلى مدينة القاهرة والعمل فيها ومن وحريق مدينة الفسطاط، الذي أمر به شاور سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م[١٠٠٣] بداية التغيير الشامل في التوزيع السكاني للعامة بين القاهرة والفسطاط حيث أنتقل أهلها وكان جلهم من العامة إلى القاهرة وأقاموا منازلهم مما نقلوه معهم من أنقاض المدينة المحروقة واستعملوه في التشييد بذلك أصبحت القاهرة غير مقصورة على مساكن السلطة الحاكمة بل كان يجاورهم فيها العامة[١٠٠٤].

وبصفة عامة كانت العلاقات الاجتماعية في العصر الفاطمي تتجلي فيها صور الألفة والعيش بسلام وذلك من خلال مشاركة الناس لأصحاب السلطة في عادتهم وتقاليدهم والأعياد والمناسبات والاحتفالات والمواكب الرسمية.

---

(٩٩٩) ريمون، **القاهرة**، ص٤٩ – ٥٨، فؤاد، **التطور العمراني**، ص١١.

(١٠٠٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص١٠٢– ١٠٣، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٣٤٨.

(١٠٠١) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٣٦٨.

(١٠٠٢) جومار، **وصف مدينة القاهرة**، ص٢٦.

(١٠٠٣) نفس المرجع، ص٢٨.

(١٠٠٤) **نفس المرجع**، ص٢٦.

المقالة XVI. المبحث الأول: العادات وتقاليد الزواج في العصر الفاطمي

جرت العادة في بعض الفترات أن تتزوج الفتاة في وقت مبكر، وكان الزواج من الحرة من الأمور المستحسنة لإقامة الأسرة المستقرة[١٠٠٥] وكان اختيار العروس يتم من طريق الأهل ولم نسمع عن دور الخاطبة في العصر الفاطمي، كما في غيره من العصور حيث كان من المتعارف في كثير من المجتمعات الإسلامية، بأن من الخطبة عن طريق الوساطة وذلك أن يعهد إلى سيدة من الأهل أو الأقارب بالذهاب إلى أهل الفتاة لطلب يدها[١٠٠٦] وكان الزواج عادة يتم طبقاً لعقد مكتوب يوقع عليه عدد من الشهود ويزيد عن العشرة في بعض الأحيان[١٠٠٧] ويتولى عقد الزواج أحد رجال الدين أو الشهود العدول ولا يحق لهم ممارسة عقد الزواج إلا بأمر القاضي أو نوابه في الأقاليم[١٠٠٨].

وأما فيما يتعلق بالصداق أو المهر وهو بمعنى الهدية والتي تعتبر من حقوق الزوجة على زوجها[١٠٠٩] وليس هنالك فرق بين المذهب السني والشيعي من حيث قيمة الصداق[١٠١٠] ومن المؤكد أن زواج الطبقات الخاصة تولى قاضي القضاة عقد الزواج ففي سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م عقد زواج الخليفة العزيز على امرأة وأصدقها مائتي ألف دينار وقد أعطي من كتب الكتاب ألف دينار وخلع على القاضي والشهود وحملهم على البغال فطافوا المدينة بالطبول والبوقات[١٠١١] ومع أن الرواية لا تشير إلى كاتب العقد ولم توضح الزوجة التي كتب عليها الخليفة العزيز وأصدقها صداق بهذا القدر الذي نلتمس منها مكانة تلك المرأة والتي قد تكون من الطبقات

(١٠٠٥) عمارة، **النكت العصرية**، ص١٤٧.

(١٠٠٦) رحمة الله، مليحة، صورة من الحياة الاجتماعية في المجتمع العباسي في العراق، **المجلة التاريخية المصرية،** تصدرها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، مج١٧، ع ١٩٧٠م، ص٣١، وسيشار إليه لاحقاً: رحمة الله، صورة.

(١٠٠٧) جروهمان، أدلف، **أوراق البردي العربية،** ٦ أجزاء، نقلها إلى العربية: حسن إبراهيم حسن، القاهرة، ط ١٩٧٤م، ج١، ص٨١– ٨٢، وسيشار إليه لاحقاً: جروهمان، أوراق البردي.

(١٠٠٨) **جروهمان، أوراق البري،** ج١، ص١٠١.

(١٠٠٩) رحمة الله، **صورة،** ص٣١.

(١٠١٠) مغنية، جواد، **الجوامع والفوارق بين السنة والشيعة،** تحقيق: عبد المحسن مغنية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط١٩٩٤م، بيروت، ص٢٣٣ وما يلها، وسيشار إليه لاحقاً: مغنية، الجوامع.

(١٠١١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا،** ج١، ص٢٥٢.

الخاصة، في بعض الأحيان أن الخلفاء أنفسهم يقومون بعقد الزواج لأبنائهم وذلك عندما عقد الخليفة المستنصر لولده المستعلي على ابنة أخت الوزير الأفضل حيث عقد النكاح بنفسه[١٠١٢].

وينص عقد الزواج على قيمة الصداق الذي يناسب حالة الزوج ووضعه الاجتماعي وأن أقل ما ورد من قيمة الصداق في العقود البردية والتي يرجع تاريخها إلى القرون الثالث وإلى الخامس الهجري/ التاسع إلى الحادي عشر، هو دينار واحد، أعلاها ثمانون ديناراً[١٠١٣] وأن هذه العقود معظمها يخص الطبقة الوسطى والعامة وكان الزوج يحصل على ورقة من زوجته مكتوب فيها قيمة ما دفعه من الصداق ويوقع عليها عدد من الشهود[١٠١٤] وكذلك الزوجة تحصل على سند من زوجها بقيمة ما تأخر من صداقها[١٠١٥] وغالباً نجد ما تأخر من الصداق يكون أكثر مما دفع للزوجة كمقدم ولعل السبب هو تأمين المرأة اقتصادياً وقد يقصد منها أيضا إذا حصل انفصال بينهما أو مات الزوج عنها بالتالي يكون مال يساعدها على متطلبات حياتها.

ونجد أن قيمة ما يمهر أو ما يقدم كمهر للزوجة عند الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة والقواد في العصر الفاطمي يختلف عما يقدمه العامة، ونرى ذلك عندما عقد الخليفة العزيز على امرأة وامهرها مائتي ألف دينار[١٠١٦] وعندما تزوج الخليفة الآمر بأحكام الله السيدة علم الآمرية[١٠١٧] سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م كتب لها صداق المقدم منه أربعة عشر ألف دينار[١٠١٨].

مهور الوزراء والقواد في الدولة تختلف عن غيرهم من عامة الناس، وقد يدل هذا على ما كانوا يتمتعون به من مكانة وثراء في الدولة الفاطمية، ويتضح ذلك عندما تم عقد زواج ابنتي قائد القواد الحسين ابن جوهر[١٠١٩] سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م على أبني عبد الرحيم بن إلياس ابن عم الخليفة الحاكم[١٠٢٠] عقد زواجهما في القصر وقد كتبا في ثوب مصمت في رأس كل منهما بخط

(١٠١٢) **نفس المصدر**، ج٣، ص٨٥.

(١٠١٣) جروهمان، أدلف، **أوراق البردي العربية**، ٦ أجزاء، نقلها إلى العربية: حسن إبراهيم حسن، القاهرة، ط ١٩٧٤م، ج١، ص٧٦، وسيشار إليه لاحقاً: جروهمان، أوراق البردي.

(١٠١٤) جروهمان، **أوراق البردي**، ج١، ١١٢– ١١٣.

(١٠١٥) **نفس المرجع**، ج١، ص٧٧.

(١٠١٦) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٨٥، النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٦، ص٤٧.

(١٠١٧) **نفس المصدر**، ج٣، ص١٢٣، السيدة علم الآمرية، انظر، الفصل الخاص بفئات النساء.

(١٠١٨) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٤٤٦.

(١٠١٩) قائد القواد الحسين بن جوهر قلد الوزارة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله وخلع عليه وعندما اشتد بطش الخليفة على الوزراء والقواد هرب هو وابن النعمان وكتب لهما الحاكم الأمان فعادا ثم بطل من النظر وقتل. ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٣٨.

(١٠٢٠) الشيال، **الوثائق الفاطمية**، ص٥٧– ٥٨.

الحاكم "يعقد هذا النكاح بمشيئة الله وعونه" خلع على الزوجين وتحمل عنهما المهر وهو ألفا دينار[١٠٢١].

وكان عقد الزواج أحياناً ينص على أمور تشترطها الزوجة على زوجها من هذه الشروط التي وردت في أوراق البردي أن الزوجة تلزم الزوج في حالة اقترانه بزوجة أخرى أو أكثر أن تكون لها اليد العليا في شؤون الدار ولها الأمر والتدبير[١٠٢٢] وكذلك كانت تشترط عليه في حالة اتخاذه جارية أو حظية يكون أمرها بيدها أن شاءت اعتقت[١٠٢٣] وأن شاءت بيعت[١٠٢٤] وقد تقصد الزوجة من هذه الشروط أن تكون في مصلحتها، وهنالك شروط تتعلق بأهلها منها أنها تشترط على زوجها أن لا يمنعها من زيارة أهلها ولا يمنع أهلها من زيارتها[١٠٢٥].

وإذا نظرنا في عقود الزواج في العصر الفاطمي والخاصة بالمسلمات يلاحظ بعد البسملة تأتي الصيغة القانونية للعقد المعروفة من حيث أداء الصداق وتسمية الزوج والزوجة وغيرها، وعند الفاطميين عادة وهي الدعاء للخليفة وآبائه الطاهرين في نهاية عقد الزواج[١٠٢٦] ونجد أن هنالك إشارة مهمة من التقاليد الاجتماعية السائدة في العصر الفاطمي تفضي إلى عدم اختلاط الأشراف بغيرهم عن طريق المصاهرة للمحافظة على دم الأشراف[١٠٢٧] ولكن هذا التقليد لم يكن ساري في الكثير من العصور الفاطمية، وأن الخلفاء تزوجوا من بنات وأخوات الوزراء وغيرهم من رجال الدولة بعد أن ظهر الضعف على الخلافة ووضح جلياً تحكم الوزراء وقادة الجيش فيها وكذلك لهم تقليد أن لا يشاهد الرجل المرأة التي يرغب بالزواج منها قبل عقد الزواج[١٠٢٨].

وفيما يتعلق بجهاز العروس فإنه يختلف حسب الحالة المادية لأسرتها، كما يختلف الصداق تبعاً للحالة المادية للزوج أيضاً، يتكفل الزوج بدفع المهر وإعداد دار الزوجية وعلى أسرة الزوجة إعداد الجهاز للدار[١٠٢٩] وأن الجهاز لا يختلف في الكثير من العصور حيث أن التغيير في العادات الاجتماعية عادة يكون بطيئا وبالتالي قد يكون الجهاز في العصر الفاطمي هو نفسه

(١٠٢١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٩٨.

(١٠٢٢) جروهمان، **أوراق البردي**، ج١، ص٧٤.

(١٠٢٣) نفس المصدر، ج١، ص٨٩.

(١٠٢٤) عمارة، **النكت العصرية**، ص١٤٤، انظر الفصل الخاص بالجواري.

(١٠٢٥) جروهمان، **أوراق البردي**، ج١، ص٨٧– ٨٩.

(١٠٢٦) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٩٨، جروهمان، **أوراق البردي**، ج١، ص٩٨.

(١٠٢٧) القلقشندى، **صبح الأعشى**، ج١٠، ص٤٠٠.

(١٠٢٨) سلطان، **المجتمع المصري**، ص١٩١.

(١٠٢٩) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص١٠٥.

ما كان يوجد في العصور السابقة لها، ونجد أن التفاصيل عن الجهاز لم تكن شائعة في تلك الفترة.

وأما إذا كانت العروس من الطبقة الخاصة من بنات الخلفاء والوزراء والأعيان في الدولة من التجار، فأنها تجهز بأكثر مما تجهز به بنات العامة وأواسط الناس، وكانت الطبقات الخاصة تغالي في إعداد جهاز بناتها كنوع من المباهاة وإظهار الثراء والغنى وفي سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م زفت أخت كاتب السيدة العزيزية[١٠٣٠] إلى زوجها بلتكين التركي ومعها جهاز بمائة ألف دينار سوى صناديق محملة على ثلاثين بغلاً تحمل الملابس والتحف الثمينة، وعملت لها مائدة ضخمة ذبح فيها عشرون ألف حيوان مابين كبش وخروف وجدي وإوزة ودجاجة وفروج[١٠٣١] وأن المصادر لم تذكر شيئاً عن الموائد التي تقام في احتفالات العامة بالزواج إلا أنه من المؤكد أنها تتكون من بعض أنواع الأطعمة والحلوى والشراب البسيطة وهذه من الأشياء التي تمثل لهم مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة[١٠٣٢].

وكذلك عند زواج الخليفة العاضد من ابنة الوزير العادل طلائع بن رزيك وحمل معها جهاز فخم حتى يليق بمصاهرة الخليفة وفيه العديد من الصناديق التي بها قناطير من الذهب[١٠٣٣].

وكانت لدى الفاطميين دور مخصصة لإقامة حفلات الزفاف وكانت تستأجر من أصاحبها لهذا الغرض[١٠٣٤] وكانت تغطيها الستور التي لابد أن تكون غير شفافة حتى لا يستطيع الرجال مشاهدة النساء والعروس داخل الدار ولكن كما يتضح من رواية المقريزي أن أصاحبها لم يعتنوا بجودة الستور، مما مكنهم من التطلع على النساء المجتمعات في الحفل، وكانت الدولة تأخذ عليهم عهداً ويوقع صاحب الدار وثيقة بعدم التعرض لمن يستأجر دار الفرح وإلا منع من تأجيرها[١٠٣٥] وأن هذه الدار، معدة للأفراح حيث تجلس العروس في دكه عالية حتى يتمكن الجميع من رؤيتها وهي في كامل زينتها وعادة يكون هذا الحفل خاص للنساء دون الرجال[١٠٣٦].

(١٠٣٠) السيدة العزيزية زوجة الخليفة العزيز، انظر الفصل الخاص بفئات النساء.

(١٠٣١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٢٧١، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٣١٨.

(١٠٣٢) سلطان، **المجتمع المصري**، ص١٩٢.

(١٠٣٣) عمارة، **النكت العصرية**، ص٥٣-٥٤.

(١٠٣٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٠٠.

(١٠٣٥) **نفس المصدر**، ج٣، ص١٠١.

(١٠٣٦) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٠٠.

ومن المؤكد أن احتفالات الطبقة الخاصة تختلف عن طبقة العامة لما يميزها من مظاهر الفخامة والثراء فتوزع فيها الهبات الثمينة[١٠٣٧] وتنثر خلالها الأموال على العامة ويتباهي فيها الطرفين بما لديهم من أموال ومكانة، عكس العامة التي تعكس مظاهر الأفراح بساطة حياتهم الاجتماعية.

([١٠٣٧]) سلطان، المجتمع المصري، ص١٩٢.

## المقالة XVII.	المبحث الثاني: المرأة والاحتفالات العائلية والرسمية

تميزت الدولة الفاطمية في مصر باهتمامها بالكثير من المناسبات والاحتفالات الرسمية على مدار العام، بالإضافة إلى الاحتفالات العائلية منها، وانتشرت ظاهرة كثرة الاحتفالات بالمناسبات المختلفة في الأسر والدولة، وكانت من هذه المناسبات التي يحتفي بها وتعد موضع اهتمام سواء من الخاصة أو العامة، الاحتفال بالمواليد الجدد، وبالرغم أن المعلومات لدينا مقصورة على احتفالات الخلفاء وكبار رجال الدولة، ولكن إلا أنها تختلف عن احتفالات العامة وبل كانت احتفالات الخاصة تشكل موضع اهتمام العامة وأواسط الناس لما يقدم فيها من ألعاب وغناء ويكون ذلك تبعاً لثراء المحتفل ومكانته الاجتماعية بما يتبع لإقامة الولائم بهذه المناسبة، وفي سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م ولد للخليفة المستنصر ولد فأمر الناس بإقامة الأفراح فزينت المدينة والأسواق زينة لم يري مثلها(١٠٣٨) ولم تشر المصادر إلى الاحتفالات بالمواليد من الإناث وقد يكون هذا راجع إلى أن الولد يكون ولياً للعهد في بعض الأحيان وهذا ما يدل على أهمية الاحتفال بالمولود الذكر لديهم، وأن الاحتفال بالمولود الذكر يبدأ في اليوم التالي لولادته، فكان الخليفة الفاطمي يجلس في القصر ويتقبل التهاني من الأقارب والحاشية وكبار رجال الدولة(١٠٣٩) وفي سنة ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م ولد للخليفة الآمر ولد وفي اليوم السابع أمر أن يقام احتفال عظيم فيزين الإيوان الكبير بالقصر بهذه المناسبة بالستور الزاهية والملونة ووضعت على حوائطه أنواع من الأسلحة الخفيفة المزينة بالذهب والفضة والجواهر وكسيت العساكر وكذلك زينت بقية القصور وأخرج الخليفة من خزائنه وذخائره قماشاً ومصاغاً مابين آلات وأواني من ذهب وفضة(١٠٤٠) وزين بها الاحتفال، ويخرج المولود الجديد من مهده ويحمله أحد كبار رجال الدولة أو قاضي القضاة(١٠٤١) ومن ثم يقوم المزين بأخذ الطفل ويحلق شعره ويزينه ويحضر الكبش الذي يذبح للمولود وعليه جل من الديباج وفي عنقه قلائد الفضة(١٠٤٢) وهذا ليس قاعدة عامة وإنما لأن المولود ابن خليفة وربما يكون هو ولي العهد لهذا يزين الكبش، ثم يذبح الكبش بحضرة الخليفة وهذا ما يعرف "بالعقيقة"(١٠٤٣) وفي أثناء نحر العقيقة يبخر المولود بأزكى أنواع البخور من العنبر والعود، ثم يقوم أحد الحجاب بحمل العقيقة المذبوحة من مكان الاحتفال، ويروي المقريزي

(١٠٣٨) خسرو، سفر نامة، ص١٠٥.

(١٠٣٩) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٥٥- ٥٨.

(١٠٤٠) ابن ميسر، **المنتقي**، ص١٠٩.

(١٠٤١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٢٨.

(١٠٤٢) ابن ميسر، **المنتقي**، ص١٠٩.

(١٠٤٣) العقيقة أو العقيق، وهي مايذبح من البهائم ومنه سميت الشاة التي تذبح عن المولود يوم أسبوعه عقيقة والعقة بالكسر وهو الشعر الذي يولد به كل مولود. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٢٨.

في سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م عندما ولد للخليفة الحاكم ولداً وحمل الحاجب العقيقة والدم حيث أهدي له الخليفة بهذه المناسبة ألف دينار وفرس ملجم وعدة ثياب من أجل حمل الدم والعقيقة ومنح المزين مائتا دينار وفرس[١٠٤٤].

ونجد أن الاحتفال بمواليد الخلفاء لا يقتصر على القصور بل يشمل أنحاء البلاد التي كانت تعمها الأفراح والزينات[١٠٤٥] ثم يعلن للعامة اسم المولود وكنيته فيقبل الجميع الأرض ويدعون للخليفة والمولود[١٠٤٦] وكان الخلفاء الفاطميين يغمرون رجال دولتهم في هذه المناسبات بالهدايا والهبات، وتمد الأسمطة الفاخرة[١٠٤٧] والفاكهة المتنوعة[١٠٤٨] وكذلك تقام الاحتفالات الصاخبة وتمارس فيها أنواع الملاهي والموسيقى والغناء في قاعات القصر للخاصة ورجال الدولة وعلى أبوب القصر لتشاهدها العامة ويشاركون في البهجة وتستمر الأفراح والاحتفالات والزينات المعلقة لمدة أربعة عشر يوماً[١٠٤٩].

اهتم الخلفاء الفاطميون بمواليد وزرائهم وقدموا لهم الهدايا عندما يرزق أحدهم بمولود فيورد المقريزي وفي سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م ولد للوزير يعقوب ابن الكلس ولد فأرسل إليه الخليفة العزيز هدية تحوي مهد من الصندل مرصع بالجواهر وثلاثمائة ثوب وعشرة ألاف دينار وخمسة عشر فرساً بسروجها ولجمها ومنها اثنان من ذهب وعطور كثيرة وكان مقدار الهدية مائة ألف دينار[١٠٥٠].

ولم تكن هدايا الخلفاء خاصة بالوزراء بل تصل إلى القواد وغيرهم من رجال الدولة ففي سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م ولد لأحد القواد مولوداً ذكراً فأرسل إليه الخليفة العزيز هدية فيها ثلاثين ثوب فاخرة وعشرة عمائم، وعشر أثواباً مثقلة وخمسمائة ديناراً، وكانت زوجات الخلفاء يشاركن في تقديم الهدايا لكبار رجال الدولة والقواد حيث قدمت السيدة العزيزية لأحد القواد مائة ثوب صحاح من كل فن، وثلاثمائة دينار ومهدين أحدهما أبنوس محلى بالذهب والأخر صندل محلى بفضة ولهما أغشية ومخاد وثياب وفرش مثقلة[١٠٥١] وكان الشعراء يشاركون الخلفاء بالتهاني بمناسبة المولود.

(١٠٤٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٥٥.

(١٠٤٥) سلطان، **المجتمع المصري**، ص١٩٥.

(١٠٤٦) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٥٥.

(١٠٤٧) ابن ميسر، **المنتقي**، ص١٠٩.

(١٠٤٨) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٢٨.

(١٠٤٩) ابن ميسر، **المنتقي**، ص١٠٩، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٢٨.

(١٠٥٠) **نفس المصدر**،ج٣، ص٢٥٢.

(١٠٥١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٢٧١.

أما الاحتفال بختان الصبيان كانت فمن العادات المنتشرة في مصر، ولكن المصادر لم تمدنا بتفاصيل احتفالات الختان باستثناء أورده المؤرخون في تفاصيل الختان الجماعي الذي أقامه الخليفة المعز سنة ٣٥١هـ/ ٩٦٢م في المنصورية(١٠٥٢) عاصمة الدولة الفاطمية بالمغرب قبل قدومه إلى مصر وذكروا الكثير من تفاصيله والتي يلاحظ فيها أن الخليفة قد يقوم بختان أولاد العامة مع أبناء الخلفاء الذين قد يكون أهليهم لا يستطيعون أن يقدموا لهم وليمة الختان مما يدل على مشاركة الدولة للعامة والتخفيف عنهم.

أما المآتم فكانت مظاهر الحزن على الميت وإعداده للدفن لا تختلف كثيراً عما هو معروف في العصور الإسلامية، ولكنها تميزت في العصر الفاطمي واختلطت بمظاهر البذخ والثراء خاصة فيما يتعلق بالطبقة الخاصة، وكان الميت يغسل طبقاً للتقاليد المتبعة وكان قاضي القضاة يقوم بغسل الخلفاء وكبار رجال الدولة ويساعده في ذلك شيخ القرافة كما حدث عند وفاة الخليفة الظاهر، حيث غسل داعي الدعاة الأفضل بن بدر الجمالي عند وفاته(١٠٥٣).

وكانت العادة أن يأخذ الغاسل ملابس المتوفى وما تحته من ثياب، حيث أخذت غاسلة زوجة العزيز ما تحتها من ثياب بالإضافة إلى أجرها(١٠٥٤) وهذا أيضاً ينطبق على قاضي القضاة عندما يغسل الخلفاء ورجال الدولة، وكانت قيمة الكفن تتناسب مع ثراء الميت ومكانته الاجتماعية، فعندما مات تميم بن الخليفة المعز كفن في ستين ثوباً(١٠٥٥) وكفن الوزير بن الكلس عندما توفي سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م في خمسين ثوباً بالإضافة إلى حنوطه من الكافور وماء الورد فكان قيمة ما كفن وحنط به عشرة آلاف دينار(١٠٥٦) وغالباً ما يخرج الكفن الخاص بالأمراء وكبار رجال الدولة من خزائن القصر.

وكانت الدولة الفاطمية تتكفل بسد نفقات كفن الموتى من الفقراء وتخصص لذلك الأوقاف للإنفاق منه على تكفين الموتى(١٠٥٧) وكذلك كانت تنفق على أكفان الموتى في زمن الكوارث والمجاعات(١٠٥٨) وكان الميت في العادة يوضع في نعش وينقل إلى المدفن وأحياناً يوضع في تابوت فقد وضع الأمير عبد الله بن المعز عندما توفي وضع في تابوت ودفن به(١٠٥٩) ووضع

(١٠٥٢) وللمزيد من التفاصيل انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٩٤-٩٥.

(١٠٥٣) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٦٥، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج١، ص٥٤.

(١٠٥٤) **نفس المصدر**، ج٣، ص٢٨٩.

(١٠٥٥) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج١، ص٩٨.

(١٠٥٦) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٢٦٨.

(١٠٥٧) نفس المصدر، ج٢، ص١٠٦.

(١٠٥٨) المسبحي، **أخبار مصر**، ص٢١٨.

(١٠٥٩) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج١، ص٢١٨.

الأفضل في تابوت ودفن به أيضا، مما يدل على أن كبار رجال الدولة يدفنون بالتابوت(١٠٦٠) وكان يتم الإعلان عن الشخص المتوفى وموعد الدفن عن طريق النداء في الأسواق(١٠٦١) وكان الخليفة يحضر بنفسه جنازة أفراد أسرته وكبار رجال دولته مثلما حضر الخليفة العزيز جنازة الأمير تميم بن المعز(١٠٦٢) كذلك حضر الخليفة العزيز جنازة يعقوب بن الكلس وصلي عليه ودفنه بيده(١٠٦٣) وخرج الخليفة الحافظ لتشييع جنازة بهرام الأرمني وسار خلف تابوته(١٠٦٤).

ويبدو أن النساء كن يخرجن خلف الجنائز سافرات الوجوه بالبكاء والعويل وكانت النائحات ينشدن المراثي بالعبارات الحزينة ويصاحبهن الطبل والزمر(١٠٦٥) وقبل ذلك كانت العادة أن يحمل الشيعة موتاهم إلى النجف وكربلاء(١٠٦٦) ولكن الخلفاء الفاطميين بمصر كانوا يدفنون موتاهم في تربة الزعفران أو التربة المعزية الواقعة بالقصر الشرقي(١٠٦٧) وكان بعض الوزراء ورجال الدولة يدفنون في دورهم والوزير يعقوب بن الكلس دفن في دار الوزارة(١٠٦٨).

كانت الملابس تعبر السوداء عن الحزن قبل العصر الفاطمي(١٠٦٩) أما في العصر الفاطمي كانت ملابس الحداد من اللون الأخضر ولا يشاركه لون آخر، وكان أهل الميت يجتمعون لتلقي العزاء(١٠٧٠) وتختلف مظاهر العزاء من طبقة إلى أخري، فعندما توفيت زوجة العزيز قامت بنتها علي قبرها شهراً للعزاء توزع على الناس الأطعمة والصدقات(١٠٧١) وقراءة القرآن ومن مظاهر الترحم على الميت قرأة القرآن وتستمر لمدة شهر حسب مكانة الميت(١٠٧٢) والإشارات وتدل على تأثير اختلاف المكانة الاجتماعية لأهل الميت والعادات السائدة في المجتمع، على عادات العزاء والدفن عند الفئات العامة والتي لا نسمع إمكانيتهم بإقامة العزاء لفترات طويلة.

(١٠٦٠) نفس المصدر، ج٣، ص٦٥- ٦٧.
(١٠٦١) المسبحي، أخبار مصر، ص٢٢٤.
(١٠٦٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٥٤.
(١٠٦٣) ابن الصيرفي، الإشارة، ص٢٣.
(١٠٦٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٥٧.
(١٠٦٥) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٧٦.
(١٠٦٦) متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص١٥٨.
(١٠٦٧) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٤٠٧.
(١٠٦٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣٦٦.
(١٠٦٩) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٢٠٩.
(١٠٧٠) نفس المصدر، ج٣، ص٩٠.
(١٠٧١) نفس المصدر، ج٣، ص٢٨٩.
(١٠٧٢) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٢١٧- ج٣ ص ٦٩.

المقالة XVIII. المبحث الثالث: دور المرأة العلمي والثقافي في العصر الفاطمي

كانت دور العلم في مصر في العصر الفاطمي محصورة في الجوامع وكان أول درس ألقي بجامع الأزهر في سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م[١٠٧٣] وبذلك يتضح أنه لم يكن الباعث على بناء الجوامع للإغراض الدينية وحدها أنما قد يكون الدافع أسباباً سياسية واجتماعية ومنها التعليم[١٠٧٤] حيث أتخذها علماء الدين مقراً لهم، ولم يكن من الممكن الفصل بين السياسة والدين، حيث كان الناس يتلقون دروسهم في الجوامع المنتشرة في أرجاء البلاد[١٠٧٥] وفيها أيضاً تعقد الحلقات للعلم، وبها تؤسس النواة الأولي لتثقيف طلبة العلم[١٠٧٦] وكانت تمثل معاهد للتعليم ويتلقي فيها الأطفال اللغة العربية وأصول الدين[١٠٧٧] ولم تعرف مصر المدارس إلا دار الحكمة أو "دار العلم" التي أنشأها الخليفة الحاكم سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م وكانت أشبه بجامعة حكومية وشعبية معاً، وقصد منها نشر العلم على المذهب الشيعي بين أهل السنة[١٠٧٨] وبعد ذلك انتشرت المدارس لاحقاً في مصر[١٠٧٩] وكان الأزهر موطن الثقافة في مصر ومركز للتعاليم الإسلامية[١٠٨٠] لكن التعليم فيه أصطبغ بالصبغة المذهبية في العصر الفاطمي[١٠٨١] فكان الفقه يدرس على مذهب الشيعة الإسماعيلية[١٠٨٢] وجلس الدعاة هم أساتذة دار الحكمة للتدريس في الجامع الأزهر[١٠٨٣] ومنها

(١٠٧٣) عبد الوهاب، **تاريخ المساجد**، ص ٥٣.

(١٠٧٤) حسن، **الفاطميون في مصر**، ص١٠٩.

(١٠٧٥) خسرو، سفر نامة، ص١٤٥، متز، **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص ١٨٢، الصاوي، **مجاعات مصر**، ص٢٠٣.

(١٠٧٦) عطية، خطاب علي، **التعليم في مصر في العصر الفاطمي**، دار الكتاب، القاهرة، ط ١٩٤٧م، ص٦٦، وسيشار إليه لاحقاً: عطية، التعليم في مصر.

(١٠٧٧) حسن، **الفاطميون في مصر**، ص١١٠.

(١٠٧٨) فؤاد، **الدولة الفاطمية**، ص١٦٥.

(١٠٧٩) بدوي، أحمد، **الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١٩٧٢، ص١١، وسيشار إليه لاحقاً: بدوي الحياة العقلية.

(١٠٨٠) حسن، **الفاطميون في مصر**، ص١١٠، عطية، **التعليم في مصر**، ص٦٥.

(١٠٨١) الشيرازي، المؤيد في الدين هبة الله داعي الدعاة (ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، **المجالس المؤيدية "المائة الأولي"**، تحقيق مصطفي غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١٩٧٤م،٢٩-٣٣، وسيشار إليه لاحقاً: الشيرازي، المجالس المؤيدية.

(١٠٨٢) بدوي، **الحياة العقلية**، ص١٤، الشيرازي، **المجالس المؤيدية**، ص٣٤ وما يليها.

(١٠٨٣) السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢، ص١٣٨.

أيضاً دروساً خاصة للنساء[١٠٨٤] اشتملت على بعض الآداب الاجتماعية للنساء في حلقات العلم الخاصة بهن والتي تتمثل في المعاملة الحسنة والبر بالوالدين وصلة القرابة وحفظ الجار ومعاملة الزوج ومعاملة العبيد[١٠٨٥].

أن النصوص الصريحة بخصوص وسائل تعليم المرأة في العصر الفاطمي قليلة ولكن وكانت أكثر الطرق انتشارا لتعليم المرأة في مصر عن طريق حلقات العلم في الجوامع ومجالس الدعاة، وكان دعاة الإسماعيلية يفردون مجالس للنساء لتعريفهن بأصول المذهب وكذلك لمعرفة قواعد الإسلام العلمية من الفرائض والسنن، وكانت هذه الجلسات تعقد للمؤمنين والمؤمنات في ما يعرف بالمجالس المستنصرية، وذلك لولع الخلفاء الفاطميين بنشر المذهب الشيعي، وكان يفرد مجلس للنساء ويكون واضحاً من ومخاطبتهن" ياأيها المؤمنات" وتتم ومخاطبتهن بهذه العبارات تدل على أنهن سلكن طريق العلم والدعوة "سلك الله بكن سبيل أهل الدين والورع[١٠٨٦] ويشير إلى أن النساء يقمن باختيار طريق الدعوة الذي ينفعهن.

ومما يتضح أن هنالك عدة مجالس كانت تعقد لتدريس النساء يذكر الداعي ذلك بقوله"وهذا ما ذكرناه في المجلس من قبل"[١٠٨٧] ويبدو أن عدد النساء اللائي تعلمن بهذه الطريقة كثير لأنها الطريقة الأكثر شيوعاً في مصر في العصر الفاطمي، وفي أحدي الدروس أوضح الداعي للنساء فروض زكاة الفطر، وعرفهن بان الرجل يخرجها عن نفسه وعياله، وتخرجها المرأة إذا لم يكن لها زوج أخرجتها هي عن نفسها وعن من تعول، وفي اخر المجلس يحث الداعي النساء على فعل الخيرات "أجتهدهن معشر المؤمنات في فعل الخيرات ويدعوهن إلى المنافسة في عمل الطاعات حتى يفزن بأعلى الدرجات[١٠٨٨] وكان يطلق على النساء الدارسات في مجلس النساء (المؤمنات)[١٠٨٩] وقد يكن أكثر من غيرهن المداومة على الدراسة لهذا أطلق عليهن هذا اللقب.

الفقهاء يوقعون في دفتر "مجلس الحكمة" وهي المجالس التي يعدها ويلقيها مرتين في الأسبوع داعي الدعاة باسم الخليفة علي المؤمنين سواء بالقصر أو الإيوان أو في الجامع، ومن

(١٠٨٤) حسن، **الفاطميون**، ص١٤٢.

(١٠٨٥) بدوي، **الحياة العقلية**، ص١٥.

(١٠٨٦) الملطي، ابن عبد الرحمن، **المجالس المستنصرية**، تحقيق: محمد زينهم، محمد عزب، مكتبة مدبولي القاهرة ط١٩٩١م، ص٨٧، وسيشار إليه لاحقاً: الملطي، المجالس المستنصرية.

(١٠٨٧) الملطي، **المجالس المستنصرية**، ص٨٧.

(١٠٨٨) **نفس المرجع**، ص٨٧.

(١٠٨٩) بيارد، دودج، **الأزهر في ألف عام**، ترجمة: حسين فوزي النجار، الهيئة المصرية للكتاب، ط١٩٩٤م، ص ٢٦، سيشار إليه لاحقاً: بيارد، الأزهر.

أشهر هذه المجالس "المجالس المؤيديه" والتي وصلت إلى ثمانمائة مجلس ألقاها المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة في فترة توليه الدعوة بين سنتين (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م-٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) [١٠٩٠] والمجالس المستنصرية للداعي علم الإسلام ثقة الإمام عبد الحكم، وكذلك المجالس والمسايرات للقاضي النعمان بن حيون[١٠٩١].

وكان دفتر تلك المجالس يقرأ على الخليفة في كل أثنين وخميس[١٠٩٢] ويأخذ علامته بظاهره ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين للرجال[١٠٩٣] في الصالة ذات الأعمدة أو ما يعرف بالإيوان الكبير، وللنساء في رواق خاص أسمه المحمول[١٠٩٤] وكان من أعظم المباني وأوسعها، وكان يقام للحريم وخواص نساء القصور مجلس خاص بهن[١٠٩٥] ويتضح أن الدعوة كانت تقرأ في أماكن متعددة، وإذا فرغ الداعي من مجلسه حضروا إليه لتقبيل يديه فيمسح على رؤوسهم بمكان العلامة أي بخط الخليفة[١٠٩٦] ويلاحظ أن وظيفة داعي الدعاة لم تعرف في دولة أخرى غير الدولة الفاطمية بمصر، ربما يكون ذلك لتوضيح المذهب الإسماعيلي ونشر مبادئه بين الناس.

كان داعي الدعاة هو الذي يعقد مجالس العلم سواء أكان هذا في القصر أو الجامع الأزهر أو في دار الحكمة[١٠٩٧] وعلى ما يبدو أن دروس الدعوة أو مجالسها كانت مقسمة إلى أقسام، قسم يستمع إليه الراغبين في تحصيل العلم[١٠٩٨] هذا القسم ينظوي فيه عامة الناس الراغبين في الحصول على العلم والمعرفة، وقسم يستمع إليه المتخصصون في الدعوة وهذا أيضاً ينطبق على النساء[١٠٩٩] سواء للعلم وتحصيل المعرفة أوللدعوة، وكان المذهب الإسماعيلي يدرس بواسطة محاضرات عامة ذات صفة رسمية[١١٠٠] وهي التي تعرف بمجالس الحكمة وكانت أسس

([١٠٩٠]) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٩٢، الشيرازي، **المجالس المؤيدية**، ص٣، وما يليها.

([١٠٩١]) ماجد، **نظم الفاطميين**، ص١٥٣.

([١٠٩٢]) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص٧٦.

([١٠٩٣]) الشيرازي، **المجالس المؤيدية**، ص ٦.

([١٠٩٤]) ماجد، **الإمام المستنصر بالله**، ص٥٦.

([١٠٩٥]) حسن، **تاريخ الإسلام**، ص٣٦١.

([١٠٩٦]) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٩٢.

([١٠٩٧]) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص٧٦.

([١٠٩٨]) خسرو، **سفر نامة**، ص٢٦.

([١٠٩٩]) خسرو، **سفر نامة**، ص٢٦.

([١١٠٠]) ستيرن، صموئيل، **القاهرة كمركز للحركة الإسماعيلية**، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس ١٩٦٩م، دار الكتب العلمية القاهرة، ط١٩٧١م، ص ٦٠١، وسيشار إليه لاحقاً: ستيرن، القاهرة.

التعليم الأولي تتألف من أحكام الشريعة وعلم الكلام[١١٠١] وكانت المحاضرات تلقي يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع، وكان ذلك في عهد الخليفة الحاكم تقليداً ثابتاً وبشكل منتظم لأعضاء البلاط وعامة الناس والغرباء وكذلك النساء، وأحياناً يتولى الخليفة إلقاء المحاضرة بنفسه[١١٠٢] مما يدل على اهتمام الخلفاء بمجالس الدعوة سواء لنشر المذهب الشيعي أو للعلم.

وهنالك عدة إشارات تدل على اهتمام الداعي بمجالس النساء لتعليم كيفية تعامل النساء مع أزواجهن، عندما يشير"على الرجل لزوجته سبع خصال، أن يسكنها ولا يضارها، ولا يضيق عليها، ويكسوها بحسب قدرته، وأن ينفق عليها ما وسعه، ولا يضربها ما طاعت أمره ويداري عيبها بحسن صمته"[١١٠٣] وعلى المرأة لزوجها أثني عشر خصلة وهي" أن تطيع أمره وتعظم قدره، وتبر قسمه، وتشكر نعمته وتخفض من جناحها له، وتحسن كفالة ولده، وتودي أمانته، وتصون ماله، وتحفظه في نفسها، ولا تفشي له سراً، ولا تترك له نهياً، ولا تبدي زينتها إلا له أو لمن أباحها الله أن تبدي له[١١٠٤] ويبدو أن حلقات العلم تشتمل علي الكثير من المبادئ التي تدعو إلى تهذيب الأخلاق واحترام حقوق الآخرين في المجتمع وإشاعة التعامل الحسن مع الجار.

ظهر في عهد الدولة الفاطمية إقبال من النساء على مجالس العلم، حيث حرصت الدولة أن تجعل لهن مكان منفرد لتحصيل العلم، لأنهن كن في حاجة لمثل هذه الدروس ليعرفن ما عليهن من واجبات اتجاه الزوج والأبناء وحتى الجيران، ومن جانب أخر لان الفاطميين كانوا حريصين على نشر المذهب الشيعي بين النساء حتى يتعلمن أصوله[١١٠٥] ولكن لم ترد إشارة لأسماء نساء عالمات في ذلك العصر وكذلك لا يوجد اسم لامرأة تزعمت نشر المذهب الشيعي بين النساء، وقد يكون النساء كن من طلبة العلم وليس منهن طلبت الدعوة للمذهب الإسماعيلي، لذا كن يتعلمن من أجل العلم والثقافة وليست للدعوة.

المقالة XIX. الطعام في العصر الفاطمي:

تميزت الدولة الفاطمية في مصر بوفرة خيراتها باستثناء بعض الفترات التي تعرضت فيها الدولة إلى مجاعات متلاحقة، ومنها الشدة التي أثرت اقتصادياً وادرياً على الدولة الفاطمية وماعدا ذلك تمتعت الدولة في أغلب الأحيان بالهدوء والاستقرار وكثرة خيراتها وإنتاجها الزراعي والحيواني، ويبدي الرحالة الفارسي ناصر خسرو دهشته من كثرة ما شاهده في أسواق مصر في

(١١٠١) الشيرازي، المجالس المؤيدية، ص٦.

(١١٠٢) ستيرن، القاهرة، ص٢٠٢.

(١١٠٣) الملطي، المجالس المستنصرية، ص١٣٦.

(١١٠٤) نفس المرجع، ص١٣٦.

(١١٠٥) نفس المرجع، ص١٣٦.

يوم واحد من أصناف الأطعمة والخضروات والفاكهة(١١٠٦) وقد أظهر الفاطميون اهتماماً واضحاً في طعامهم وشرابهم والاهتمام بالجيد من أصنافه والإنفاق على مآدبهم العامة والخاصة بسخاء وبذخ، وكان توزيع الأطعمة وإقامة المآدب مقترناً بجميع أعيادهم واحتفالاتهم، كما كانت الدولة الفاطمية تسد حاجة موظفيها وأرباب الرواتب فيها من الغلال وسائر ما يلزم مطابخهم من الأطعمة المختلفة(١١٠٧).

ويعد الخبز من أهم عناصر الطعام على المائدة المصرية سواء في طعام العامة أوالخاصة وحتى مائدة الخليفة لم تكن تخلو من الخبز(١١٠٨) لذلك كانت جودة الخبز والمحافظة على صناعته ونظافته موضع اهتمام الدولة والمسئولين فيها، فكانت الدولة تراقب المطاحن عن طريق المحتسب وأعوانه، وأن لا يخلطوا الغلة بأنواع أقل قيمة من القمح مثل الشعير أو الفول أو الحمص(١١٠٩) وكانت عملية عجن الدقيق تخضع لشروط الهدف منها المحافظة على نظافة الخبز أما الريف فكان الناس يعتمدون على ما يصنعون من أنواع الخبز المختلفة، فقد أثرت موارد العامة الاقتصادية على أنواع ما يأكلون من الطعام فقد كان أغلب طعام السكان في الريف المصري خبز الشعير والجبن والبصل(١١١٠).

وعرفت مصر الفاطمية أنواعاً متعددة من الخبز ومنها خبز الخشكار(١١١١) وهو أقل أنواع الخبز ثمناً ولا يقبل الناس عليه بسبب سواد لونه لأنه يصنع من الدقيق بنخالته أو الدقيق غير المنخول(١١١٢) وكان هذا النوع من الخبز ينتشر أكثر في أيام المجاعات عندما تقل الغلال تتهافت الناس عليه، وكذلك يصنع في القاهرة والفسطاط الخبز الحواري(١١١٣) وسعره أغلي من خبز الخشكار، أما خبز السميد(١١١٤) فهو أغلى أنواع الخبز ثمناً لأنه يصنع من أرقي أنواع

(١١٠٦) خسرو، **سفر نامة**، ص٦٠.

(١١٠٧) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٢٢.

(١١٠٨) **نفس المرجع**، ج١، ص ٣٨٧.

(١١٠٩) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) **كتاب الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق: سيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ص٢١، وسيشار إليه لاحقاً: الشيزري، نهاية الرتبة.

(١١١٠) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص١١٧.

(١١١١) الخشكار: هو الخبز الذي يصنع من الدقيق الخشن الذي لم تنتزع نخالته منه، ابن عبد ربة شهاب الدين أحمد (ت ٣٤٩هـ/٩٤٠م) العقد الفريد، كتاب الطعام والشراب، ط١٩٥٤م بيروت، ص٦٩ وسيشار إليه لاحقاً: ابن عبد ربه، العقد الفريد. المقريزي، **إتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٥١.

(١١١٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٥١.

(١١١٣) الخبز الحواري، هو الذي يصنع من الدقيق الأبيض المنخول. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٥١.

(١١١٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٥١.

الدقيق[١١١٥] وكان يصنع للخلفاء خبز يسمي "الخبز الموائدي"[١١١٦] وهذا يدل على أنه من ارقي أنواع الخبز لأنه خاص بمائدة الخليفة وكان الخبز اليابس المعروف بالكعك وهذا النوع يؤكل في القرى يخزن لفترات طويلة، كما كان يعتبر طعاماً لرجال الأسطول في عهد الدولة الفاطمية لإمكانية تخزينه لفترات طويلة[١١١٧] ويستخدم كوسيلة للتبادل فيشتري به الناس بعض الأشياء وكذلك يدفعونه ثمناً لدخول الحمامات[١١١٨] كانت الدولة تراقب عملية إنتاج الخبز حتى يظل الخبز متوفراً في الأسواق ومن مهام المحتسب تسجيل أسماء الخبازين وأماكن حوانيتهم وحدد المحتسب لكل خباز كمية الدقيق التي يخبزها[١١١٩] وكانت الدولة تشدد الرقابة على إنتاج الخبز لأنه هو الطبق الأساسي في الموائد ويعتمد عليه عامة الناس بمختلف أنواعه في غذائهم.

وكان الفول من الأطعمة التي تقبل عليها الناس خاصة فئات العامة[١١٢٠] ويوكل أخضر ومسلوق ويضاف إليه الفلفل والملح والبهارات[١١٢١] وكان الترمس من الحبوب التي يقبل الناس على أكلها فكان ينقع ويسلق حتى تذهب مراراته ثم يحلي ويملح[١١٢٢] ومن المعروف أن الترمس أذا ظل عند الباعة لفترات طويلة فانه يصبح غير صالح للأكل ومن ذلك نجد أن الخليفة الحاكم في سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م أصدر قراراً بالمنع لقائمة من المأكولات ومن ضمنها الترمس المعفن لأنه يضر بآكليه[١١٢٣] وكذلك كان الحمص المسلوق من الحبوب التي ينتشر بيعها في الأسواق وفي الحوانيت[١١٢٤] أما الأرز فكان يزرع في مصر بكميات وفيرة لاعتماد السكان عليه في غذائهم، ومن الأطعمة الرئيسية لسكان المناطق الساحلية يطبخونه مع السمك[١١٢٥] وكذلك العدس الأسود والمقشر فكان يقبل عليها العامة من الناس، يوضع كذلك في مائدة الخليفة الفاطمي في سماط الحزن بمناسبة ذكرى عاشوراء[١١٢٦] والكشك من الأطعمة المنتشرة ومعروفة

([١١١٥]) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ص١٢، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٥١.

([١١١٦]) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٣٣٩.

([١١١٧]) **نفس المصدر**، ج١، ص٣٣٩.

([١١١٨]) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٦٧- ٦٨.

([١١١٩]) الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص٢٢-٢٣.

([١١٢٠]) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص١١٨.

([١١٢١]) النويري، **نهاية الأرب**، ج١، ص١٨.

([١١٢٢]) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط٢ ١٩٦٧م، ص٢٠٤، وسيشار إليه: المقدسي، أحسن التقاسيم.

([١١٢٣]) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٧٧-٨١.

([١١٢٤]) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٣٣١.

([١١٢٥]) البغدادي، **الإفادة والاعتبار**، ص٤٣.

([١١٢٦]) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٣١.

في مصر وهي تمنح لأرباب الوظائف في الدولة الفاطمية[١١٢٧] في ذلك العصر وتعرف بالكشكية[١١٢٨] وهو ماهرس[١١٢٩] من الحنطة والشعير حتى ينسلخ قشره ويضاف إليه اللبن ويطبخ باللحم ومن الأطعمة التي يدخل في إعدادها الحبوب(السويق) [١١٣٠] وطريقة صناعته تكون بانه تحمص الحبوب جيداً وتطحن وهو يصنع من دقيق الحنطة أو الشعير أو الفول[١١٣١] وكان السويق الناعم من الأطعمة التي تقدم للخلفاء الفاطميين على مائدة السحور في شهر رمضان[١١٣٢].

أن تعدد أصناف الطعام في العصدر الفاطمي وهذا يدل أحياناً على الاستقرار الذي كان يسود في الدولة من وقت لأخر، وإلى جانب اللحوم التي تعد من عناصر الغذاء الرئيسية وتدخل في صناعة الكثير من الأطعمة عند أغلب الأسر المصرية في العصر الفاطمي وكان كثيراً ما يوجد في مشتريات الأسرة المصرية حسبما تشير الكثير من البرديات التي ترجع إلى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[١١٣٣] وكانت الأسواق في مصر الفاطمية تحتوي على الكثير من الحوانيت لباعة اللحوم والحيوانات المختلفة والطيور، ونجد أن الدولة كانت تصدر أحياناً قرارات بمنع ذبح الأبقار للمحافظة عليها واستخدامها في أعمال الزراعة في أيام الأضاحي[١١٣٤] وبلغ الأمر بتهديد من يتعرض من التجار لذبح الأبقار حل دمه وماله لان الناس أكثرت من ذبح الأبقار حتى لم يوجد منها ما يصلح للحرث والسقي[١١٣٥] وضج الجزارون بالشكوى للخليفة الظاهر عندما منع ذبح الأبقار سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م لأنهم أوضحوا له أن بحوزتهم أعداداً كثيرة من الأبقار التي أنفقوا فيها أموال في علفها وتسمينها[١١٣٦] فاستجاب لهم الخليفة وحدد لهم ثلاث أيام للذبح لتصريف ما عندهم، وتزاحم الناس في طلب اللحوم في تلك الأيام، ثم أحضر

(١١٢٧) **نفس المصدر**، ج١، ص٤٠٠.

(١١٢٨) ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ج٣، ص١٩٨، الكشك: وهو ما هرس من الحنطة والشعير حتى ينسلخ قشره ويضاف إليه اللبن ويطبخ باللحم ومن الأطعمة التي تدخل في إعدادها الحبوب السويق، ويعرف بالكشكية. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٥٠.

(١١٢٩) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٥٠.

(١١٣٠) جروهمان، **أوراق البردي**، ج٦، ص١٦٩.

(١١٣١) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ص٧.

(١١٣٢) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٩١.

(١١٣٣) جروهمان، **أوراق البردي**، ج٦، ص١٦٨-١٧١، ص١٩٠-١٩٦.

(١١٣٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٥٣ – ٩٥.

(١١٣٥) **نفس المصدر**، ج٢، ص١٤٩، وللمزيد انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص٢٥٢.

(١١٣٦) سلطان، **الأسواق**، ص١١٢.

المحتسب الهراسين[١١٣٧] ومنعهم من بيع للحوم وذبح الأبقار، وكانت حوانيت الشواء تنتشر في أسواق مصر والقاهرة، وكانت الخراف الصغيرة المشوية من أفضل الأطعمة على مائدة الخلفاء الفاطميين[١١٣٨] وكانت الهريسة من أهم أنواع الأطعمة المنتشرة في مصر في العصر الفاطمي وتدخل في صناعتها لحوم الضأن والبقر والدجاج ودقيق القمح بالإضافة إلى التوابل، وكانت الهريسة من الأطعمة التي توزعها الدولة الفاطمية على أرباب الوظائف بمناسبة الاحتفال بعيد النيروز[١١٣٩] وكان المحتسب يشرف على صناع الهريسة في الأسواق ويراقبهم أثناء صناعتها حتى لا يخلون بالشروط الضرورية في صناعتها[١١٤٠] وهنالك نوع من الهريسة تسمي "هريسة الفستق" ويدخل في صناعتها الفستق والدجاج[١١٤١] وعلى ما يبدو أن الهريسة من الأطعمة المحببة لدي الكثير من الناس.

ومن الأطعمة التي يقبل الناس عليها والمشهورة في تلك الفترة "النقانق" وهي تصنع من حشو أمعاء الحيوانات المذبوحة باللحم المدقوق ويضاف إليه البصل والتوابل وتباع مغلية وكانت تخضع لمراقبة المحتسب مثل غيرها من المواد الغذائية والأطعمة حتى لاينالها الغش في صناعتها[١١٤٢] وتدخل اللحوم في صناعة نوع من الطعام يعرف "بالسنبوسك" ويعمل من فخذ لحم الضأن ويقطع اللحم قطعاً صغيرة ويسلق إلى أن ينضج ويضاف إليه التوابل ويحشى في الرقائق[١١٤٣].

ومن الأطعمة التي كانت تعمل في دار الفطرة[١١٤٤] في الدولة الفاطمية "البرماورد" أو "البزماورد" وربما تكون من الأطعمة المغربية ولذا كانت تعمل في دار الفطرة وتدخل في صناعته اللحوم وخاصة لحم الجداء وصدور الدجاج وتقلى بالزبد والبيض وكان يوزع في بعض المناسبات والأعياد في الدولة الفاطمية[١١٤٥] وتعددت أنواع الأطعمة التي تصنع من اللحم قد يكون نسبة لكثرة أنواع اللحوم ونجد كذلك ما يعرف بالكباب الشامي ويعمل بان يدق اللحم ويضاف إليه

(١١٣٧) الهراسين: هم الذين يعملون الهريسة، وهي اللحم المفري وتعمل بكثرة في مناسبة الأعياد، في القرافة في ليالي الصيف. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٤٩-١٥٠.

(١١٣٨) لمقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٣٨٧.

(١١٣٩) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٢٩٣.

(١١٤٠) الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص٣٦.

(١١٤١) البغدادي، **الإفادة والاعتبار**، ص٤٢.

(١١٤٢) الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص٣٨.

(١١٤٣) سلطان، **المجتمع المصري**، ص٢٤٦.

(١١٤٤) ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٢٦.

(١١٤٥) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٢٦-٤٥٦.

البصل ويقلى بالدهن(١١٤٦) وكان الطباخون في الأسواق يعلنون عن نوع اللحم الذي يستخدمونه في صناعتهم للأطعمة سواء كانت هذه اللحوم من الماعز أو الضأن أو البقر وغيرها، وكان المحتسب يراقبهم لتفادي حالات الغش(١١٤٧) لأن كل نوع من هذه اللحوم يختلف سعره عن غيره، وقد نجد بعض الناس لا تستسيغ بعض أنواع هذه اللحوم لذا يجب أن يعرف الطعام من أي أنواع هذ ه اللحوم حتى لا يتسبب بالضرر للناس إذا لم يكن محبباً لهم، وكذلك انتشرت في العصر الفاطمي حوانيت لبيع الرءوس(١١٤٨) وكان تقدم فيه الرءوس مسلوقة ومشوية ويضاف إليها التوابل والبصل، ومن مهام المحتسب مراقبة الطباخين في الأسواق لإجادة تنظيف الرءوس قبل بيعها(١١٤٩) وكانت الرءوس المشوية أيضاً تطبخ في مطابخ القصور الفاطمية وتوزع على رجال الدولة في بعض المناسبات والأعياد مثل الاحتفال برأس السنة الهجرية(١١٥٠) وكان بعض الخلفاء يفضل هذا النوع من الطعام مثل الخليفة الظاهر، ويورد المقريزي في سنة ٤١٤هـ/١٠٢٤م حيث أخذ من جميع دكاكين الرواسين في الأسواق ما فيها من الرءوس وقد طلب منهم خمسمائة رأس وألف رطل رقاق(١١٥١) ومن الملاحظ أن كل هذه الأطعمة كانت تصنع في الأسواق في حوانيت الطباخين ولم تشير المصادر إلى دور النساء في صناعة الأطعمة وعلى ما يبدو أن الناس في مصر كانوا يميلون إلى شراء الطعام من الأسواق(١١٥٢) ولا يطبخون في منازلهم إلا نادراً، ولعل هذا السبب في كثرة حوانيت الطباخين في الأسواق في القاهرة وغيرها من المدن في مصر.

وكذلك انتشرت الملوخية في مصر في عهد الخليفة المعز وذلك عندما اقترح عليه الأطباء بأكلها للعلاج، وكانت تسمي "ملوكية" فحرفتها العامة إلى ملوخية(١١٥٣) ومما يدل على

(١١٤٦) ابن عبد ربة، **العقد الفريد**، ص٩٨.

(١١٤٧) الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص٣٤، المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٦٣.

(١١٤٨) الرءوس، أو ما يعرف بسوق الرواسين ويوجد على رأس سويقة أمير الجيوش ويقال له سوق الرواسين لأنه توجد به حوانيت تصنع الرءوس، وكان من أحسن أسواق القاهرة لكثرة البياعين فيه ويشتمل على عشرين حانوتاً مملوءة بأصناف المآكل، وكذلك نجد سوق الرواسين في عصر المماليك قد يكون هو نفسه السوق الذي وجد في العصر الفاطمي. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٣٣. **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٩٥، سلطان، **المجتمع المصري**، ص٢٦٣.

(١١٤٩) الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص٣٢.

(١١٥٠) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٩٠.

(١١٥١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٣٣.

(١١٥٢) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٥٠.

(١١٥٣) النويري، **نهاية الأرب**، ج١١، ص٤٧.

أن الخلفاء الفاطميين كانوا لا يعرفونها قبل انتقال دولتهم إلى مصر وكانت الملوخية من ضمن الأطعمة التي أصدر الخليفة الحاكم قراراً بمنعها[١١٥٤].

ونجد في مصر شهرة واسعة لأنواع كثيرة من الطيور لاستعمال لحومها ومن ضمنها الدجاج وكانت هنالك معامل لإنتاج الفراريج بطريقة صناعية يتخذها الناس للكسب[١١٥٥] وذكرالمقريزي أسعار أنواع الدجاج التي تدل على كثرة استهلاكه وأهميته في عهد الخليفة المستنصر في سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[١١٥٦] وأن بعض الأطعمة قد تكون أكثر شهرة من غيرها في العصر الفاطمي مما تمثل جانب من الحياة اليومية في الدولة، ولكن من الملاحظ أنه لم ترد إشارة نستشف منها مدي مقدرة العامة على شراء الكثير من أنواع هذه الأطعمة أم أنها محصورة على الفئات الخاصة؟.

وتعددت مصائد الأسماك في مصر، مما نتج عنها كمية وفيرة من إنتاج الأسماك حتى أصبح السكان يعتمدون عليه في غذائهم من "الصحناة والصير" والخبز والنيدة[١١٥٧] وكانت العامة تتناول الأسماك بدلاً من اللحوم الحمراء لرخص أسعارها بالمقارنة باللحوم وكذلك لكثرة مصائدها[١١٥٨] وكانت الأسماك تصاد بكميات كثيرة في أوقات الفيضانات،وذلك عندما تنحدر المياه وتنصب الشباك من قبل الفلاحين ولذا يكثر صيدها حتى يبيعون منه جزء للتجار فينقل للمدن[١١٥٩] وقد أصدر الخليفة الحاكم سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م قراراته بمنع بعض الأطعمة والأشربة من بينها السمك الدلينس الذي لا قشر له[١١٦٠] حافظاً على صحة الناس الذين كانوا يميلون لأكل هذا النوع من السمك، ولعل عدم وجود قشر فيه يجعله أسرع للتلف[١١٦١].

هنالك العديد من أنواع الحلوى التي كانت تنتشر في حوانيت الحلاويين، وتعد النيدة من أشهر أنواع الحلوى التي يقبل عليها عامة المصريين في العصر الفاطمي[١١٦٢] وطريقة عملها يطبخ القمح حتى يغلظ ويذر عليه الدقيق حتى يتماسك قوامه ويرفع عن النار[١١٦٣] وهي رخيصة

[١١٥٤] المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٥٣ (لأنها كانت محببة لمعاوية بن أبي سفيان).

[١١٥٥] البغدادي، **الإفادة والاعتبار**، ص١٧، المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٢٦.

[١١٥٦] المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٣٩.

[١١٥٧] الصحناة، كلمة فارسية وتعني الصير، والصير هو السمك الصغير الذي يصطاد من النيل وحجمه لا يزيد عن الأصبع، ويسمي الملوحة. المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص١٠٨.

[١١٥٨] البغدادي، **الإفادة والاعتبار**، ص٤٣.

[١١٥٩] الجعيدي، **طبقة العامة**، ص١١٨.

[١١٦٠] المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٢٣٩.

[١١٦١] البغدادي، **الإفادة والاعتبار**، ص٤٣.

[١١٦٢] المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٢٠٣.

[١١٦٣] البغدادي، **الإفادة والاعتبار**، ص٤١.

الثمن لذا يقبل عليها الناس، ومن أصناف الحلوى التي انتشرت في العصر الفاطمي الزلابية وتصنع من الدقيق بعد عجنه وتخميره ثم تقلي بالزيت وتؤكل بالعسل أو السكر[١١٦٤] ومن رسوم الدولة الفاطمية توزيع الزلابية مع أصناف أخرى من الأطعمة والحلوى على أرباب الدولة بمناسبة الاحتفال بعيد المسيح[١١٦٥] وكانت الألبان ومنتجاتها من الأطعمة التي يقبل عليها العامة والخاصة، ومن أهم منتجاتها الجبن وهو من الأطعمة اليومية للأسر المصرية[١١٦٦] وكانت توزع الألبان من بين رسوم الدولة في احتفالاتها برأس السنة الهجرية[١١٦٧] وكان اللبن الطازج من الأطعمة التي تقدم على مائدة السحور لدى الخلفاء الفاطميين[١١٦٨].

وأظهر الفاطميون الكثير من الاهتمام بصناعة الحلوى لتوزيعها في الأعياد والمواسم المختلفة على رجال الدولة على مختلف طوائفهم، وكانت موائد الخلفاء تزينها الكثير من أصناف الحلويات وكان يصل منها نصيب كبير إلى أيدي العامة، وقد بدا اهتمام الفاطميين بهذا الجانب منذ عهد الخليفة العزيز الذي أنشأ دار الفطرة[١١٦٩] وهو أول من قرر رسوم توزيع الحلوى في الدولة على أرباب الوظائف حيث كان يصنع الكثير من أنواع الحلوى الذي يدخل في تكوينها السكر والعسل واللوز والفستق والدقيق[١١٧٠] وكان العديد من الحلوى تدخل في صناعتها بعض الفواكه[١١٧١] وقد عرفت مصر إنتاج العديد من الفواكه وتنوعها على مر العصور وإقبال الناس على شرائها، ومنها التفاح والمشمش والعنب والخوخ، وكانت هذه الأصناف من ضمن مشتريات الأسر المصرية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[١١٧٢] ومن رسوم الدولة الفاطمية توزيع الفاكهة على أرباب الوظائف في الدولة في الأعياد والمواسم فيوزع في النيروز البطيخ والرمان والموز والتمر وفي عيد الغطاس يوزع الليمون والنارنج[١١٧٣].

ولم يرد الكثير من الإشارات لأنواع المشروبات في العصر الفاطمي، ولكن لاشك أن الماء تعتبر الشراب الرئيسي في الموائد حتى لدى الخلفاء، والمياه تنقل بواسطة السقائين إلى

(١١٦٤) الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص٢٥.

(١١٦٥) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٩٤.

(١١٦٦) جروهمان، **أوراق البردي**، ج٦، ص١٧٣، وما يليها، ص١٩٦.

(١١٦٧) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٩٠.

(١١٦٨) **نفس المصدر**، ج١، ص ٤٩١.

(١١٦٩) ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٢٦.

(١١٧٠) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٢٥.

(١١٧١) **نفس المصدر**، ج١، ص ٤٠٠.

(١١٧٢) جروهمان، **أوراق البردي**، ج٥، ص١٥٢–١٥٣، وما يليها، ج٦، ص١٩٠– ١٩٢.

(١١٧٣) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٣٩٩.

الدور والمساكن ويخضع لمراقبة المحتسب الذي يشرف على نظافتها من التلوث[١١٧٤] وكان الناس يهتمون بتبريد الماء في الصيف باستخدام آنية من الخزف والفخار لتعمل على تبريد الماء، وكانت المياه تقدم في الموائد التي تقام في القصر طوال شهر رمضان في كيزان الفقاع وكانت أواني الماء المثلج تخرج من عند سيدات القصر الفاطمي ملفوفة في الأقمشة الفاخرة لتوضع بين يدي القراء في اخر ليلة في رمضان لتشملها بركة ختم القرآن[١١٧٥] وكان تبريد الماء والمشروبات في القصر الفاطمي يوضع فيها الثلج، أن خزانة الشراب في العصر الفاطمي تحمل إليها كميات كبيرة من الثلج وكان لمعظم الأمراء ورجال الحاشية وأرباب الرتب راتب معلوم يومي من الثلج[١١٧٦].

ومن الأشربة الشائعة في مصر في العصر الفاطمي "المزر" وهو شراب يتخذ من القمح والكثير من العامة يقبلون عليه[١١٧٧] ربما يكون لرخص ثمنه، وكذلك الأشربة من العسل وغيرها وكانت الخمور منتشرة في العصر الفاطمي وكان يختص بصناعتها الأقباط في موسم إنتاج الكروم[١١٧٨] وأصدر الخليفة الحاكم قراراً بمنع الناس من شرب الخمر وحدد كمية العسل الذي يباع لان العسل يدخل في صناعة الخمر والعنب وحذر من اعتصاره[١١٧٩] ومنع الناس من شرب الفقاع وهو من المشروبات المنتشرة في العصر الفاطمي وكانت بعض أنواعه مسكرة لذلك حرمه الخليفة الحاكم[١١٨٠] وأن شراب الفقاع كان منتشراً في موائد الخاصة والعامة ويكون من النوع غير المسكر، وكان يشرب بعد الطعام، وكان الخلفاء الفاطميين يتناولون الأشربة في أوان "البازهر"[١١٨١].

وقد أخرج من القصور الفاطمية أثناء الشدة العظمي مائة كأس منها وأهم ما يميز هذه الكاسات تغير لونها إذا كان بالشراب سم[١١٨٢].

(١١٧٤) **نفس المصدر**، ج١، ص٤٦٤.

(١١٧٥) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤٩١.

(١١٧٦) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٣، خسرو، **سفر نامة**، ص٦٤.

(١١٧٧) البغدادي، **الإفادة والاعتبار**، ص٤٣.

(١١٧٨) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٢٧٢.

(١١٧٩) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٩١.

(١١٨٠) **نفس المصدر**، ج٢، ص٧٧، خسرو، **سفر نامة**، ص٤٩.

(١١٨١) البازهر: اسم فارسي، توجد معادنها بالهند والصين، وهو نافع من جميع السموم. سلطان، **المجتمع المصري، حاشية**، ص٢٦٩.

(١١٨٢) ابن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص٢٥٤.

وكل ذلك يدل على ما كانت تتمتع به مصر في عصر الدولة الفاطمية من مظاهر التنوع في الطعام والشراب، ومن إسراف الفاطميون في تقديم الطعام والشراب في قصورهم وموائدهم واحتفالاتهم الدينية هذا ما ترك اثاره حتى على الخدم والغلمان حتى صار الواحد منهم ينفق على طعامه العشرة والعشرين ديناراً لسعة أحوالهم[١١٨٣] ولكن هل هذا الأمر كان ينطبق على الطبقات العامة في المجتمع كافة وبالتأكيد أن هذه السعة من العيش لم تكن سائدة في كل فئات المجتمع المصري بدليل أن فئات العامة كانت تتأثر أكثر غيرها في فترات المجاعات المختلفة.

([١١٨٣]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص ٣٤٣.

المقالة XX.   المبحث الرابع: الملابس في العصر الفاطمي:

تطورت ملابس النساء في العصر الفاطمي تطوراً كبيراً لما كانت تتمتع به الدولة الفاطمية من مظاهر للثراء، وكانت مصر في زمن الفاطميين من أهم مراكز صناعة النسيج وكذلك نظام دار الطراز[١١٨٤] وصلت إلى مبلغ من الرقي، منها اشتهرت مصر بالكثير من أنواع الثياب الحريرية والكتانية والصوفية[١١٨٥] والقلموني ذو الألوان البراقة وتغير لونه مع أشعة الشمس[١١٨٦] وكانت تصنع في دمياط وتنيس، والديبقي الذي يصنع في مدينة ديبق حيث كانت تصنع الثياب المثقلة والعمائم والشرب المذهبة[١١٨٧].

وكانت نساء القصر ابتداء من زوجات الخليفة والجواري والى أقل مستخدمة في القصر يحصلن على الملابس من خزانة الكسوات[١١٨٨] التي بناها الخليفة المعز في القاهرة والتي كانت تفصل الثياب لسائر موظفي الدولة على اختلاف مراتبهم في المناسبات والأعياد[١١٨٩] والمواسم[١١٩٠]ومن تفاصيل هذه الكسوات يمكن معرفة ما كانت ترتديه نساء القصر في العصر الفاطمي، فكانت المرأة الأولى في القصر والتي تعرف بالجهة العالية أو المعظمة[١١٩١] ترتدي حلة مذهبة يصل عدد قطعها إلى خمسة عشر قطعة، فكان غطاء الرأس وغالباً يكون مرصعاً بالجواهر والأحجار الكريمة[١١٩٢] يتكون عند نساء الطبقات الخاصة من أربعة قطع يلبس على

(١١٨٤) الطراز، كلمة فارسية بمعني التطريز أو الثوب الموشى بخيوط من الذهب والفضة أو الحرير، وكان هنالك نوعان للطراز "طراز للخاصة وطراز للعامة" وطراز الخاصة متخصص بنسيج ملابس الخلفاء وكبار رجال الدولة، وقد أهتم الفاطميون بتسجيل أسمائهم على قطع النسيج الثمينة وكان للطراز دار يتولاها أحد أعيان أرباب الأقلام. ابن مأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٢٢، زكي، **كنوز الفاطميين**، ص١١٤.

(١١٨٥) حسن، **تاريخ الإسلام**، ج٣، ص٤٤٥.

(١١٨٦) القلموني، ويقال البقلمون، يعرف بأنه الثوب الأكثر ألواناً وهو من المنسوجات التي تشتهر بها تنيس وكان يصنع منه أستار الهوادج وسروج الخيل الخاصة بالخلفاء. للمزيد انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج١ ص٤١٩، خسرو، **سفر نامة**، ص٤٠.

(١١٨٧) حسن، **تاريخ الإسلام**، ج٣، ص٤٤٦.

(١١٨٨) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص ٩٨.

(١١٨٩) ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٤٨.

(١١٩٠) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٣٤٣، وبلغ عدد الكسوات التي أخرجت من دار الكسوة في الشتاء في سنة ٥١٦هـ/ ١١١٢م أربعة عشر ألفاً وثلاثمائة وخمس قطعة وزعت على أرباب الوظائف المختلفة في الدولة. المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص٤١٠– ٤١١، ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر حوادث ٥١٦هـ**، ص٣٥– ٥٨.

(١١٩١) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٤١٠، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص٨٦، ابن المأمون، **نصوص من أخبار مصر**، ص٤٩– ٥٠.

(١١٩٢) حسن، **تاريخ الإسلام**، ج٣، ص٤٤٥.

شكل طبقات وفقاً لترتيب معين تغطي الرأس ويتدلي طرف أحد القطع حتى إلى الأرض من جهة الظهر[١١٩٣] وباقي الملابس تتكون من رداءين من الحرير وقميص مذهب بأكمام قصيرة وسروال، وملاءة واسعة لتغطية كل تلك الثياب[١١٩٤] وكانت ملابس باقي نساء القصر[١١٩٥] تقل مكوناتها تبعاً لمكانتهن في البلاط الفاطمي وتتراوح بين حلة مذهبة وحلة حريرية وهي مما ترتدي المستخدمات[١١٩٦].

واشتهرت مصر بصناعة المنسوجات البيضاء الرقيقة التي تصنع منها غلائل[١١٩٧] والتي كانت تصنع للنساء في العصور الوسطى، وكان سعر الغلالة الحريرية في العصر الفاطمي يتراوح بين سبعة دنانير وعشرين دينارا، وأن ملابس نساء الخاصة التي تخرج من خزانة القصر تكون أرقي أنواع الحرير الملون[١١٩٨] هذا لأنها تمثل ملابس نساء الخاصة[١١٩٩] وأن أوراق البردي تذكر أسعار الغلائل بأقل من هذا السعر[١٢٠٠] ربما تكن أقل جودة لذا قل سعرها أو لأنها من ملابس نساء العامة.

وهنالك ملابس خاصة بالجواري والقيان الراقصات الهدف منها إبراز مفاتنهن ليكن متعة للناظرين، ولتأثيرهن في المجتمع أمعن في إظهار ملاحتهن[١٢٠١] فكانت العازفة والمغنية ترتدي ثوباً طويلاً واسع الأكمام مزيناً بالزخارف، حيث عادت موضة جر الذيل في العصر الفاطمي[١٢٠٢] وتضع فوق رأسها عصابة تشبه العمامة، وأحيانا تضع على رأسها تاجاً مرصعة بالجواهر يتدلي من عصابتها[١٢٠٣] وكانت الراقصة ترتدي ثياباً واسعة الأكمام وسراويل واسعة وتلقي على كتفيها بشال ومن المحتمل أن تضع أسفل الرداء مشدات وهي نوع من الأزار العريضة التي تضعها النساء على ملابسها لإبراز مفاتن جسدها ومنها عرفت عقد الزنار وتكون

(١١٩٣) ماجد، **نظم الفاطميين**، ج٢، ص٥٦.

(١١٩٤) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٤١٠.

(١١٩٥) حسن، **تاريخ الإسلام**، ج٣، ص٤٤٥.

(١١٩٦) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٤١١.

(١١٩٧) رحمة الله، **الملابس**، ص٢١٢.

(١١٩٨) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص١٨٧-١٨٩.

(١١٩٩) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٤١٠.

(١٢٠٠) جروهمان، **أوراق البردي**، ج٦، ص٧٣- ٧٤.

(١٢٠١) حريتاني، **الجواري**، ص١٠٢.

(١٢٠٢) سعدون، الساموك، الأزياء العربية عبر التاريخ، **مجلة المؤرخ العربي**، عدد٢٥، ط١٩٨٤، ص ١٤٧، وسيشار إليه لاحقاً : سعدون، الأزياء العربية.

(١٢٠٣) رحمة الله، **الملابس**، ص ٢١٣.

بربط الأزار بسلسلة من ذهب أو خيوط من حرير[١٢٠٤] وارتدت المصريات قمصاناً ذات أكمام عريضة لها أذيال تصل إلى الأرض منها ظهرت موضة "البهطلة" وهي القمصان ذات الأكمام القصيرة الواسعة التي تظهر مفاتن الجسد[١٢٠٥] ونجد الجواري الراقصات منهن ترتدي ملابس شبة عارية، ولكن يضعن على رؤوسهن عصائب[١٢٠٦].

ولا تلبس النساء كل الألوان لأن بعض الألوان صنفت حسب فئات معينة في المجتمع وطبقاته، فنجد نساء الطبقات العليا في المجتمع تلبس الحرير والخز والديباج، وتلبس الملون بلون الحمرة والصفرة والمورد والأحمر[١٢٠٧] ونجد أن لبس اللون الأخضر من لبس نساء العامة واللون الأسود لبس الحداد، وكذلك الأزرق من لبس الأرامل للحداد ونجده في مجتمعات المغرب[١٢٠٨].

ومن المؤكد أن ملابس العامة تختلف عن نساء الخاصة، كانت نساء العامة ترتدي بعض الأغطية على الرأس ويطلق عليها العصائب[١٢٠٩] كما كان لبس السروال[١٢١٠] والغلالة بالإضافة إلى القميص شائعاً وكان لبس والسراويل الواسعة مرفوضاً لأنها كانت منافية للآداب العامة ونودي في سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م في شوارع القاهرة بأن لا تلبس امرأة أي نوع من السراويل الكبيرة، وبالإضافة إلى ذلك كانت المرأة من نساء العامة ترتدي فوق ثيابها ملاءة واسعة فضفاضة تخفي وتغطي كل جسدها، وكذلك النقاب الذي تضعه على وجهها عندما تكون خارج الدار[١٢١١] وكانت وظيفة المحتسب مراقبة لنساء ومنعهن من ارتداء الملابس الخليعة التي لا تستر أجسادهن وتعمل على إبراز مفاتنهن، ويكون هذا الجانب أكثر وضوحاً عندما انتشرت الأحذية ذات الصرير العالي[١٢١٢] التي كانت ترتديها النساء في أرجلهن وتحدث أصواتاً عند المشي بها مما قد يلفت أنظار الرجال إليها ويعد منافيا للآداب الاجتماعية قد استدعي تدخل

(١٢٠٤) سعدون، **الازياء العربية**، ص ١٤٧.

(١٢٠٥) **نفس المرجع**، ص١٤٧.

(١٢٠٦) سلطان، **المجتمع المصري**، ص٢٨٢، رحمة الله، **الملابس**، ص٢١٣.

(١٢٠٧) رحمة الله، مليحة، الملابس في العراق خلال العصور العباسية، **المجلة التاريخية المصرية**، تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الثالث عشر، القاهرة ط ١٩٦٧م، ص٢٠٠، وسيشار إليه لاحقاً: رحمة الله، الملابس.

(١٢٠٨) رحمة الله، **الملابس**، ص ٢٠١.

(١٢٠٩) **نفس المرجع**، ص ص٢١٤.

(١٢١٠) رحمة الله، **الملابس**، ص١٩٨.

(١٢١١) ياقوت، **معجم الأدباء**، ج٤، ص٥٩.

(١٢١٢) سعدون، **الأزياء العربية**، ص١٤٧.

المحتسب لمنع النساء من ارتداء هذا النوع من الخفاف وعمل على تحذير الأساكفة[١٢١٣] من صنعه[١٢١٤] وكانت النساء داخل المنازل يرتدين في أرجلهن القباقيب والزرابيل[١٢١٥] وكذلك من لبس النعال وربما نجد بعض من نساء الطبقة الفقيرة من تسير حافية [١٢١٦] وكذلك لبست النساء القبقاب والذي يختص استعماله بالحمامات وهو مصنوع من الخشب وتلبسه الجواري أيضاً[١٢١٧] ونجد أن لبسه كان شائعاً قبل وبعد العصر الفاطمي في مصر حيث أن للقبقاب دور في عملية قتل شجرة الدر [١٢١٨] في عهد دولة المماليك سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م حيث ضربت بالقباقيب على يد الجواري[١٢١٩] ويتضح تنوع ما تلبسه النساء في أرجلهن ومنه حاولن إظهار أنفسهن وذلك لتنوع وانتشار صناعة ما يلبس في القدم في العصر الفاطمي حيث كانت صناعات الخفاف[١٢٢٠] وكان منها ما يصنع من الجلود الراقية والمستوردة[١٢٢١] ومنها توسعت وانتشرت حوانيت الأساكفة في الأسواق، وقد تعرضت تجارتهم للكساد[١٢٢٢] خاصة صانعي الخفاف للنساء عندما منع الخليفة الحاكم النساء من الخروج من دورهن ومنع الاسكافة من صناعة الأخفاف لهن[١٢٢٣].

ويتضح أن ملابس النساء على مر العصور كانت هي الأكثر تغيراً وتأثراً بالتطور مما يدل على حرية المرأة الاجتماعية من جانب وعلى عقليتها الناضجة في المجتمع من جانب اَخر، بالرغم ما كان يفرض من عقوبات بالمنع على موضات مختلفة من الثياب إلا أن الملابس تتطور بما يظهر عند طبقات الخاصة ثم ينتقل إلى العامة وهو ما يعكس التفاعل بين الخاصة والعامة.

أدوات الزينة:

(١٢١٣) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٠٣، الأسكاف، صانع الخفاف، ص .

(١٢١٤) الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص٧٣.

(١٢١٥) الزرابيل: وهو نوع من الخفاف كانت تلبسه الجواري. القلقشندى، **صبح الأعشي**، ج١، ص٤٢٨. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص٣١.

(١٢١٦) رحمة الله، **الملابس**، ص٢١٤.

(١٢١٧) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص ١٢٩.

(١٢١٨) شجرة الدر: هي جارية السلطان الصالح نجم الدين تولت الحكم في بداية عهد دولة المماليك. وللمزيد انظر، الرواشدة، آمنة محمود، **حيوات المرأة في الدولة المملوكية في مصر والشام ٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٥١٧- ١٢٥٠م**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك ط١٩٨٩م، ص١٠، وسيشار إليه لاحقاً: الرواشدة حيوات المرأة.

(١٢١٩) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص ١٢٩.

(١٢٢٠) رحمة الله، **الملابس**، ص٢٠٢.

(١٢٢١) خسرو، **سفر نامة**، ص٥٩-٦٠.

(١٢٢٢) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٢٠٥.

(١٢٢٣) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص١٠٣.

وكانت المرأة في العصر الفاطمي مثل غيرها من النساء في كل زمان ومكان تتزين ما أمكنها التزين وخاصة بالحلي لان النساء عرفن لبس الحلي منذ عصور ما قبل التاريخ المصنوعة من الأحجار الكريمة والذهب والفضة التي تعلق على صدرها أو تتدلي من رقبتها وإذنيها مثل مشابك الصدر والعقود والأساور والأقراط والخلاخل وهي تلبس في الأرجل وتلبسها الكثير من النساء من الخاصة والعامة وتكون من الفضة والذهب، والخواتم(١٢٢٤).

العقود: وهو ما يلبس على العنق ويكون من الذهب أو الفضة ويلون بالأحجار الكريمة وغالباً ما تمتلك النساء من الطبقات الخاصة العقود لأنها تكون غالية الأثمان، وقد تلجأ النساء إلى بيعها وقت الأزمات مثل ما فعلت النساء أيام الشدة المستنصرية(١٢٢٥) وكان سعر العقد يختلف حسب المادة المصنوع منها، فالعقد المصنوع من الذهب(١٢٢٦) وصل سعره خمسة دنانير، أما العقد المصنوع من الكهرمان والأحجار الكريمة فقد بلغ سعره خمسة عشر ديناراً(١٢٢٧) وقد ترتفع أسعار العقود حيث وصل العقد أيام الشدة المستنصرية إلى ألف دينار فباعته امرأة بثلاثمائة دينار (١٢٢٨)

الأساور: وكانت تصنع من الذهب والفضة وتحلى بالأحجار الكريمة وكان يبلغ سعر الأساور أحيانا خمسة عشر ديناراً(١٢٢٩) وتميز العصر الفاطمي عن غيره بالثراء والغني مما انعكس أثر ذلك على نساء الطبقات الخاصة في قصورهن وأحوالهن وملابسهن وبالتالي تميزن باستعمال الكثير من وسائل الزينة.

(١٢٢٤) رحمة الله، **الملابس**، ص ٢١٤.

(١٢٢٥) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص٦١.

(١٢٢٦) انظر الملحق رقم ١٠، **عقد من ذهب في العصر الفاطمي**، ص٢١٠.

(١٢٢٧)Ashtor, Histoire, p220، نقلاً عن : عبد الكريم، **المرأة في مصر**، ص١٦٤.

(١٢٢٨) ابن ميسر، **أخبار مصر**، ص٥٧.

(١٢٢٩).Ashtor, Materiaux pour histoire,p.180 نقلاً عن: عبدالكريم، **المرأة في مصر**، ص١٦٥.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة دور المرأة خلال العصر الفاطمي بين عامي (٣٦٢-٥٦٧هـ/٩٧٢ – ١١٧١م) كدراسة سياسية واجتماعية وثقافية أرادت منها الباحثة الوقوف على كافة جوانب حياة المرأة في العصر الفاطمي وتأتي أهمية دراسة هذا الموضوع لما تمثله المرأة الفاطمية من دور ونفوذ كسلطة لتدخلهن في إدارة الدولة، ولقد أسهمت المرأة في الدولة الفاطمية بأدوار فاعلة خصوصاً في الفترات الحرجة التي مرت بها الخلافة الفاطمية نتيجة لسوء سياسة بعض الخلفاء في الدولة مما لزم الأمر ظهور دور للنساء للمحافظة على أمن واستقرار الدولة، وجاء تدخل النساء في العصر الفاطمي الثاني نتيجة لصغر سن الخلفاء أو ضعفهم ووقوعهم تحت سيطرت الوزراء الذين كانوا يتحكمون في الدولة، ومن خلال ذلك يبرز دور المرأة الإيجابي في تدخلها في الدولة ولأنها أسهمت في إنقاذ الخلافة وعملت على الحد من سيطرة الوزراء على الدولة.

ومن هنا تنبع أهمية الدراسة بحيث تهدف إلى كشف الجوانب السلبية والإيجابية التي نتجت عن تدخل النساء في إدارة شؤون الدولة، ثم الوقوف على جوانب حياة المرأة في العصر الفاطمي.

وبالرغم من توفر الدراسات السابقة عن دور المرأة في العصر الفاطمي وكتابات متفرقة عن نساء من الدولة الفاطمية إلا أننا نجد الكثير من الثغرات في هذه الدراسات في تناول أوضاع وأحوال النساء وخاصة نساء العامة في العصر الفاطمي حيث لم تتم معالجتها بشكل مفصل ربما عاد هذا لقلة المصادر الفاطمية التي لم تصل إلينا، وندرك حقيقة أن المصادر الفاطمية تعرضت للحرق والضياع بعد سقوط الدولة الفاطمية في مصر، ومن يطلع على الدراسات السابقة حول المرأة الفاطمية يدرك أن هذا الموضوع بحاجة إلى المزيد من الدراسات لأن تلك الدارسات لم تتطرق للعديد من جوانب حياة المرأة، في مصر الفاطمية، ومن خلال دراستي تناولت الكثير من الجوانب التي تتعلق بحياة المرأة وكانت هنالك العديد من الثغرات التي لم أجد لها تفسيراً في الكثير من المصادر، وسأوردها في نتائج هذه الدراسة، وهذا ربما يتيح المجال أمام الباحثين لدراسات جديدة عن المرأة في عهد الدولة الفاطمية، وذلك ربما يتاح لهم مستقبلاً الوصول إلى مصادر جديدة تساعدهم في اكتمال الصورة عن حياة المرأة في تلك الفترة التاريخية المهمة.

واشتملت الدراسة على عدة فصول حيث برزت فيها إشارات مهمة عن قوة شخصية ونفوذ النساء الفاطميات في تدخلهن في إدارة الدولة تتمثل في فترة نفوذ سلطة الخلفاء وكان ذلك في مرحلة قوة الدولة وانفراد الخلفاء بالسلطة وبالرغم من ذلك ظهر لهن دور وهذا ما يدل على مكانتهن، وتمثل ذلك في دور ست الملك ابنة الخليفة العزيز وشقيقة الخليفة الحاكم بأمر الله عاكسة مدى قدرة المرأة على الإدارة وتدبير الأمور بأحسن صورة.

ونجد أن دور السيدة رصد والدة الخليفة المستنصر كان مغايراً لدور ست الملك حيث اتسم دور السيدة رصد بتسلطها على ابنها الخليفة المستنصر، وبلغت سلطاتها أن اتخذت لنفسها ديواناً خاصاً وأصبحت من خلاله تدير أمور الدولة، وحلت بالبلاد كارثة الشدة العظمى أو ما يعرف في التاريخ الشدة المستنصرية من جراء سوء سياستها.

وفي جانب أخر كان انتصار الأتراك على عبيد أم المستنصر بمثابة الكارثة على الدولة حيث توسعت سلطتهم وقويت شوكتهم واخذوا يتطاولون على الخليفة المستنصر الذي تناقصت هيبته بسبب سوء سياسة والدته وضعف شخصيته حيث جرد الأتراك أم المستنصر من ثرواتها وبيع كل ما يملك الخليفة في قصوره حتى جلس على حصيرة، مما استدعي الأمر أن يطلب المساعدة من عامله بدر الجمالي وأوكل له تفويضاً كاملاً أمور الدولة، وعندما دخل بدر الجمالي والي عكا إلى مصر سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م دخلت الدولة في فترة سلطة نفوذ الوزراء أو ما يعرف بفترة الوزراء العظام الذين تحكموا في الخلفاء ولم تعد لديهم أي سلطة فعلية.

ويتضح من خلال هذا الأمر الفرق بين سياسية ست الملك، التي عملت على حماية الدولة ومقدراتها عندما شعرت باضطراب سياسة أخيها الحاكم، وبين السيدة رصد التي قادت الدولة نحو الخراب بالرغم مما ورد في الكثير من المصادر من توسع وازدهار الدولة الفاطمية في بداية عهد خلافة المستنصر إلى أن قرئ أسمه في الخطبة في بغداد قرابة العام، وربما يكون لنشأة أم المستنصر كجارية تحظاها الخليفة الظاهر عامل في تسلطها على ابنها الخليفة، لأنه على ما يتضح كان دورها يفتقر للحنكة الإدارية والسياسية بل يدل على حبها للسلطة والظهور دون أن يصب في مصلحة الدولة.

وبدخول الدولة الفاطمية تحت سلطة الوزراء في العصر الفاطمي الثاني ظهر دور المرأة في الإدارة مختلفاً عما كان عليه في عهد سلطة الخلفاء الفاطميين الأوائل، حيث كان دور نساء العصر الثاني يتمثل في حماية الخلفاء والعمل على تخليصهم من نفوذ الوزراء وذلك بالتأمر على الوزير باستدعاء وزير أقوى منه مثل حدث عندما استصرخت نساء القصر بالصالح طلائع بن رزيك للتخلص من الوزير عباس الصنهاجي وابنه نصر، و بلغ بهن الأمر أن طلبت عمة الخليفة الفائز من الصليبين المساعدة وبذلت لهم الأموال في سبيل القبض على عباس وابنه نصر، مما يدل على قوة شخصية المرأة الفاطمية بالرغم من قلة نفوذها التي جردها منها الوزراء، وقد تلجأ للأعداء في العمل على المحافظة على دولتها، ويمكن تفسير تدخل النساء في هذه المرحلة أنه جاء نتيجة لضعف خلفاء العصر الفاطمي الثاني بسبب صغر سنهم وتحكم الوزراء فيهم.

وتناولت الدراسة جوانب متفرقة من أوضاع المرأة الاجتماعية والاقتصادية وأوضحت الباحثة ندرة المعلومات الأولية في المصادر وخاصة فيما يتعلق بدور نساء العامة في المجتمع

الفاطمي، عدا بعض الإشارات التي عادة ما تكون مفقودة الحلقات، ويتضح هذا الأمر جلياً في تعليم المرأة في العصر الفاطمي والذي يدرك الباحث من الوهلة الأولى انه كانت هنالك عناية بتعليم المرأة في حلقات الدراسة التي كانت تعقد على مدار الأسبوع وفي أماكن مختلفة للرجال وللنساء، ويمكن تفسير ذلك بحرص الدولة وسعيها لنشر مذهبها الشيعي الإسماعيلي عن طريق تعليمة للناس، وبجانب ذلك تسعى إلى نشر المعرفة، ولكن يفاجأ الباحث عندما لا يجد ذكر لأسماء نساء عالمات أو امرأة تزعمت نشر المذهب مما يطرح تساؤلاً مهماً لماذا لم يرد في المصادر التاريخية أسماء لنساء فاطميات عالمات مثل غيرهن كما في الدول المعاصرة للدولة الفاطمية وهذا ما يلاحظ بشكل جلي في الخلافة العباسية والدول الإسلامية المتعاقبة على مصر خلال العصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية.

أما طبقة نساء الخاصة التي تمتعت بالثراء الذي أفاض في وصفه المؤرخون، وهل هذا الثراء انعكس على نساء العامة أم انه ينحصر فقط في نساء الخاصة؟

وكذلك الصورة الأخرى لنساء العامة عندما كانت الدولة تعاني في أغلب الفترات من المجاعات التي من المعروف أن الدولة الفاطمية مرت بالكثير منها خلال وجودها في مصر وما مدى الأثر الذي تركته هذه الأوضاع الاقتصادية السيئة على وضع المرأة في مصر الفاطمية؟

وهنالك أيضا جانب يطرح تساؤل مهم وذلك عندما تذكر ثروات ومنشآت نساء الطبقات الخاصة وفيما يتصل بالدور الاقتصادي للمرأة الفاطمية فأن ندرة المعلومات حالت دون تمكن الباحثة من تكوين صورة واضحة المعالم عن مدى مساهمتها في جوانب الحياة الاقتصادية والعمرانية وأوقاف المرأة في العصر الفاطمي وغيرها من الجوانب التي تمكن الباحث من تكوين صورة متكاملة عن جوانب الحياة الاقتصادية ولم تتعرض أية دارسة سابقة لهذا الجانب؟.

وخلصت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج ،أبرزها:

أولاً: تمتعت المرأة في العصر الفاطمي بنفوذ كبير وسلطة واسعة من خلال مشاركتها السياسية والإدارية في الدولة، وكانت لها مراسلاتها وتوقيعاتها التي تدل على أنها ربما كانت تتولي الرد نيابة عن الخليفة في الدولة، وأن منهن من كان دورها ايجابياً على الدولة مثل ست الملك شقيقة الـ خليفة الحاكم بأمر الله، ومنهن من كان تدخلها سلبياً على الدولة مثل السيدة رصد والدة الخليفة المستنصر بالله.

ثانياً: اتسم دور النساء في العصر الفاطمي الثاني بالقوة بالرغم من تزايد نفوذ سلطة الوزراء وظهرت شخصية المرأة الفاطمية التي حرصت على بقاء ولاية العهد في أبنائها وكانت تدافع عن الخلافة ومقدراتها، حتى إذا دعا الأمر إلى أن تحالفت مع الأعداء .

ثالثاً: تمتعت نساء الطبقة الخاصة في العصر الفاطمي بثروات ضخمة، وكانت لهن القصور وأسهمن في إنشاء بعض المنشآت العمرانية مثل المساجد والربط .

رابعاً: تمتعت المرأة في مصر الفاطمية بالحرية في كافة النواحي بخلاف ما تعرضت له في عهد الخليفة الحاكم الذي قيد حرية خروج المرأة ما يقارب السبعة سنين وغير ذلك فقد عاشت المرأة في الدولة الفاطمية حياتها بكل حرية وكانت لها مشاركتها في كافة المناسبات والأعياد المختلفة التي كانت تقام على مدار العام، وكذلك نالت حظها في التعليم ووفرت لها الدولة مجالس خاصة لتعليم النساء بالرغم من أن المصادر لم تورد ذكر نساء عالمات من العصر الفاطمي.

خامساً: لا تتوفر أي إشارات لوجود تصادم بين التيارات المذهبية بين فئات النساء حيث لم يوجد فصل بين نساء، المجتمع الفاطمي الشيعي ونساء عامة المصريين من السنة، مما يدل على انصهار الفوارق العقدية في المجتمع الواحد، وهذا يعطي مؤشراً دالاً على أن الدولة الفاطمية مع استثناءات قليله، لم تمارس التعصب المذهبي مما انعكس على رعاياها وعلى المرأة بوجه الخصوص.

سادساً: واجهت الباحثة مشكلة ندرة الإشارات المتعلقة بنساء الطبقة العامة، مما يبقي الباب مفتوحاً إمام الباحثين لدراسة هذا الجانب إذا أتيح لهم الاطلاع على مصادر جديدة لم يتوفر للباحثة الاطلاع عليها والإفادة منها.

المصادر والمراجع

المصادر الأولية

١. ابن الأثير، عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) **الكامل في التاريخ**، أجزاء، دار صادر، بيروت، ط١٩٧٩م.

٢. ابن تغري بردى، جمال الدين أبى المحاسن يوسف الأتابكى (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة،** ١٦ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٢م.

٣. بيبرس، المنصوري، **مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ،** تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١٩٩٣م.

٤. البغدادي، عبد اللطيف (ت ٥٥٧هـ/١١٦١م) **كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهد والحوادث والمعانية بالأرض مصر، قصة المجاعة الكبرى بمصر عام ٦٠٠هـ** ، تحقيق: أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ط١٩٨٣م.

٥. الجاحظ، أبو عثمان بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) **الحيوان،** ٦ أجزاء، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط٢، بيروت.

٦. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،** ٨ أجزاء، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٣٩م.

٧. حماد، أبى عبد الله محمد بن على، **أخبار بني عبيد وسيرتهم،** تحقيق: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة.

٨. الحميري، محمد عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) **الروض المعطار في خبر الأقطار،** حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٩. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ولي الدين الحضرمي، **مقدمة ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)** تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، ط٢٠٠٤م.

١٠. ابن خلكان، أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

١١. ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (٨٠٩هـ/١٤٠٦م) **الانتصار لواسطة عقد الأمصار،** المكتب التجاري، د.ت.

١٢. الدواداري، أبي بكر بن عبد الله بن أيبك (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م) **الدرر المضية في أخبار الدولة الفاطمية،** تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، ط ١٩٦١م.

١٣. الدينوري، ابن قتيبة أبو محمد بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) **عيون الأخبار،** تحقيق: محمد الإسكندراني دار الكتب العربي، القاهرة.

١٤. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) **العبر في خبر من غبر،** تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسيونى، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٨٥م.

١٥. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث (٤٠١/٥٠٠هـ(** تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١٩٩٤م.

١٦. **سير أعلام النبلاء،** تحقيق: عبد القادر عطا، ٩ أجزاء دار الكتب العلمية بيروت.

١٧. الروحي، أبي الحسن علي بن عبد الله محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن (ت ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) **بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء،** تحقيق: عماد هلال، محمد حسني عبد الرحمن، سعاد عبد الستار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط ٢٠٠٩م.

١٨. ابن الزبير، القاضي الرشيد (ت القرن الخامس) **كتاب الذخائر والتحف،** حققه محمد حميد الله، قدم له صلاح الدين المنجد، المطبعة الحكومية، الكويت، ط١٩٨٤م.

١٩. الزركلى، خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،** ٦ أجزاء، دار العلمية، بيروت.

٢٠. ابن الساعي، تاج الدين أبي طالب على بن منجب (ت٦٧٤هـ/١٢٧٧م) **نساء الخلفاء المسمي جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء،** تحقيق: مصطفي جواد، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٩٣م.

٢١. سبط ابن الجوزى، شمس الدين أبى المظفر يوسف بن عبد الله البغدادي (ت ٦٥٤هـ/ ١٠٥٧م) **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان الحقبة من ٣٤٥– ٤٤٧هـ** ، تحقيق: جنان جليل الهموندى الدار الوطنية، بغداد، ط ١٩٩٠م.

٢٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، **المستظرف من أخبار الجواري،** تحقيق: أحمد عبد الفتاح تمام، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة، ص٣.

٢٣. **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة،** مطبعة الموسوعات مصر.

٢٤. ابن شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م) **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية،** ٣ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢٠٠٢م.

٢٥. الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم الفيروزابادي (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م) **المهذب في فقه الشافعي، كتاب عتق أمهات الأولاد،** مجلد ٢، دار المعرفة، بيروت، ط١٩٥٩م. ٢٧

٢٦. الشيرازي، المؤيد في الدين هبة الله داعي الدعاة (ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م) **المجالس المؤيدية "المائة الأولي"،** تحقيق: مصطفي غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١٩٧٤م.

٢٧. الشيزري، عبد الرحمن بن نصر(ت٥٨٩هـ/١١٩٣م) كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر، القاهرة، ط١٩٤٦م.

٢٨. الأصفهاني، ابن العماد الأصفهاني، **خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء مصر**، نشر أحمد أمين، شوقي ضيف، إحسان عباس، ج١، ط١٩٥١م.

٢٩. الصنهاجي، أبو عبد الله محمد (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم،** تحقيق: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط١٩٨٤م.

٣٠. ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب المصري (ت ٥٤٢هـ/١١٧٤م) **الإشارة إلى من نال الوزارة،** تحقيق: عبد الله مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة ط١٩٢٤م.

٣١. ابن طوير، أبو محمد المرتضي عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م)، **نزهة المقلتين في أخبار الدولتين،** تحقيق: أيمن فؤاد السيد، دار النشر فرانتس شتايز شتوتغارت، ط١٩٩٢.

٣٢. ابن ظافر، جمال الدين علي الأزدي (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) **أخبار الدول المنقطعة دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين،** تحقيق: اندريه فرية، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة ط ١٩٧٢م.

٣٣. العاملي، زينب بنت يوسف فواز، **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور،** مكتبة ابن قتيبة، تونس.

٣٤. عبد ربه، شهاب الدين أحمد (ت ٣٣٩هـ/٩٤٠م) **العقد الفريد، كتاب الطعام،** بيروت، ط١٩٥٤م.

٣٥. ابن العديم، كمال الدين أبا القاسم عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) **زبده الحلب من تاريخ حلب،** ٣ أجزاء، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق.

٣٦. عمارة، نجم الدين أبي محمد بن الحسن الحكمي اليمني، **النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية،** صححه: هرتويغ درنبرغ مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩١م.

٣٧. العمري، ياسين بن خير الله، **مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء،** تحقيق رجاء السامرائي دار الجمهورية، بغداد، ط ١٩٦٦م

٣٨. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن على بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) **تاريخ أبى الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر،** علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩. ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي التميمي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) **تاريخ دمشق،** تحقيق: سهيل زكار، دار الإحسان، دمشق، ط١٩٨٣م.

٤٠. القلقشندى، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) **صبح الأعشى في صناعة الإنشا،**١٠ أجزاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الفكر بيروت، ط١٩٨٧م.

٤١. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي (ت ٧٤٤هـ/١٣٧٣م) **البداية والنهاية،** مكتبه المعارف بيروت ج١١ ط ١٩٩١م.

٤٢. الكندي، أبو عمار بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)، **ذيل كتاب القضاة والولاة،** دار الكتاب العلمية بيروت، ط ١٩٠٨م.

٤٣. ابن المأمون، جمال الدين أبوعلي موسي بن مأمون البطائحي (ت ٥٨٨هـ/١١٩٢م) **نصوص من أخبار مصر،** حققها وقدم لها: أيمن فؤاد السيد المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة.

٤٤. الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) **الأحكام السلطانية الولايات الدينية،** دار الكتب العلمية، بيروت ط١٩٨٥.

٤٥. مجهول، **كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق،** ٤ أجزاء، تحقيق: عمر السعيدي، دمشق، ط١٩٧٢م.

٤٦. المسبحي، عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م) **نصوص من أخبار مصر،** اعتني بجمعها: أيمن فؤاد السيد، مستخرج من حوليات إسلامية، م١٧، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ط١٩٨١م.

٤٧. المستنصر بالله، أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) **السجلات المستنصرية، سجلات وتوقيعات الإمام المستنصر،** تحقيق: عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي، مصر، ط ١٩٥٤م.

٤٨. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الشاري، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،** ط٢ ١٩٦٧م.

٤٩. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،** تحقيق: جمال الدين الشيال ٣ أجزاء، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط ١٩٦٧م.

٥٠. **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية،** قدم لها وعلق عليها زهير حميدان، ٤ أجزاء، منشورات دار الثقافة دمشق، ط ١٩٧٨م.

٥١. **كتاب المقفى الكبير،** ٣ أجزاء، تحقيق: محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامي ط١، ١٩٩١م.

٥٢. **إغاثة الأمة بكشف الغمة،** أو تاريخ المجاعات في مصر، خزانة الفكر العربي.

٥٣. الملطي، ابن عبد الرحمن، **المجالس المستنصرية،** تحقيق: محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.

٥٤. ابن مماتي، أسعد الوزير الأيوبي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) كتاب قوانين الدواوين، تحقيق: غريز سوريال عطية، المطبعة المصرية ط ١٩٤٣م.

٥٥. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ/ ١٢٧٨م) **لسان العرب،** ١٥ جزء، دار صادر، بيروت، د.ت

٥٦. الموصلي، ياسين الخطيب العمري (١٢٣٢هـ(الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق عماد علي حمزة، الدار العالمية.

٥٧. ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن راغب (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، **المنتقي من أخبار مصر،** تحقيق: أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.

٥٨. الأنطاكي، يحيي بن سعيد (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، **تاريخ يحيي بن سعيد الأنطاكي، المعروف بصلة تاريخ أوتيخا،** مطبعة الإباء، بيروت، ط١٩٠٩م.

٥٩. ناصر، خسرو العلوي (ت ٤١٨هـ/١١٨٨م)، **سفر نامة، رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري،** ترجمة يحي الخشاب، دار الكتاب الجديد، ط١٩٨٣م.

٦٠. النعمان، القاضي بن محمد (ت ٣٦٣هـ/٩٧٤م) **كتاب افتتاح الدعوة،** تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط ١٩٧٥م.

٦١. **كتاب المجالس والمسايرات تحقيق الحبيب ألفقي،** إبراهيم شيوخ، محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٧م.

٦٢. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) **نهاية الأرب في فنون الأدب،** ٢٨ جزء، تحقيق: محمد أمين ومحمد حلمي، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ط ١٩٩٢م.

٦٣. ابن إياس، أبو البركات محمد ابن أحمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور،** ٣ أجزاء، ط بولاق.

٦٤. ياقوت، شهاب الدين أبى عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) **معجم البلدان،** تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، ٣ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٥. **مجمع الأدباء،** ٢٠ جزء، القاهرة، ١٩٣٨م.

المراجع العربية والمعربة:

١- أمين، أحمد، **ظهر الإسلام، الجزء الأول (يبحث في الحالة الاجتماعية ومراكز الحياة العقلية من عهد المتوكل إلى أواخر القرن الرابع الهجري)**، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط٢ ١٩٨٠م.

٢- أمين، محمد، **الأوقاف والحياة في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية وثائقية**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١٩٨٠.

٣- الألوسي، جمال الدين، **أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية**، مطبعة أسعد، بغداد، ط١٩٦٧م.

٤- أيوب، إبراهيم زرق الله، **التاريخ الفاطمي الاجتماعي**، الشركة العالمية للكتاب لبنان ط١٩٩٧م.

٥- بدوي أحمد، **الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، ط١٩٧٢م.

٦- بدوي، عبد المجيد أبو الفتوح، **التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد**، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط. ١٩٨٨م.

٧- البراوي، راشد، **حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٩٤٨م.

٨- البواب، سليم، **مئة أوائل من النساء**، دار الحكمة دمشق ط٢، ١٩٨٦م.

٩- بيادر، دوج، **الأزهر في ألف عام**، ترجمة حسين فوزي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط. ١٩٩٤م.

١٠- تامر، عارف، **الحاكم بأمر الله خليفة، وإمام، ومصلح**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١٩٨٢م.

١١- تامر، عارف، **الحاكم بأمر الله خليفة، وإمام، ومصلح**، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط. ١٩٨٢م.

١٢- تامر، عارف، **القرامطة أصلهم ونشأتهم وتاريخهم وحروبهم**، منشورات مكتبة الحياة بيروت.

١٣- تامر، عارف، **القرامطة بين الالتزام والإنكار**، دار الطليعة، دمشق، ط. ١٩٩٦م.

١٤- ترتون، **أهل الذمة في الإسلام**، ترجمة: حسن حبشي، ط٣، ١٩٩٤م.

١٥- الترمانيني، عبد السلام، **الرق ماضيه وحاضره**، سلسلة عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ط ١٩٧٩م.

١٦- الجارم، علي، **سيدة القصور أخر أيام الفاطميين بمصر**، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٥٥م. شرف الدين، عبد الفتاح، **الأوراق الندية في تاريخ مصر الإسلامية من قبيل الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأيوبية**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٢٠٠٣م.

١٧- جبور، عبد النور، **الجواري**، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، ط. ١٩٤٧م.

١٨- جرهمان، أودلف، **أوراق البرد العربية**، ٦ أجزاء، نقلها إلى العربية: حسن إبراهيم حسن، القاهرة، ط. ١٩٧٤م.

١٩- الجعيدي، شبلي إبراهيم، **طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي ٥٦٧- ٦٤٨هـ/ ١١٧١- ١٢٥٠م**، الهيئة المصرية للكتاب ط. ٢٠٠٣م.

٢٠- جمعة، أحمد خليل، **نساء من التاريخ**، اليمامة للطباعة والنشر دمشق- بيروت ط١٩٩٧م.

٢١- جومار، **وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل(مع مقدمة للتطور العمراني لمدينة القاهرة منذ إنشائها وحتى سنة ١٨٠٠م)** نقله إلى العربية وقدم له: أيمن فؤاد السيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. ١٩٨٨م.

٢٢- الحائري، الشيخ محمد بن حسين الأعلمي، **تراجم أعلام النساء**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لبنان- بيروت.

٢٣- حريتاني، سليمان، **الجواري والقيان في المجتمع العربي الإسلامي**، دار الحصاد للنشر والتوزيع دمشق، ط. ١٩٩٧م.

٢٤- حسن، إبراهيم حسن، **الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص**، المطبعة الأميرية القاهرة، ط ١٩٣٢م.

٢٥- حسن، إبراهيم، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج٣، دار الجيل بيروت.

٢٦- حمادة، محمد ماهر، **الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية دراسة نصوص**، مؤسسة الرسالة، ط ١٩٨٠م.

٢٧- الحويري، محمود محمد، **مصر في العصور الوسطي دراسة في الأوضاع السياسية والحضارية**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط ١٩٩٦م.

٢٨- الخرابشة، سليمان، **أسرة بني رزيك ودورهم في تاريخ الدولة الفاطمية ٥٤٩-٥٥٨هـ/ ١١٥٤- ١١٦٣م**، جامعة اليرموك، الأردن، ط. ٢٠٠٣م.

٢٩- خليل، محمد محمود، **الاغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية ٣٥٨- ٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧١م**، مكتبة مدبولي، ط ٢٠٠٦م.

٣٠- الدشرواي، فرحات، **الخلافة الفاطمية بالمغرب (٢٩٦-٣٦٥هـ/٩٠٩-٩٧٥م)**، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٤م.

٣١- الرافعي، عبد الرحمن، سعيد عبد الفتاح عاشور، **مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني،** دار النهضة العربية، القاهرة.

٣٢- ريمون، أندريه، **القاهرة تاريخ حاضرة،** ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات ط١٩٩٣م.

٣٣- زكار، سهيل، **الجامع في أخبار القرامطة،** دار الإحسان، دمشق، ط١٩٨٧م.

٣٤- سعد، أحمد صادق، **تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي (مصر الفرعونية، الهيلينية، الإمبراطورية الإسلامية، الفاطمية من المغرب إلى مصر، عهد المماليك)،** دار ابن خلدون، بيروت، ط ١٩٧٩م.

٣٥- سلام، شافعي محمود، **أهل الذمة في العصر الفاطمي الثاني والعصر الأيوبي ٤٦٧-٦٤٨هـ،** دار المعارف، القاهرة، ط ١٩٨٢م.

٣٦- سلطان، عبد المنعم، **المجتمع المصري في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية،** دار المعارف، ط ١٩٨٥م.

٣٧- سلطان، عبد المنعم، **المجتمع المصري في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية،** دار المعارف، ط ١٩٨٥.

٣٨- شرف الدين، عبد الفتاح، **الأوراق الندية في تاريخ مصر الإسلامية من قبيل الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأيوبية،** مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٢٠٠٣م.

٣٩- الشيال، جمال الدين، **مجموعة الوثائق الفاطمية، وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة،** دار المعارف، المجلد الأول، ط٢، ١٩٦٥م.

٤٠- صالح، أحمد كامل، **مصر الإسلامية منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأيوبية،** مكتبة الشباب، القاهرة، ط١٩٨٠.

٤١- الصاوي، أحمد السيد، **مجاعات مصر الفاطمية، أسباب ونتائج،** دار التضامن، لبنان بيروت، ط ١٩٨٨م.

٤٢- عبد الكريم، ناريمان أحمد، **المرأة في مصر في العصر الفاطمي،** النهضة المصرية لصناعة الكتاب ط١٩٩٣م

٤٣- عبد الرازق، أحمد، **الحضارة الإسلامية في العصور الوسطي،** دار الفكر العربي، ط٢ ١٩٩٥م.

٤٤- عبد الرازق، أحمد، **تاريخ مصر وأثارها الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي،** الفكر العربي، القاهرة، ط ١٩٩٣م.

٤٥- عبد العظيم، رمضان، **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور،** كتبها: سيده كاشف جمال الدين سرور، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة المصرية للكتب، ط ١٩٩٣م.

٤٦- عبد الوهاب، حسن، **تاريخ المساجد الأثرية،** الهيئة المصرية للكتاب، ط٢، ١٩٩٤م

٤٧- عبده، عبد الله كامل موسي، **الفاطميون وأثارهم المعمارية في إفريقيا ومصر واليمن**، دار الأفاق العربية، ط٢٠٠١م.

٤٨- عطية، خطاب علي، **التعليم في مصر في العصر الفاطمي**، دار الكتاب، القاهرة، ط ١٩٤٧م.

٤٩- علي، وفاء محمد، **نفوذ النساء في الدولة الإسلامية في العراق ومصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١٩٨٦م.

٥٠- عنان، محمد عبد الله، **الحاكم بأمر الله، وأسرار الدعوة الفاطمية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣م، ص١٣٧.

٥١- عنان، محمد عبد الله، **مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية**، مكتبة الخانجي، القاهرة ط ١٩٦٩م.

٥٢- العوفي، محمد سالم، **العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السجوقي٤٤٧-٥٧٦هـ/١-١٠٥٥- ١١٧١م**، ط ١٩٨٢م.

٥٣- العيني، بدر الدين، **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد**، حققه وقدم له فهيم محمد شلتوت سلسلة الذخائر القاهرة، ط٢٠٠٣م.

٥٤- فؤاد، أيمن السيد، **التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن**، الدار المصرية اللبنانية ط١٩٩٧.

٥٥- فؤاد، أيمن سيد، **الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد**، الدار المصرية اللبنانية ط١٩٩٢م.

٥٦- القاضي، خالد بن عبد الرحمن، **الحياة العلمية في مصر الفاطمية ٤٦٦-٥٦٧هـ/١٠٧٤-١١٧١م**، الدار العربية للموسوعات.

٥٧- القوصي، عطية، **الحضارة الإسلامية**، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط ١٩٨٥م.

٥٨- كامل، محمد حسين، **في أدب مصر الفاطمية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١٩٦٣م.

٥٩- لويس، شيخو، **وزراء النصرانية وكتابها في الإسلام ٦٢٢هم**، حققه: كميل حشيمة اليسوعي، التراث العربي المسيحي، لبنان، ط ١٩٨٧م.

٦٠- ماجد، **الحاكم بأمر الله الخليفة المفتري عليه**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط ١٩٨٢م.

٦١- ماجد، عبد المنعم، **الإمام المستنصر بالله الفاطمي**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١٩٦٠م.

٦٢- ماجد، عبد المنعم، ن**ظم الفاطميين ورسومهم في مصر**، مكتبة الأنجلو المصرية، ج١، ط ١٩٥٣م.

٦٣- متز، أدم، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام**، جزءان في مجلد نقلها إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١٩٩٩م.

٦٤- مغنية، جواد، **الجوامع والفوارق بين السنة والشيعة،** تحقيق: عبد المحسن مغنية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ط١٩٩٤م.

٦٥- المناوي، محمد حمدي، **الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي،** دار المعارف، القاهرة، ط ١٩٧٠م.

٦٦- المنجد، صلاح الدين، **جمال المرأة عند العرب،** دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٩٦٩م.

٦٧- منقذ، مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيرزي، **كتاب الاعتبار،** حرره فيليب حتى، د.ف، مكتبة الثقافة الدينية، ط١٩٣٠

٦٨- هنتس فالثر، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري،** نقله إلي العربية: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ط ١٩٧٠م.

الرسائل الجامعية الغير منشورة:

٦٩- الرواشدة، آمنة محمود، **حيوات المرأة في الدولة المملوكية في مصر والشام ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م،** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ط ١٩٨٩م.

٧٠- العزام، عيسي محمود، **الدولة الفاطمية في عهد الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧-١٠٣٥هـ/ ٤٨٧-١٠٩٤م)** رسالة دكتواره غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٧م.

٧١- فضل، فاطمة إلياس، **دور الجواري والقيان في العصر العباسي الأول،** رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية جامعة الخرطوم ط ٢٠٠١م.

المقالات العربية والمعربة:

٧٢- خضيري، حسن أحمد، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ٣٦٢-٥٦٧هـ/ ٩٧٣-١١٧١م، **مجلة كلية الآداب،** ع٥٩، ط١٩٩٣م، مركز نشر جامعة القاهرة.

٧٣- ربيس، سليمان مصطفي، **إلمامة عن أحوال القاهرة الاقتصادية وعلاقاتها مع الخارج في عهد الفاطميين،** أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ١٩٦٩م، مطبعة دار الكتب، ط١٩٧١م.

٧٤- رحمة الله، مليحة، الملابس في العراق خلال العصور العباسية، **المجلة التاريخية المصرية** تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الثالث عشر، القاهرة، ع ١٩٦٧م.

٧٥- رحمة الله، مليحة، صورة من الحياة الاجتماعية في المجتمع العباسي في العراق، مقال ضمن **المجلة التاريخية المصرية،** تصدرها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، لقاهرة، ج١٧ ع١٩٧٠م.

٧٦- ستيرن، صومئيل، **القاهرة كمركز للحركة الإسماعيلية،** أبحاث الندوة الدولية، التاريخ: القاهرة مارس ١٩٦٩م، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط ١٩٧١م.

٧٧- سعدون، الساموك، الأزياء العربية عبر التاريخ، **المؤرخ العربي،** ع٢٥، ط ١٩٨٤م.

٧٨- سيمنوف، **حول الرق في عهد الدولة الفاطمية في مصر،** ترجمة: جليلة ناجي الهاشمي، **المجلة التاريخية،** تصدرها الجمعية العراقية للتاريخ والآثار، ع٢، ط ١٩٧٢م.

٧٩- عامر، توفيق، أحكام الرق في التشريع الإسلامي، **المؤرخ العربي،** ع١٦، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ط١، ١٩٩٨م.

٨٠- العزام، عيسي محمود، **دور ست الملك السياسي والإداري ٣٨٦-٩٦٦هـ/ ٤١٥-١٠٢٧م،** بحث منشور، جامعة المنيا، ٢٠٠١م.

٨١- فرسوخ، أمين، **ست الملك (٣٥٩-٩٦٩هـ/٤١٥-١٢٠٣م)،** مقال ضمن **مجلة تاريخ العرب والعالم،** السنة الخامسة والعشرون م٢٩، ع٢١٥، الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، ٢٠٠٥م.

٨٢- ماجد، عبد المنعم، امرأة مصرية تتزعم مظاهرة في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، **المجلة التاريخية المصرية،** تصدرها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الرابع والعشرين، ع ١٩٧٧م.

٨٣- ماجد، عبدالمنعم، سياسة الفاطميين في الخليج العربي مستمدة من السجلات المستنصرية وثائق فاطمية معاصرة، **مجلة المؤرخ العربي،** تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخي العرب العراق بغداد، ع١٢، ط ١٩٨٠م.

- **المصادر بالغة الانجليزية:**

- Jacob Mann: The Jews in Egypt and Palest in under the Fatimid calphs, Oxford, 1920.
- Brocklmann, History of the Islamic, London, 1980.
- Goitein, Studis in Islamic History and Institutions,Leiden, 1966 .
- Goitein Mediterranean Socity, Barkely, Los Anglos, 196

الملاحق من صفحة ١٨٢ الى ٢٠٢ نقص من اصل المصدر

abstract

This study aimed to demonstrate the situation of women in the Fatimid era of political, social, economic, and found that women in the Fatimid period enjoyed considerable influence and power in the state administration, and sometimes its a positive as it has maintained the State was keen to keep the succession in the House Fatimid and at other times its role was negative State and prestige of the Caliphate, especially in the Fatimid era II.

The study in four chapters and a conclusion, the researcher presented the definition of sources and references and pave it addressed the situation of the Fatimid state and then moved to Egypt, highlighting the major joints in the history of political, economic and social life until its fall, 567 AH / 1171.

The first chapter dealt with groups of women in the Fatimid era, through which it is clear that women in the Fatimid state had enjoyed a high status of women and Amtlkn fortunes swollen described in historical sources and if they have a lot of physical facilities and reflective Trahn status.

As well as the study included women general community Fatimid addition to the women of debts and slaves, and perhaps there were some of the pressures experienced by women in society, especially in the era of Caliph Al-Hakim 386-411 AH/ 996-1020 m, which prevent women from going out unless necessary, and addressed the researcher motives Caliph ruling to resort to such a policy with women and the manifestations of those raised by the political and negative effects on women of the era.

Chapter two discusses the role of women's political and administrative in the state and represent the involvement of the women during the period of influence and authority of the caliphs emerged as the role of six the King, and Ms. monitoring or Caliph al-Mustansir which indicates the strength of a woman's Fatimid The role of women in the Fatimid period, the second is different and each of what they could do is plotting against the Prime Minister, who took the reins and get rid of them maintained the succession and the State.

Addressed the third quarter economic situation of women in the Fatimid era and find that the women of the public was their condition fluctuates according to conditions of the state and its stability, as this category are more vulnerable than women of the deteriorating economic conditions in the country, especially in periods of famine which

formed the intensity Mustansiriya a disaster for the state and negatively impacted on all society.

The fourth chapter discusses the social aspects of customs and traditions of marriage, family celebrations, clothes and decorations of women during the Fatimid period, it is known that the Fatimid caliphs in the country lived a life of luxury and opulence, which was reflected deeply on the look and elegance of women in her clothes and adornments.